ثورة ١٧ فبراير والوجه السرى للقذافى



أيمن السيسى



الهيئة المصرية العامة للكتاب



ثورة ١٧ فبراير
والوجه السرى للقذافى

ثـورة ١٧ فـبرايـر
والوجه السرى للقذافى

أيمن السيسى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١١

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : ثورة ١٧ فبراير
والوجه السرى للقذافى
تأليف : أيمن السيسى

الإخراج الفنى : إلهام عارف
تصميم الغلاف : الحبيبة حسين

● الإهداء

إلى ورد...
وأطفال ١٧ فبراير الذين رأيتهم يُحيلون الحياة فى
إجدابيا وطرق وبنغازى رغم القصف العشوائى
والخوف إلى بهجة وأمان.

أيمن السيسى

مقدمه

لم يدر بالبال يومًا زيارتها، فما ترسخ فى الذهن عن ليبيا أمسك على هوى الدخول إليها، ولكنها غواية الصحافة التى دفعتنى إلى مجازفة بالدخول.

وهكذا كانت الرحلة إليها وقضاء أكثر من عشرين يومًا فيها، راصدًا ثورتها الشريفة مصاحبًا للثوار المحاربين على جبهات القتال من إجدابيا وحتى رأس لانوف متنقلاً بين مدنها المحررة من بنغازى إلى طبرق ليكون هذا الكتاب.

العائدون من جحيم فى ليبيا

كانت مأموريتى برفقة زميلى المصور محمد عبده إلى السلوم لتغطية عودة العمالة المصرية ومعها أعداد كثيرة من جنسيات أخرى بدأت تتكدس فى منفذ السلوم هربًا من ليبيا منذ يوم ١٨ فبراير، قبل انطلاقنا إلى السلوم رأيت على إحدى شاشات التلفزة حديثًا لعدد من شباب وعمد قبائل مطروح يؤيدون فيه ثوار ليبيا تأييدًا كاملاً أو "قلبًا وقالبًا" كما قالوا، وأنهم لن يتركوا شعب ليبيا يجوع. كانت الأخبار التى تلقيتها عبر الهاتف من الصديق جمال عبادة المدير العام بجهاز تعمير الساحل الشمالى الغربى بمطروح عن تسيير الإخوة من شيوخ وشباب الدعوة السلفية بمطروح لقوافل إغاثة إلى المنطقة الشرقية في ليبيا لدعم صمود أهلنا فيها.

أخبرته أنى سأسافر إلى السلوم فعرض أن أصاحبه في سيارته حيث كان موجودًا فى القاهرة. التقينا عند أول الطريق الصحراوى

وتركت زميلى المصور فى سيارة الجريدة ومن خلال حديث سائق جهاز التعمير حمدى اقتربت من قراءة الصورة فى مطروح وعبء المبادرة الأولى لمساعدة إخوتنا الليبيين سألته أن يوفر لى صاحبًا فى السلوم، فهاتف ابن عمه صلاح هيبة أحد أبناء قبيلة الجنايشة، والذى يعمل مدرسًا فى المدينة الحدودية، وبالفعل كان فى انتظارنا بود ورغبة فى المساعدة ووفر لنا الكثير من الحركة والمعلومات... المنفذ كان يعج بمجموعات البشر الهاربين من جحيم الحرب وأعداد السيارات الوافدة بالعشرات حاملة أسرًا مصرية وفلسطينية وسورية اغتربت للرزق فى ليبيا...

هالنى أول المشاهد على بعد كيلومترين من جمرك السلوم.. حقائب مبعثرة وأحذية أطفال ملقاة علي الأرض وكراسات وأقلام، وعدد من كتب سلاح التلميذ حول سيارة مقلوبة مهشمة يرقد بجوارها قائدها أحمد حسن على مساعد علمي بكلية العلوم - حسب رخصة القيادة التى التقطتها من على الأرض. لبي نداء ربه بعد الحادث الذى تعرض له مع زوجته التى ترقد على الأرض تجول بعينيها فى السماء، وتجيب بصعوبة أنهما قادمان مع أولادهما الثلاثة من طبرق، ربما السرعة الكبيرة نتيجة الفزع والخوف علي الأبناء الذين ساءت حالتهم، وربما الإجهاد حسب تفسير الطبيب العسكرى، حمل الجنود الأطفال. كان أحدهما قد فارق الحياة إنها الحرب إذًا، فلا شىء فى الدنيا يجبر أسرة على الهرب بهذا الشكل من مواطن رزق سوى الحرب، كانت صفوف السيارات وعدد من الأتوبيسات وأسماء المحافظات التى ينادى بها سائقو الميكروباصات

وكأنها ساحة موقف عبود، آلاف من العمال الكادحين الشرفاء يهرولون حاملين أغطيتهم وحقائبهم ومتعلقاتهم المتواضعة حتي وابور الشاى وقصعة الأسمنت.

تتناثر من أفواههم حكايات الحرب والبارود والهرب من الجحيم، وغلظة ودموية القذافى، وسيف الإسلام المتعجرف القاسى وكتائبهم والمرتزقة الأفارقة الذين يبيدون الناس، محمود ماهر صالح وأمير الزبيدى من قطور يحكيان عن ذبح الناس فى الشوارع كما القطط ـ التي حكى عنها العقيد الدموى، والكتيبة التشادية التى تذبح البعض بعد قتلهم بالرصاص، استطاع الليبيون القبض على ٦ جنود منهم، فمنعهم شيخ المسجد فى درنة من قتلهم بعد أن ذبحوا أهلهم، وأمر الناس أن يعاملوهم كأسري ويحسنوا معاملتهم، أضافا أن البلد أصبحت خرابًا وأن هناك اعتداءات على المصريين ونهب لأموالهم وأشيائهم الثمينة مثل إسلام محمد السيد من كفر الشيخ ورفيقه عمرو الإسكندرانى اللذين يرقدان فى مستشفى الهلال الأحمر فى درنة بين الحياة والموت، بينما قال حسين عبد الرءوف عطا إن أغلب من يعرفهم من المصريين هناك بخير، إلا من فى طرابلس الذين أخبروهم عبر الهواتف بسوء حالتهم وأن بعضهم أصبح لا يستطيع الخروج من مكان إقامته، وقد نفد الأكل والماء ويرغبون فى إيصال أصواتهم إلى مصر لكى تساعدهم على العودة بأى ثمن، وأن الجميع ينهب ويقتل خصوصًا بعد حالة الفزع التي انتابت الجميع، ويقول مصطفى كمال إن اللجان الشعبية التي كونها الأخوة الليبيون لحراسة الطرق تتعامل مع المصريين معاملة طيبة جدا ويعرضون

عليهم ما يريدون من طعام وشراب، وهو ما أكده مصطفى أبو العلا ـ في اتصال هاتفي معه من بنغازى ـ إن أسعار المواصلات قد تضاعفت ٤ مرات تقريبًا وأنه وأكثر من خمسين عامل معمار يعملون معه في شركة المعمار العربى لم يحصلوا علي أي أموال منذ ٣ أشهر، وأن صاحبها التركي أحمد الدينار تركهم وهرب وأنهم لا يجدون ما يأكلونه. أعداد الهاربين إلى الحدود المصرية، من جحيم العقيد الدموى المجنون تتزايد ساعة بعد ساعة برغم مضاعفة ثمن المواصلات من بنغازى إلى السلوم٦٠٠ كم تقريبًا ـ من ٥٠ جنيها إلى٣٠٠ جنيه ليبى، وليس أمام الهاربين إلا الدفع أو حتى الاقتراض أو التسول للعودة الي مصر ,فحسب المصادر الرسمية فإن ما وصل إلى منفذ السلوم خلال اليومين الأخيرين[١] وصل حتى ظهر أمس إلى ٢٠ ألف مواطن تقريبًا ـ بينهم عدد من السوريين ـ ويتوقع زيادة الأعداد، وإن كانت سيمفونية العمل التي يقوم بها الجيش والشرطة وشهدتها جعلت استقبال الناس ومساعدتهم وإجلائهم منتظمة، فقد وفر الجيش المصرى مستشفيين جراحيين، ومخيمًا للراحة لاستقبال العائدين ووجبات جاهزة ساخنة وجافة وعددًا كبيرًا من سيارات الإسعاف، وبرغم هذه الأعداد الهائلة والتكدس فإن الضباط وأمناء الشرطة العاملين على جهاز كشف الحقائب وباقى مرافق المنفذ كانوا فى غاية الدقة، مما أراح البال خصوصًا بعد اهتزاز صورتهم منذ ٢٥ يناير وجدت التعامل على أفضل المستويات وقد بدأت الصورة الذهنية عن

---

(١) حتى يوم ٢٥ فبراير ٢٠١١.

الشرطة تتغير فى أذهان العائدين مما لمسوه من التبسيط والتعامل الإنسانى بصورة جيدة، أما اللجان الشعبية التى تكونت من أبناء السلوم والتى شكلها "علي الأخرس" وبعض رفاقه لمساعدة العائدين وحمايتهم من السرقات فإنها تؤكد نبل وأصالة الشعب المصرى. حميدة محمد عثمان الذي أكد أنه كان يعمل فى أحد المطاعم السياحية بمنطقة إجدابيا التى تبعد عن بنغازى بنحو ٢٠٠ كيلومتر، وأنه استطاع أن يتجه إلى مدينة بنغازى بمجرد بدء أحداث العنف وظل يومين فى بنغازى حتى تمكن من ركوب سيارة أجرة إلى منفذ مساعد الحدودى مع مصر وأنه يوجد الكثير من المصريين بمناطق "إجدابيا وسرت" لم يقدروا على الهرب لعدم وجود سيارات أجرة تنقلهم إلى الحدود المصرية، ويقول رجب مصطفى على ـ عامل سباكة من البحيرة ـ إنه كان فى يعمل ببنغازى وشاهد الرصاص المتطاير فى كل مكان والأدخنة المتصاعدة من المبانى الحكومية وعمليات إطلاق النيران بين مرتزقة أفارقة وأهالى المدينة من المتظاهرين المطالبين بإسقاط النظام فى ليبيا، فجمع نقوده وملابسه واستطاع الفرار في سيارة نقل مصرية كانت تفرغ شحنة من المعلبات لأحد المستوردين الليبيين وأكد أن هناك الكثير من المصريين لا يستطيعون العودة إلى مصر نظرًا لتوقف حركة الطيران وليس أمامهم سوي سيارات الأجرة التي يخشى عادة أصحابها تسييرها في هذه الأجواء خوفًا من تعرضها للتلف أو السرقة، ويضيف علي محمد جابر ـ عامل بناء من أسيوط ـ إنه كان يعمل فى منطقة طبرق القريبة من السلوم وشاهد أحداث

العنف فى بدايتها، حيث تم قتل الكثير من الأهالى وشباب اللجان الثورية التابعة للقذافى داخل المدينة التى استطاع أهلها السيطرة عليها حاليًا، فى مدينة سرت وأنه بمجرد أن وقفت أحداث التظاهر والعنف من جانب المؤيدين للعقيد القذافى فر هاربًا إلى طبرق هو ومجموعة من المصريين واستطاعوا أن يستقلوا سيارة أجرة رفض سائقها زيادة أجرتها ووصلنا إلى منفذ مساعد، حيث ترجلنا حتى منفذ السلوم الذى كان حلم حياتنا أن نصل إليه.

وقد فوجئ العائدون المصريون من ليبيا عند تحويل ما معهم من دينارات ليبية فى أسواق العملة بالسلوم بأن قيمة الدينار الليبى قد انخفضت بنحو ٥٠٪ أمام الجنيه المصرى، حيث كان الدينار الليبى سعره يتراوح بين ٤ جنيهات وعشرين قرشا و٤ جنيهات و٣٥ قرشا، وأصبح حاليًا جنيهين و٢٥ قرشًا.

فرحة الثورة
في مدن ليبيا وقوافل الإغاثة

كان قرار بالدخول إلى الأراضى الليبية نوعًا من المغامرة غير محسوبة أو مأمونة العواقب ليس لها فرحة إغراء السفر إلى الصومال مثلاً، ففى الصومال كنت أواجه عدوًا غير معروف، عشوائيًا، ربما يصيدنى وربما أفلتُ منه رغم محاولاته وهو ما حدث معى، وهناك عالم جديد كانت تبتهج نفسى لمجرد التفكير فى اكتشافه، أما فى ليبيا فالعدو محدد. وهو القذافى ونظامه الوحشى.. ولذلك كنت أرفض السفر إليها باحثًا أو صحفيًا. لأن ما يشاع عن هذا النظام أكبر من القدرة على المخاطرة بترقب ما هو محتوم. عندما ينفلت لسانى مثلاً بحديث عن حرية أو ديمقراطية او غيرها، أذكر عندما جمعتنى خيمة الدفن فى رمال سيوة(١) مع

(١) طقوس علاجية بالدفن فى رمال سيوة خلال شهور يونيو ويوليو وأغسطس لعلاج الروماتيزم والروماتيود ولتخفيف السمنة وأمراض أخرى.

أحد الليبيين، بعد برهة وجدته يتململ وقد سأم أسئلتى حول الديمقراطية والحريات فى ليبيا. خوفًا من أن أكون مدسوسًا عليه رغم كونه مزارعًا لا حيثية له، ولكنه القمع الذى أرهبهم حتى من الحديث حول الحرية أو الديمقراطية أو ذكر اسم معمر مجردًا فكأنك أمسكت بسلك كهربائى عارٍ. هكذا شعرت، ولكننى لا أحب النجاة من الموت، قررت المغامرة. ولأننى لا أحمل جواز سفر سألت صديقى صلاح هيبة أن يوصى من يحملنى معه فى إحدى سيارات قوافل المساعدات المصرية فوافق. صعدنا إلى منفذ السلوم(٢).. كانت القافلة تصطف سياراتها فى انتظار السماح بالعبور لم يجد صلاح سوى مأذون المدينة الشيخ محمود الذى قبل على مضض، وتعامل معى بصورة استعلائية. وكأنه صاحب المدينة والقافلة ركبت معه. لم يرد على أسئلتى التى بدت ـ ربما ساذجة، وبنفس الطريقة تعامل أيضًا مع شاب ليبى استأذن فى الركوب معنا، وحين سأل مسئول المنفذ عن بيانات الركاب وجوازات السفر. لم أهتم بالرد، وتعمدت إظهار انشغالى بالحديث فى الهاتف لتأكدى أن الموقف وزحمة البشر وكثرة سيارات القافلة والارتباك سيمنع هذا المسئول من التأكد من بيانات جميع العابرين بدقة، ولكنى ارتبكت حين التفت الشيخ محمود ليسأل الشاب الليبى ـ الواضح على وجهه الخوف ـ عن جوازه، قبل أن يجيب تركنا مسئول المنفذ وانصرف

---

(١) تقع مدينة السلوم على شاطئ البحر فى حضن هضبة السلوم التى ترتفع أكثر من ٩٠ مترا فوق سطح البحر على بعد أكثر من ١٢ كم وبها وجمرك الحدود يلتف الطريق الصاعد إليها كما الثعبان على حاف الهضبة.

عن السيارة استجابة لنداء عليه من أحد زملائه، فى نفس الوقت الذى كانت "كلاكسات" السيارات خلفنا تحث الشيخ على التحرك فانطلق. ولم تمضِ دقائق حتى كنا داخل مدينة مساعد ، شاركنى الشاب الليبى الخوف أو ربما نتيجة للخوف الواضح على وجهه تملكنى الخوف فقررت العودة مرة أخرى لاسيما وقد عرفت أن القافلة لن تتجاوز مساعد وهو ما يعنى أننى سأفقد رفقة القافلة فى مدن ما بعد مساعد، شجعنى امتداد خطوط شبكات الهواتف المحمولة المصرية إلى مساعد على محاولة الاتصال بزميلى محمد عبده لأستوقفه حتى أعود. ولكن لم تنجح محاولاتى. سألت الشيخ المأذون فأشار لى إلى مكان يبعد عشرات الأمتار عن مكان تجمع القافلة مؤكدًا لى أن الشبكة تعمل فيه. فوجدتنى والخوف يتملكنى أرد عليه: أخاف أتوه!.. فنظر لى الرجل ـ بالطبع ـ نظرة تعجب واستخفاف وهو يردد ساخرًا: تتوه!!

ولإظهار شجاعتى أو بالأحرى للتخلص منه قررت النزول فى نفس الوقت الذى أشار لمرافقنا الشاب الليبى بالنزول؛ لأنهم سيعودون مرة أخرى إلى مصر، نزل معى الشاب، كان اتجاهه بنغازى وهى موطن عائلته. وقد جاء لتصوير فيلم تسجيلى عن الثورة حيث يعيش فى أمريكا ويعمل فى مجال الإعلام! لمحات الخوف على وجهه وفى نبراته المرتعشة. وعباراته المقتضبة وكأنه يخشى شيئًا أو يخاف أن يعرفه أحد مما زاد خوفى، فإن كان وهو الليبى داخل بلاده يخاف فما حالى أنا!، تركته وبدأت فى البحث عن سيارات أخرى عائدة إلى مصر. الوقت يقترب من العاشرة

مساء والليل يزداد وحشة ويزيد من خوفى. سألت أحد الشباب المنشغل بتنظيم حركة القافلة عن مكان أستطيع فيه التقاط شبكة "موبينيل" فرحب بى، وهو يشيد بمصر والإخوة فى مصر الذين يحملون إلينا هذه المساعدات رغم أننا لم نفعل معهم أثناء ثورتهم مثلما يفعلون الآن معنا، هكذا قال ـ واصطحبنى الشاب واسمه أحمد فى سيارته مع صديقه عبد الباسط إلى قبيل المنفذ لالتقاط الشبكة. ترحيبهم ومشاعرهم الطيبة طمأننى. فكرت أن أطلب منهم المساعدة لسفرى إلى طبرق أو بنغازى.. وصلنا عند مدخل منفذ السلوم وبدأ الهاتف فى التقاط الشبكة فشكرتهما، حاولت مهاتفة الزميل لكن الشبكة عاندتنى وأنا أقترب مترجلاً على قدمى. حتى وجدتنى وسط جنود الحراسة المصريين. استوقفونى فقلت لهم بثقة "مع القافلة" فسألونى عن بياناتى وغيرها فلاطفتهم، وقد تخيرت أحداً منهم موجهًا حديثى أنت بلدياتى..، من أين أنت؟ سألنى فرددت عليه: عيب عليك ما تعرفش بلدياتك.

فقال: أنت من سوهاج؟.. فقلت طبعا أنت منين؟ فقال من بهتا، فقلت له: وأنا من "القرامطة شرق"، وهى قرية مجاورة لقريته. وهكذا أفادنى العمل فى صفحة التحقيقات فى معرفة العديد من أسماء القرى والمدن فى مختلف محافظات مصر..

انسللت داخلاً إلى المنفذ وسط مئات البشر الهاربين من جحيم الحرب مصريين وليبيين وأفارقة، بعد أن شكرت بلدياتى على رشفات شاى، وبالطبع لم يكن من الصعب أن أتخطى الجمرك.

وصالتى الترانزيت والجوازات إلى ساحة السيارات أمام الحدود، وحين التقط الهاتف الشبكة هاتفت الزميل محمد عبده لأسأله أين وصل فأخبرنى أنه والسائق علاء البحيرى يجلسون فى استراحة عمر المختار فى قرية "بقبق" بعد ٨٠ كم تقريبًا من السلوم، طلبت أن ينتظرانى وركبت "أوتوبيس" غرب الدلتا المتجه إلى القاهرة الذى كان يعمل فى نقل العائدين مجانًا... كان على الزميل أن يرتب بعض أموره حتى يعود معى. فأنا أتوق لمتابعة أخبار الثورة فى ليبيا، وأتمنى العودة وأحتاج أن يشجعنى زميلى أو أتخذ من رفقته سندًا للاطمئنان، فالحرب فى ليبيا تشدنى كنداهة القرى فازداد تصميمًا رغم خوفى السابق. وبالفعل عدنا مرة أخرى ولكن وسط قافلة يقودها الشيخ فرج العبد أحد رموز الدعوة السلفية فى محافظة مطروح بعد أن رتبها لى أيضًا صلاح هيبة من خلال شقيقه الأكبر الشيخ محمد أبو حديدة.. بتنا معهم فى عراء الصحراء عند "سيدى برانى" حتى قبيل موعد صلاة الفجر انطلقنا لنؤديها فى مسجد السلوم نرتعش من برد الصحراء القارس.. ولكننا لم نخرج من الحدود إلا عند التاسعة صباحًا.

عند جمرك مدينة مساعد كان العاملون ورجال الأمن فيه قد اصطفوا على الجانبين. فرحين بما آتاهم الله من خلال ذويهم المصريين فى صناديق هذه السيارات من مساعدات غذائية وطبية، ملوحين بعلم الاستقلال، رافعين أيديهم بشارة النصر. كانت الفرحة تكسو وجوهنا جميعًا الزائرين والمستقبلين. فرحة عبَّرت عنها الرصاصات التى انطلقت وابلاً فى جو السماء ابتهاجًا، أحد

الشباب الليبى كان يتقافز قفزًا من الأرض فرحًا ويلوح بيديه الاثنتين سعيدًا. طمأن هذا المشهد الصباحى ورفقتى لجماعة الدعوة وشباب مطروح نفسى إلى أمان سأبلغ فيه غايتى فى ربوع المناطق المحررة فى ليبيا، كانت علامات النصر وشاراته وصور عمر المختار وفرحة العيون وتهليل الصغار يتزايد كلما مررنا على قرية أو تجمع عمرانى على طول الطريق ولكنى أسفت جدًا لما رأيته من فقر ما كنت أظننى ملاقيه فى ليبيا، فشكل البيوت عارٍ من أى مظهر للفخامة، أغلبها يبدو عليه الهُزال الذى تلمحه أيضًا على وجوه وأجسام البشر، وعلى الطريق الرئيسى الذى لا يتعدى عرضه ٦ أمتار، وكأنه طريق يربط بين قريتين أو مدينتين صغيرتين فى مصر. وليس طريقًا رئيسيًا دوليًّا فى بلد هى سادس دولة فى إنتاج النفط فى العالم ويصل دخلها منه إلى مائة وسبعين مليون دولار يوميًّا(١) ولا يزيد تعداد سكانها عن ٦,٥ مليون نسمة. لفت نظرى الفقر الشديد حتى من عدم وجود علامات الطرق الإرشادية والعلامات الكيلومترية أما اللافتات بأسماء المدن أو القرى فهى نادرة جدًا متواضعة.

وصلت القافلة إلى مدينة طبرق وحطت صناديقها داخل معسكر المخابرات.. بجوار صوان كبير ينتشر داخله وحوله عشرات من أعيان المدينة ومثقفيها وضباطها وعمد قبائلها، ومع طلقات الرصاص المنهمرة من الرشاشات والبنادق بدأت فى تسجيل

---

(١) تصريح اللواء عبد الفتاح يونس فى لقاء مع قناة العربية بتاريخ ٢ مارس ٢٠١١.

لقاءاتى، سألت عن الاحتياجات وعن طرق توزيع هذه المساعدات وكيفية إدارة البلاد بعد غياب أجهزة القذافى وهروب عناصر لجانه الثورية وأمنه الداخلى. عشت لحظات سعيدة مليئة بالود فيما بين الحدود المصرية وطبرق، هناك حالة من الفرح لا تختلف عن نظيرتها فى مصر.. كل سعيد بثورته.

تدفق وتوزيع المساعدات والمواد الغذائية إلى مناطق عدة فى ليبيا، رجال الدعوة السلفية فى محافظة مطروح أثبتوا جدارتهم خلال الأحداث الأخيرة بداية من مواكبتهم لثورة ٢٥ يناير وقيامهم بسد الفراغ الأمنى وحراسة المنشآت العامة وتأمين وصول الوقود والدقيق والأغذية من الإسكندرية وبرج العرب إلي المحافظة وها هم يقومون بدور بارز ومهم في جمع الأغذية والأدوية تبرعًا وإرسالها إلي أهل المنطقة الشرقية في ليبيا، كانت قافلتنا مكونة من٦٠ سيارة تحمل أكثر من٣٥٠ طن أغذية فضلاً عن المستلزمات الطبية واحتياجات العمليات الجراحية، و٢٥٠٠ كيس دم، يقول الشيخ فرج العبد: اتصل بنا أطباء مستشفي الهواري في بني غازي مستغيثين لمدهم بما يحتاجون من الأدوية ومستلزمات الجروح - بعد بداية الأحداث فى بنغازى - فأرسلنا٢٢ سيارة أغذية وأدوية بعد التنسيق مع الجيش لمرور القوافل بعدها أرسلنا أكثر من١٠٠ سيارة أخري ومعها بعض الأطباء لمساعدة زملائهم فى مستشفيات المنطقة الشرقية فى إجدابيا والمرج والبيضا ودرنة وطبرق، وحاليًا بدأ الطلب أكثر خصوصًا في طبرق - على الأغذية لعدم وجود

زراعة لديهم، وكان فى استقبال القافلة[1] التى صاحبتها وجوه وأعيان طبرق الذين أشرفوا على استلام الإعانات لتحديد مسار توزيعها على باقى المناطق. يقول عبد الوهاب الشاعرى إنهم شكلوا لجانًا محلية لمساعدة وإعانة الأهالى والمواطنين، فى العديد من المناطق بالمواد الغذائية القادمة من أشقائنا فى مصر على الأسر غير القادرة. والتى تعانى بيوتهم من نقص حاد فى المواد الغذائية وأيضًا جزء منها يوزع من خلال الجمعيات الاستهلاكية.. العميد فتحى رجب موسى من قطاع الإمداد والتموين بالجيش الليبى الذى انضم مع رفاقه إلى الثوار من بداية الثورة، يقول: نوزع هذه القوافل ـ على المناطق المحررة من طبرق وحتى إجدابيا من خلال لجان محلية مع بعض المدنيين، وسجل العجز فى أدوية السكر والضغط وكذلك أدوية ومستلزمات الغسيل الكلوى التى يصل النقص فيها إلى ٩٠٪ من الاحتياجات وكذلك حليب الأطفال. أما الأغذية الناقصة فأهمها الطماطم والزيت والسكر، وقال خالد حمد صالح مشرف منطقة البيضا أن اللجان المحلية المشكلة لتيسير أمور المنطقة فى توكرة لحماية المنافذ وتأكيد الأمن وتوزيع الأغذية من خلال لجان يشرف عليها فرج سالم خميرة وعبد الرحمن محمد العمورى وتضم عددًا من العسكريين تضمن التوزيع الآمن وكذلك تأمين وصول المازوت والوقود المكرر فى البريقة وطبرق.

---

(١) نشر بجريدة الأهرام عدد الخميس ٣ مارس ٢٠١١.

السفر إلى الحرب

الأجواء الاحتفالية عادة ما تزيد صعوبة الصحفى فى التقاط مصدره. فضلاً عن عدم القدرة على تحديده. خصوصًا وإن توافرت مصادر عدة ذات أهمية متماثلة. وهو ما صادفنى فى هذا المكان فاستسلمت للراحة جلوسًا مع صلاح هيبة، وبدأت أجول ببصرى متتبعًا حركة الجمع داخل الصوان وخارجه، متلفتًا بين الحين والآخر إلى محمد عبده، فربما يقودنى مشهد يعمل على تسجيله بالصورة إلى حديث أو خبر يستحق.. جال بخاطرى أن طبرق بها أكبر قاعدة جوية فى ليبيا تسمى قاعدة "جمال عبد الناصر" فطلبت من صلاح تعريفى بأحد رجال طبرق البارزين فقدمنى إلى عثمان إدريس كريم، عمدة قبائل القطعان الذى رحب بمعاونتى، وإن فهم أننى أبحث عن قائد منطقة طبرق العسكرية. استمهلنى دقائق حتى تنتهى جلسته مع المقدم شرطة عادل فرج أحد قيادات ثورة ١٧

فبراير بمدينة البيضاء. وهو ابن أحد رجال الكلية الحربية الملكية فى ليبيا وهنا تنبهت الحاسة الصحفية فجلست معهم وأشرت لزميلى لالتقاط عدة صور، كان عادل يحكى عن تفاصيل انطلاق الثورة فى مدينته البيضاء.

الضابط الليبى الذى انضم للثوار يخشى على الثورة من الأفاقين

إذا كان انتحار محمد البوعزيزي يائسًا من النظام التونسي قد فجر الثورة فى تونس، فإن قتل صالح محمد مسعود برصاص عبد السلام القذافى فى البيضا، حين خرج أربعة من الشباب، معلنين اعتراضهم، هاتفين: (يسقط الطاغية) يوم الأربعاء ١٦ فبراير، هو الذى أشعل ثورة ١٧ فبراير فى البيضا. وهكذا لم تكن مفاجأة لى أن أعرف أن شرارة الثورة تزامن انطلاقها من مدينة البيضاء مع بنغازى على يد أربعة من الشباب خرجوا معلنين رفضهم لحكم العقيد الدموى يوم ١٦ فبراير، وإن لم تكن مفاجأة أن يرفض ضابط برتبة مقدم فى الأمن أوامر قادته والنقيب عبد السلام القذافى الذى جاء بـ ٩٠٠ جندى من كتيبة خميس ٣٠٠ منهم مرتزقة أفارقة لقتل المتظاهرين، ولم تتوقف مشاركة المقدم عادل فرج الدرفيلى فى عدم إطاعة الأمر، ولكنه سلم مخازن السلاح للمتظاهرين الذين بدأت بهم الثورة الليبية .. المقدم عادل خريج الدفعة (١٧) من كلية الشرطة بطرابلس عام ١٩٩٢، والحاصل على

وسام العمل الممتاز ووسام الأداء المتميز، وهو الابن الأصغر لمؤسس الكلية العسكرية الملكية قبل ثورة ١٩٦٩ اللواء فرج على الدرفيلى ..

قال: نعم.. لقد بدأت الثورة فى البيضا يوم الأربعاء ١٦ فبراير عندما خرج ٤ شبان للتظاهر وحدهم ضد حكم القذافى، وبدأت الناس تتجمع حولهم في مسيرتهم حتى وصلوا إلى ١٥٠٠ شاب عند المحكمة ليواصلوا سيرهم حتى ميدان المصرف التجارى، وقد تضاعفت أعدادهم حتى بلغت ٥ آلاف متظاهر.

تم إبلاغنا بأن هناك بعض الشباب السكارى فى مسيرة وأُمرنا بتفريقها.. ولكن الذى حدث أن الشاب صالح حمد مسعود اليمنى احرق صورة لمعمر القذافى.. فقذفته قوى الأمن بالرصاص لترديه قتيلاً، فأحرق المتظاهرون سيارة للشرطة، كما قُتل خالد الناجى خنفر أيضًا محله التجارى الكائن قبالة إدارة الأمن الداخلى (أمن الدولة) بعد أن وصلت المظاهرات إليها.

وماذا حدث بعد ذلك؟ فى اليوم التالى الخميس ١٧ فبراير، كنا نعلم أن هناك تظاهرات ستخرج عند تشييع جثمانى خالد وصالح وتم استدعاء قوات من كتيبة خميس (القذافى) وألبسناهم زى قوات الدعم (الأمن المركزى) وكانت تعليمات مدير أمن البيضا العميد حسن إبراهيم القرضاوى الصريحة بحماية المظاهرة، وعدم الدخول فى مواجهة مع المتظاهرين وعدم حمل السلاح.. هذه التعليمات كانت ليلة الخميس، مما دعا كتبة التقارير من فرع الأمن الداخلى إلى إرسال تقرير فيه فتمت إقالته فى الواحدة صباح

الخميس ١٧ فبراير متهمًا بالخيانة وعينوا بدلاً منه عقيد (جيش) فرج البرعصى برغم وجود ضابط برتبة عقيد فى المديرية، ولكن لأنه كان سجينًا سابقًا بتهمة محاولة قلب نظام الحكم، ذلك ويعرفون أنه سينفذ الأوامر بإطلاق الرصاص الحى، وهو ما حدث فقام باستدعاء ٥٠٠ جندى و٤٧٠ من فرقة مكافحة الشغب، وقال لنا: إذا جاء المتظاهرون أطلقوا النيران عليهم وسأكون أولكم.

وهكذا تأكدت من إصرار النظام على القتل وكذلك من حضور النقيب عبد السلام القذافى يوم الخميس ومعه ٦٠٠ جندى من "كتيبة خميس" و ٦٨ من المرتزقة الأفارقة، وقد علم أن المتظاهرين سيتوجهون إلى إدارة الأمن الداخلى، فوزع على كل جندى من هؤلاء بندقية كلاشينكوف لم نرها نحن الضباط من قبل طولها ١٢٠ سم، وعدد الرصاص بخزينتها ٧٠ طلقة.

وقال عبد السلام القذافى لنا: أمامكم ساعتان فقط، إما أن تفرقوهم وإما نقتلهم كلهم، فرفضنا وحدثت مشادات لفظية بينى وبينه، وكان معى عميدان و ١٥عقيدًا و ٤ ضباط برتبة المقدم، ولسوء حظ النظام كانت هناك مباراة بين فريقى المريخ السودانى والأخضر الليبى فى كرة القدم، وسمع المتفرجون أصوات المظاهرات فخرجوا للانضمام إليها، وتعالت الهتافات "يسقط الطاغية". وتعاملت قوات كتيبة خميس مع المتظاهرين العُزَّل بالرصاص، واستمرت المعركة من الثانية وعشر دقائق ظهرًا وحتى الثامنة وخمسين دقيقة ليلاً، مما أسفر عن سقوط ١٤ شهيدًا.

كنت فى إدارة الأمن وجاءني ناس من المتظاهرين، وسلموا لى ١٩٠ بندقية رصاص مطاطى استولوا عليها من رجال الشرطة الذين تركوا المعركة وهربوا.. واحتد علينا عبد السلام القذافى آمرًا بقتلهم، فانضممت إلى الثوار وطاردنا قواته مع المتظاهرين لمسافة ٤١ كيلومترًا وهم يطلقون علينا الرصاص فسقط ٤ شهداء من سكان المزارع ، إلى أن تحصنوا فى مقر كتيبة الجيش فى "شحات".

كان لدى علم بوجود أكثر من ألفى بندقية كلاشينكوف فى مخزن سلاح المديرية، فاصطحبت معى بعض المتظاهرين إليه وساعدتهم على كسر بابه. ووجدنا به أكثر من ٢٤٠٠ بندقية ومسدسات وذخيرة كثيرة وأنواعًا أخرى من الأسلحة. واتجهنا إلى معسكر" شحات" ومعنا عدد من المساجين الذين أطلقتهم الشرطة القضائية لإثارة الذعر بين الناس، لكنهم انضموا لنا وبدأنا الهجوم على شحات عند أذان العصر، وبعد مناوشات بالرصاص سقط ٤ شهداء آخرين منهم طفلة عمرها ١١ سنة كانت فى بلكونة شقتها.

بعد الحوار اتفقت مع عادل على مصاحبته للسفر إلى البيضاء .. كان علينا أولاً أن نتوجه إلى اللواء سليمان محمود سليمان قائد "منطقة طبرق العسكرية" الذى أعلن انضمامه للثوار، بعد انشقاقه عن القذافى ونظام حكمه، ووافق عادل أن يصاحبنا.. اصطحبنا العمدة عثمان إلى قيادة المنطقة، هنا بدا معروفًا فيها للجميع من استقبالهم الحميمى له ضباطًا وجنودًا.

صعدنا إلى الطابق الثانى فى مبنى القيادة، ولا أدرى لماذا يثير فزعى وخوفى رؤية الجنود والضباط فى ليبيا. ربما يكون ذلك بسبب سمعة هذا النظام الليبى الوحشى.. يا الله.. ألا زال من هذا النظام الوحشى يلازمنى.

لم نمكث سوى دقائق معدودة حتى أخبرونا أن اللواء ينتظرنا، كان عادل قد انصرف للبحث عن "حمام" استقبلنا الرجل بود وترحاب وحكى عن علاقته بمصر وكيف تم تسهيل عبور ابنته من الحدود وإحاطتها بكل رعاية واهتمام بعد معرفة اسمها.

نهاية القذافى اقتربت

عرف التاريخ وشهد على طغاة أحسوا بأس شعوبهم ورفضهم لهم فما كان منهم سوى محاولة قمعهم بالقوة. وإن كانت قسوة العقيد القذافى شديدة وعنيفة علي شعبه ولا يحتاج أحد لتأكيد ذلك، فقد هدد بتحويل ليبيا إلى "نار حمرا" وهو ما جعل عدداً من الضباط "الأفاضل" بداية من رتبة ملازم إلى لواء مساندة الشعب وثورته التى صبغها "الأخ القائد" بلون الدماء.. وبعضهم شاركه ثورته المشئومة عام ١٩٦٩ منهم عبد الفتاح يونس واللواء سليمان محمود سليمان قائد منطقة طبرق العسكرية وهما من الضباط الوحدوين الأحرار، اللواء سليمان تولى نائب مدير المخابرات الحربية وقائد الحرس الجمهورى والمفتش العام للجيش الليبى.. كان أول من أعلن

انضمامه للثوار بعد بدء الثورة بيومين، غير عابئ بما قد يتعرض له من قتل أو اغتيال أو تنكيل - إذا لم تنجح الثورة - كما نكل القذافى طوال تاريخه برفاقه وتخلص منهم كان لقائى معه فى مبنى قيادة طبرق العسكرية الذى ظل بها قائدًا كل ضباطها باستثناء العميد فتح الله الشهيبى الذى لم يستمع إليه أو ينحاز معه كزملائه للثورة، وحرمهم من مخازن الذخيرة فى كتيبة عمر المختار بتفجيرها لمنعهم من الاستيلاء عليها، وهروبه بجنوده للانضمام إلى كتائب القذافى مع الضابط حنيش القذافى ابن عم العقيد. سألت اللواء سليمان: وكيف لم تستطع منعه من ذلك؟ فقال: الخطأ وقع من الضباط الذين أرسلتهم له ليقنعوه بالانضمام إلينا، بموافقتهم على منحه ٣ ساعات مهلة للتفكير وهنا فعل ما فعل.

وهل حرضت آخرين ونجحت معهم؟

نعم حرضت زملائى ورفاق السلاح فى بنغازى، بعضهم استجاب مثل خليفة المسمارى وعبد الفتاح يونس وزير الداخلية وفتحى الكيلانى قائد قاعدة محمد التهامي الجوية بنينا. وفى قيادة المنطقة بلغت نسبة من استجابوا ١٠٠٪ باستثناء هذا الشهيبى.

ولماذا انقلبت على القذافى وهو رفيق سلاح؟

لأنه أصبح مريضًا بالجنون والعظمة.. فلا يوجد في التاريخ ثائر من سبارتكوس إلى جيفارا وجمال عبد الناصر حاول أن يكون ملكًا ويطلب لنفسه ألقابًا ملكية سوى معمر القذافى عندما أعلن نفسه ملك ملوك إفريقيا. وعندما ابتعد عن مصر أدركت أنه أصيب

بجنون العظمة. وقبلها أيضًا عندما بدأ فى تنفيذ خطوات سيناريو توريث الحكم لابنه.

ولكنكم كنتم تغضون الطرف عن ذلك .. على الأقل أو تقبلون؟

لا .. أنا لم أقبل واختلفت معه منذ ثلاث سنوات ولذلك غضب منى عندما فاتحته في هذا الأمر.

كيف ومتي؟

قبل أيام من عيد الثورة منذ ثلاث سنوات اجتمعت معه فى "الجفرة" ومعنا الضباط الأحرار المتبقون في السلطة أو الخدمة. ومنهم أبو بكر يونس جابر وعبد الفتاح يونس وغيرهما .. وقلت له نرى أن هناك نية للتوريث فصمت ولم يرد، وبالتالى لم أكمل الحديث.. وفى اليوم التالى كان هناك اجتماع بقيادة الجيش مع أبى بكر يونس وجاءنى ضابط برتبة عميد اسمه مسعود عبد الحفيظ القذافى قائد منطقة سبها حاليًا ـ وهو الذى يجلب المرتزقة السود من النيجر وتشاد ومالى والسنغال ليهاجم بهم الثوار، وسألنى: لماذا تتحدث عن التوريث؟ ومن أنت لتتحدث فيه؟ ومن تمثل؟ وحدث تراشق بيننا بالألفاظ فأخذت الطائرة وجئت إلى طبرق وظللت فيها إلى الآن، لا أذهب إلى سرت أو الجفرة أو طرابلس خوفًا من الاغتيال.. ربما ليس خوفًا بمعنى الخوف ولكن ابتعادًا عن الرجل الذى بدأ فى التحول إلى ملك، والغريب أنه لم يفكر فى عزلى.

كيف انضممت إلى الثورة؟

يوم السبت ١٩ فبراير اتصل بى أحد تجار الذهب من بنغازى

واسمه فتحى مزكور الورفلى، وفى أثناء اشتراكه فى مظاهرات بنغازى، كان يبكى وهو يسمعنى صوت الرصاص ويسألنى أتسمع صوت الرصاص؟ فأقول له: نعم هذه طلقات مضادة للطائرات وهذه طلقات رشاش آلى وهذه وهكذا، فقال يا سيادة اللواء هذا الرصاص يطلق على صدور شبابنا من بنادق كتيبة "الفضيل بوعمر" حزنت واتصلت بزوجتى فأخبرتنى أنها ستخرج للعزاء فى أبناء جيراننا من شهداء الثورة، ظللت فى تفكير طوال الليل حتى قررت الانضمام للثورة ظهر اليوم التالى فخرجت للمشاركة مع الثوار فى ميدان طبرق، ودخلت إلى المسجد الكبير ومن خلال مكبر الصوت أعلنت انفصالى عن النظام وانضمامى للثورة.

وما تقديرك للموقف؟

أتوقع لهذا الطاغية الذى خطب فى الشعب ليقول له إن المعركة لم تبدأ بعد (!) أن ينتهى وحتمًا سينتهى، والدليل على ذلك مفاوضته وأركان نظامه لأبناء الزاوية لدفع الملايين لهم ليتوقفوا عن قتاله وزيادة المرتب للموظفين وغيرها.

وهل زاد مرتبك؟

لم نعد نحصل علي مرتبات أنا وضباطي وجنودي.. ولا يهمنا فشعبى (يأكلنى) أنا وجنودى ومساعدات مصر تصل إلينا فلا نحتاج له.

ومتى ترى نهايته وكيف؟

هي قريبة جدًا، وستكون بقتله على يد أحد أبنائه أو أقاربه أو ضباطه.

هل الأوضاع الحالية فى مصر أثرت على الثورة عندكم؟

أولا: أحيى "شباب ٢٥ يناير" والمجلس العسكرى والجيش المصرى الذى أكد لنا جميعًا أن مصر تستعيد قوتها بسماحها بمرور سفينتى إيران، وعدم غلق حدودها معنا. وهذا نوع من الدعم للثورة؛ لأن غلق مصر لحدودها إذا حدث كان سيضعف ليبيا كما حدث إبان الاحتلال الإيطالى، ومصر الآن أرسلت لنا المساعدات ولكن ما نحتاجه أكثر هو إعلان موقفها وتأييدها للثورة؛ لأن الدعم المعنوى المصرى والتأييد أهم من المادى، وهو الأهم بالنسبة لنا من مواقف أى دولة فى العالم .. ونحن ننتظر من مصر أن تستنكر قتل الشعب الليبى وإبادته؛ لأن ذلك من قوة مصر.

خرجنا من اللقاء وقد وجدت الجاكت الجلدى الخاص بى والذى كنت تركته فى سيارة عادل مع أحد الضباط الذى أعطاه لى قائلاً: إن عادل تركه لى وانصرف. خطفت هاتف العمدة لأسأل عادل لماذا تعجل الرحيل فرد منفعلاً عن تعجلنا نحن فى الدخول وعدم انتظاره. هونت عليه وأخبرته إن كل شىء تم على عجل والحديث بدأ سريعًا وتلاحق حتى لم تكن هناك فرصة لقطعه بإعلان وجودك. فضلاً عن أن ذلك ليس مسئوليتى فلا تحملينها، فأنا مجرد ضيف. فعتب على العمدة فى حديثه وأغلق الخط سريعًا، عاودت الاتصال به ملحًا فى الرجاء بأن ينتظرنى للسفر معه. فقال إنه قطع عشرات الكيلومترات. وأغلق الخط، عاودت الاتصال به بعد فترة وكنا مع العمدة فى الطريق إلى كافتيريا "نور الهدى" حيث

سنأخذ منها سيارة إلى البيضاء. فقال عادل إنه سينتظرنى صباح الغد فى البيضاء. فهمت أنه على غير استعداد لاستقبالنا أو مضايفتنا هذه الليلة.

فى استراحة "نور الهدى" تركت زميلى محمد عبده مع العمدة واتخذت طاولة فى أحد أركان الاستراحة محاولاً البدء فى كتابة أول رسالة سعيدًا بما حققت. ولكن الإجهاد حال بين تركيزى ومنعنى النوم الذى تملك من جفنىَّ أن أرى الحروف، كدت أنكفأ على وجهى من التعب رغم تناولى لعدد متتالٍ من فناجين القهوة وإن كان البن من النوع الردىء إلا أننى حاولت به الانتباه فلم أفلح. نهضت متثاقلاً معلنًا للعمدة أننى جاهز للذهاب معه إلى منزله الذى دعانا لنبيت ليلتنا فيه. أشفق علىَّ محمد عبده عندما أخبرته برغبتى فى إتمام كتابة الرسالة لما رآه من تعب حلَّ على. مفضلاً أن اكتبها صباحًا ونرسلها من البيضاء، استسلمت لرأيه. ولكن ما إن اخذت قسطًا من الراحة وكوبًا من الشاى بعد العشاء فى منزل العمدة إلا وعاودتنى الرغبة فى الكتابة، حفزنى عليها أن أرى زميلى يستخدم كمبيوتر العمدة فى إعداد الصور وتجهيزها للإرسال وايضا دعوة الشيخ محمد رحومة إلى السهر فى منزله مع الشيخ فرج العبد.. وجدتنى أقوى على الجلوس إلى المكتب وخلال ساعة ونصف صارعت فيها التعب لأنتهى من الكتابة وذهبنا إلى منزل محمد رحومة وسلمتها للشاب المثقف الصيدلى محمد فوزى الذى ارسلها بالفعل صباح اليوم التالى إلى الأهرام بعد أن عاد إلى السلوم برفقة القافلة.

كان الصباح باردًا جدًا عندما أيقظنى العمدة عثمان ليوصى بى وزميلى سائقًا خصصه محمد رحومة لتوصيلنا إلى البيضاء ولأننى لم أنم سوى أربع ساعات تقريبًا استسلمت للنوم فى السيارة بعد أن هاتفت عادل فرج مخبره، أننا فى الطريق إليه من هاتف السائق.. لم أفق إلا على جرس الهاتف والسائق يخبر محدثه أننا فى منطقة "شحات" خارج البيضاء. ثم توقف بالسيارة لنجد أمامنا عادلاً وننتقل إلى سيارته المرسيدس التى كانت محملة بالسلاح والبارود والذخائر ينقلها إلى الثوار ومعه عمر عطية الله أس ٥ ـ كما كان عادل يتندر عليه حيث يتكرر اسمه حتى الجد الخامس وهو شاب حقوقى وظف كرقيب فى الشرطة وهذه إحدى بدع دولة القذافى.. وكثيرًا ما صادفت مثل ذلك.. فلم أستقل سيارة أجرة أو جلست فى مقهى إلا وكان السائق أو النادل خريجًا جامعيًا، ولعدم وجود وظائف تناسبهم استسلموا للعمل فى هذه المهن. سألت نفسى يومًا ولما لا تستخدم الحكومة هؤلاء الشباب فى وظائفها رغم استقدامها لأمثالهم من دول عربية أخرى ومنها مصر. ففسر لى خالد فضل البوسعيدى (ويعمل سائقًا) إنه لا يعرف شيئًا مما تخرج فيه أو المفترض أنه قد تعلمه فى الجامعة ومنها الحاسب الآلى (الكمبيوتر) رغم تخصصه وهو ما يعنى أن التعليم هناك فى أدنى مستوياته وردىء بصورة مفزعة، وإن لم أتصور أن جميع خريجى الجامعات الليبية أو التعليم الليبى بصفة عامة بهذا المستوى الضعيف. إلا أن كل من التقيتهم تقريبًا وقد تخطوا العام الثلاثين من العمر لم يتزوجوا والسبب الفقر وعدم القدرة على استئجار منزل أو شقة للزواج بها..

مضى عادل يطوف بنا فى شوارع مدينته البيضاء ليشرح لنا كيف بدأت الثورة فى البيضاء بأربعة من الشباب الذين راحوا يهتفون ضد النظام.

عادل وعمر عطية الله اصطحبانى وزميلى محمد عبده إلى ساحة الاعتصام أو كما أصبح اسمها "ساحة التحرير" والتى زينت الجدران فيها بصور شهداء الثورة فضلاً عن شهداء "سجن بو سليم". وكانت أول مرة أسمع فيها عن هذه المذبحة، فليبيا كانت سجن كبير لا يسمح بخروج أى معلومة منها أو عنها، والإعلام العربىّ إما منتفع ومرتشٍ من القذافى ونظامه، فلا سأل صحفى من مظلوم أو تحدث عن مقهور، إما يائسًا من القذافى وبلاده متيقنًا أن لا أحدًا فى هذه البلاد يستحق البحث عنه طالما هو شعب قد استسلم لقدره المُر وكنت ـ للأسف ـ أحد هؤلاء.. غير عابئ بليبيا وما يدور فيها طالما هذا حال أهلها من الجبن والاستسلام، ولعلى هنا أعتذر بشدة لهم على هذا الظن الخاطئ والمسيء لهم...

التقطت بعض الأحاديث ممن تعرفت عليهم فى هذه الساحة عندما كان زميلي يبحث مع عمر عطية الله عن مكتبة لشراء اسطوانات مدمجة وفلاشا لتخزين الصور عليها بعد أن ضاق اتساع كاميرتى الصغيرة، لأننى رغم قيام زميلى بعمله كاملاً إلا اننى كنت أفضل أن أسجل ما يعن لى فى كاميرتى كأرشيف لى.. كنت أسأل عن أسماء الشباب الأربعة الذين أشعلوا الثورة فى

البيضاء، قال لى صالح ابو عجيلة إن أحدهم قريب له. سألته أن يدلنى عليه فاستمهلنى حتى يستأذنه: لماذا؟ قال لأنهم اتفقوا وشجعناهم على عدم ذكر أسمائهم وما قاموا به حتى لا يصير مثارًا للتفاخر والاستئثار بفعل هو أوجب عليهم أو على غيرهم. وحتى لا يمن أحد منهم على البلد أو على غيره.. أكبرت فيهم ذلك ولكنى رجوته أن يضغط عليه ليوافق أن التقيهم، فهمى الأول كصحفى يتجاوز هذا الإيثار وتلك التضحية وأميل أيضًا كباحث فى التاريخ لتوثيق الحدث بأبطاله الحقيقيين حتى لا يمتطى حصان الثورة المدعين، كما يحدث فى كل الثورات وبصورة شخصية أحببت أن أشد على أيديهم؛ لأنى أهملت اللقاء الذى كنت أحبه مع المناضلة الشابة الجميلة أسماء محفوظ التى فجرت فى مصر ثورة يناير وكانت أول من دعا إليها هكذا معلوماتى كنت أريد لقاء هؤلاء الأبطال الأربعة لأفاخر بهم الأمة العربية وشبابها حيث إن ليبيا كانت تعيش فى ظل أعتى الأنظمة، والقذافى هو أقسى حكام المنطقة وأبشعهم تنكيلاً وتعذيبًا للمعارضين ورغم ذلك خرج هؤلاء الأربعة غير آبهين بما قد يطولهم... سألت عادل أن يقودنا إلى منزلى الشهيدين سعد اليمنى وخالد خنفر فقادنا إليهما.

شهداء البيضا

أبدى أهالى الشهداء والمصابين فى ثورة الجماهيرية الليبية فى مدن البيضاء وطرابلس ودرنة وطبرق استعدادهم لتقديم الغالى والنفيس من أجل تحرير بلادهم من الطواغيت. وأنهم مستعدون لتقديم أنفسهم ودمائهم وأولادهم قربانًا لهذه الثورة وكشف الأطباء والمصابون فى "مستشفى الثورة" عن استخدام النظام المرتزقة والأسلحة الفتاكة والقنابل والطلقات الحية للقضاء على الثورة وقتل الشعب الليبى.

عشت لحظات عصيبة فى منزلى أول شهيدين للثورة وهما خالد خنفر ٢٣ سنة الطالب بكلية الآداب، وسعد حمد اليمنى٢٠ سنة حاصل على دبلوم صنايع وعاطل عن العمل. كانا أول شهداء هذه الثورة المباركة والسبب المباشر فى اشتعالها فى البيضا يوم ١٦ فبراير.

استقبلتنا عائلة الشهيد الشاب سعد حمد اليمنى، قال والده لم تكن لدى سعد أى اهتمامات ثورية أو سياسية، لكنه ككل الشباب فى ليبيا كان مكتئبًا من عدم حصوله علي وظيفة أو عمل يتعيش منه. ولا يستطيع مثل أى ليبى التحدث حتى عن المياه والكهرباء والنفط؛ لأن النظام كان يعتبر الحديث عن هذه الأشياء حديثًا فى السياسة، وهو أمر لا يجوز، وينضم إلي نفس سياق الحديث ناصر أحمد بوجيدا صديق الشهيد سعد ورفيقه فى المظاهرة قائلاً: آباؤنا زرعوا فى أذهاننا منذ الطفولة أن معمر لديه عصا سحرية يُخفى بها من يتحدث عنه وأن من يذكر اسمه وراء الشمس أو يجعله كمن أمسك بسلك كهرباء عارٍ. سألته إذًا كيف تجرأتم علي التظاهر ضده؟ فقال: لم يعد أمامنا سوى الخلاص، أو الانتحا مثل غيرنا من الشباب الذين انتحروا من الفقر والقهر ففضلن الخلاص منه لذلك انضممنا إلى المظاهرات، يضيف والد سعد اليمنى فى هذا اليوم ١٦ فبراير بقى سعد فى المنزل حتى أدى صلاة المغرب، وخرج بعد أن تلقي اتصالاً من صديق له حتى علمنا باستشهاده آخر الليل. وقد أبلغنا صهره سالم جاد وكيل النيابة الذى قال لنا عندما سمعت أن مظاهرة تجوب شوارع المدينة واتجهت إلى مديرية الأمن فاتصلت بمعارفى من ضباط الشرطة لأسأل عما حدث، فقالوا لى إن أحد أبناء عائلة اليمنى قد قتل فأردت أن أتأكد من هو؟ فاتصلت بأنيس شقيق سعد الأصغر فوجدته فى مكان آخر، فاتصلت بسعد فوجدت هاتفه مغلقًا، فاتجهت إلى المستشفى وأنا أكرر الاتصال حتى دق جرسه ورد على

مدير المستشفى الإدارى محمد العبيدى وأخبرنى أن الهاتف للشهيد فتأكدت أنه هو، وعندما وصلت إلى المستشفى لم أجد فيه سوى إصابة فى الفم، وكان تقرير الطبيب الشرعى يؤكد حدوث تهتك بالنخاع الشوكى وخروج الطلقة من الخلف. حمد اليمنى والد سعد يقول إنه لم يمنعه من المظاهرة؛ لأنها كانت سلمية. ولذلك لم أتوقع أن تطلق الشرطة على الشباب فيها الرصاص الحى، أما والدته عجبة سعد سعيد، فتقول أطلق سعد لحيته ولم يعد يحلقها حتى أجمل وأتعين أحلق ذقنى، كما كان يقول، وحلمت أمس ابنة خالته به يقول لها لقد ثُبت عند السؤال، وسمعت من صديقه ناصر بأنه حلم بعد يقول خليكو رجال لا تبيعوا دمى وأكملوا، وتضيف أم الشهيد سعد لم أحزن لاستشهاده ـ وإن حزنت لفراقه ـ لأن استشهاده أجَّج نيران الثورة فى قلوب الشباب وأسهم فى تحرير ليبيا، وكانت الكلمات نفسها علي لسان أمسقمة عبد الله محمد أم الشهيد خالد خنفر التى استقبلتنا بابتسامة تعبر عن الراحة والاطمئنان مؤكدة أن استشهاد ابنها وصاحبه كانت هى الشرارة الأولى للثورة فى البيضاء لتتحرر المنطقة الشرقية كلها فى ثلاثة أيام من قبضة القذافى ويسقط فيها النظام الدموى.

خالد خنفر ـ ٢٣ سنة ـ كان يدرس فى الفرقة الثانية بكلية الآداب، تقول أمه: كان خالد يردد بعد ثورة تونس أن محمد بوعزيزى دخل التاريخ من أوسع أبوابه ,وكان يتمنى الشهادة أو الكفاح ويوم ١٦ أغلق المحل الذي يديره مع شقيقه نجيب، وقال له

أنـا رايح المظاهـرة، فقـال له شقيقه الله معاك، وكان يحكى أنه متحمس للثورة لتحرير بلاده ,كما فعل شباب مصر وتونس، وتضيف والدته أمسقمة عبد الله :عائلة خالد من العائلات التي عانت من قهر وظلم القذافى، فقد سجن اثنين من أعمامه وهما عبد العاطى وعبد الغنى خنفر بتهمة محاولة قلب نظام الحكم عام١٩٧١، ومكثا بالسجن ١٧ عامًا، والقذافى كان يكرههما جميعًا؛ لأن والدتهما (جدة خالد خنفر) مردوعة ابنة عم عمر المختار، وهو ما جعلهما فى طليعة المجاهدين. ويحكى نجيب عن استشهاد أخيه برصاصة فى الصدر خرجت من الظهر، وقد تهتك ظهره فبدا كمن انتابته حالة صرع من انتفاضته وحركة يديه واهتزاز جسده وحملوه إلى السيارة للتوجه إلى المستشفى. لكنه قضى نحبه قبل أن تتحرك، وكانت جنازته هو وسعد اليمنى القشة التى قصمت ظهر القذافى فى البيضاء حيث انتابت الناس الحماسة وغلت دماؤهم وردت عليهم الشرطة بالرصاص الحي ليكتمل عدد الشهداء ١٤ شهيدًا وتفلت من أيديهم زمام الأمور هذا وتزداد أعداد الشهداء فى ليبيا فحيث يممت الوجه ثمة شهداء.

وبعد أن عشنا لحظات الألم الممزوجة بالفرح مع عائلتي الشهداء التقينا بالأطباء المصريين والليبيين سواء المتطوعين أو المقيمين بليبيا، وروي لنا الدكتور عبد الرحمن شاهين استشارى الجراحة بطب الإسكندرية الذى ذهب مع زملائه متطوعًا لعلاج مصابى الثورة الليبية فى بنغازى وطبرق والبيضاء ما يؤكد دموية النظام.

وكان مستشفي "الثورة" فى البيضا استقبل أول الثوار المصابين والشهداء وعجب بهم حتى أن أطباءها ـ حسب ما يقول عمر عطية الله عمر ـ قاموا بتفريغ المرضى من النساء والأطفال إلى عيادات الأطباء الخاصة الذين تبرعوا بها للثورة لإفساح الأسرة للمصابين، ويرقد عليها أكثر من ٥٦ مصابا بإصابات خطيرة غير مائتى مصاب بإصابات خفيفة سوى الذين تم علاجهم خلال ساعات وخرجوا حسب ما صرح به الدكتور محمود المسمارى نائب العظام بمستشفى الثورة، ويضيف الدكتور المسمارى أنه لاحظ أن الإصابات أغلبها فى القلب أو العين والقدم وفى مناطق حساسة. ولفت نظرنا أصغر متظاهر" فراس صالح" الذى أصيب بطلقة خارقة حارقة فى الفخذ اليسرى، وأجريت له عملية تثبيت بالبلاتين، علي طريقة "ايلى زاروف" من الخارج وهى نوعية متقدمة فى تثبيت العظام وساعد فيها وأشرف عليها الدكتور محمد الفاضل. سألت فراس لماذا اشتركت فى المظاهرة؟ فقال خرجت ثأرًا لبلادى ولإسقاط القذافى وثأرًا لأول شهيدين فى الثورة وهما صديقاى سعد اليمنى وخالد خنفر.. وأضاف فراس فى حماس نحن أحفاد عمر المختار لا نقبل العار.. ومن ضمن مصابي الثورة عماد عبد السلام إبراهيم الذي اشترك فى الثورة والتظاهر فى الأبرق والبيضاء وشارك فى حصار المرتزقة العبيد فى كتيبة "شحات" وأصيب. وحمزة إبراهيم الذى أصابه أحد المرتزقة، والأمين عبد الحفيظ محمد الذى أصيب بطلقة فى قدمه، أما أبشع الإصابات التى صادفناها فكانت لعبد الواحد عبد السلام

عبد الصادق برصاصة فى العين اليسرى أطلقها عليه أحد المرتزقة من مسافة ٣٠ مترًا بعد أن حمل أحد رفاقه من المتظاهرين عند إصابته ليضعه جانبًا فسقط بجواره ليحملهما آخرون من الثوار إلى المستشفى، وعنه يقول الدكتور المسمارى إنه قد تم استئصال العين بالكامل. أما طلال ناجى عبد الله وكان من أوائل المصابين يوم ١٦ فبراير بطلق فى الساق اليسرى أمام مفرق المصرف التجارى فى أول مظاهرة والتى انضم إليها بعد بدايتها بساعة فى الخامسة مساء، وقد فتت الرصاص عظام القدم وتم عمل تثبيت لها.

عصرًا اتجه بنا عادل فرج وبصحبتنا عمر عطية الله إلى مدينة "درنة" حيث اتفق لنا مع المقدم وسام هابيل من ضباط الميناء على ترتيب لقاء لنا مع عبد الحكيم الحصادى الذى أشار إليه القذافى فى إحدى خطبه بالساعى إلى تكوين إمارة إسلامية فى درنة مؤكدًا على أن هناك من يسعى إلى تنفيذ مخطط تقسيم ليبيا.

وفي مسجد الصحابة الذى يمثّل لأبناء المدينة ساحة للاعتصام والتجمع وغرفة عمليات لقيادة التواصل مع الثوار فى بنغازى وجبهة إجدابيا ومركزًا للعمل الثورى والعسكرى والمدنى. كان المسجد وكذلك ساحته غاصين بالمصلين والثوار، و"مسجد الصحابة" فى بنغازى ومواقع القتال استلهامًا لقيم الجهاد والكفاح من تربة المدينة التى طهرتها الأجساد الشريفة لصحابة رسول الله الـ ٧٠ الذين استشهدوا فى موقعة درنة عام ٦٩ هجرية أثناء محاولتهم ضد غزوة بيزنطية. ودفنوا فى هذا المسجد وبعد بداية الثورة دفن بجوارهم ١١ شابًا من شهداء ١٧ فبراير.

حركة دؤوبة وانفعال كبير.. لم يفتنى عمل موضوع عن المسجد والصحابة الذين طيبت أجسادهم تربة المسجد والمدينة، كان زميلى محمد عبده يلتقط صورًا للموضوع، ولكننى انصياعًا لهواى فى تكوين أرشيف خاص بى من الصور أو نشر بعضها مع موضوعات ربما لا تقدم لى صور زميلى زاوية معينة تؤكد أو تدعم المعنى فى الكلمات التى أكتبها. بدأت فى التقاط الصور أتقافز على الأسوار الواطئة أو صاعدًا على مرتفع من البناء... المغرب قد فرغ المؤذن من رفعه، بدأت الصفوف تنتظم للصلاة وأنا أحاول الإسراع. وقعت من فرط عجلتى فانكسرت كاميرتى وتعطَّلَتْ. وجُرحت ركبتىّ وظللت أعانى ألمًا فيهما طوال رحلتى فى ليبيا..، بعد الصلاة التقينا بعدد من الشباب الذين أكدوا لى بثقافتهم والتزامهم وإصرارهم، القدرة على نجاح الثورة ومنهم صهيب إبراهيم وعبد الله النوصيرى ورياض عوض الحمر وعبد الحكيم الحصادى "الأمير" المزعوم لإمارة درنة الإسلامية.

القاعدة فى ليبيا

حرب "الجهاد الأفغانية" أفرزت نماذج عديدة للشباب الذين اصطُلح على تسميتهم بـ "الأفغان العرب" وهم الذين سافروا بدعم من حكوماتهم وموافقة أجهزتها الأمنية والتنفيذية للانضمام إلى المجاهدين الأفغان فى حربهم ضد الاحتلال السوفيتى.

وكانت "قاعدة الأنصار العرب" التى عُرفت إعلاميًا فيما بعد بالقاعدة، والتى أسستها أجهزة عربية وساعدتها وقادها الثرى السعودى أسامة بن لادن. كانت القاعدة تلتقط هؤلاء الشباب وتعمل على تنظيمهم بحجة سهولة التفاهم من حيث اللغة والثقافة، حتى تعاظم دورها فى هذه الحرب، واستمر سفر هؤلاء الشباب لأفغانستان حتى بعد انسحاب القوات السوفيتية إما هربًا من حكوماتهم التى بدأت تضيِّق عليهم إما لمواجهة العدو الجديد على الأرض الأفغانية وهو "قوات الجيش الأمريكى"، وعاد البعض منهم

إلى بلادهم، وكانت ليبيا من الدول العربية التى استنفر شبابها غيرتهم على الإسلام فسافروا. وكان أكثرهم من مدينة درنة الواقعة بين مدينتى البيضاء وطبرق - وقد لاحظت ارتفاع نسبة الوعى والتعليم فيها - مما جعلها أكثر المدن التحامًا بعمليات الجهاد، خصوصًا كرد فعل على توجهات القذافى التى كانت فى ظاهرها وباطنها تزدرى الدين الإسلامى، عاد بعضهم بعد ذلك، وكثير منهم اتهمته أجهزة الأمن الليبية "بالزندقة"، وهى التهمة التى ألصقت - من نظام زنديق - بهذا الشاب الطاهر، حتى ولو لم تكن له أى انتماءات دينية مثل عبد السلام الصعيطى.

وفى أول خطاب للقذافى بعد اشتعال ثورة ١٧ فبراير وسقوط مناطق الشرق سريعًا، أعلن وجود تنظيم القاعدة فى ليبيا، واتهم مدرس التاريخ "عبد الحكيم الحصادى" بسعيه إلى تأسيس إمارة إسلامية فى درنة، لإخافة الغرب والضغط عليه لمساندته ضد "قوة الفزع الإسلامية" ودعمت بعض القنوات الفضائية هذا التوجه!! ببث مشاهد مصورة على جبهات القتال فى منطقة "هلال النفط" للثوار أثناء تأديتهم للصلاة والتقاطهم لبعض ذوى اللحى (على السنة الشريفة بإطلاقها وتهذيب الشارب أو قصه) فى لقاءات معهم ليبدو واضحًا انتماؤهم العقائدى وتشردهم من خلال المفردات التى تتضمنها أحاديثهم. ولاشك أن التوجهات الدينية موجودة فى ليبيا بحكم كونه شعبًا صحراوى وقبائليًا، وعادة ما تجد هؤلاء أقرب إلى الدين وأكثر استخدامًا لمفرداته وأحاديثه، وليبيا تحديدًا، لكون الصحراويين لم يعرفوا ثقافة غير الكُتّاب وما يُعلَّمُ

فيه من قرآن وسنة، وليبيا بها مليون حافظ للقرآن من ستة ملايين ونصف المليون هم تعداد سكانها.

وفى مشهد حضرته فى ساحة التحرير بجوار محكمة شمال بنغازى، قبيل آذان عصر أحد أيام منتصف شهر مارس، جمع من الشباب فى حلقة يهتفون ويغنون للثورة أمام كاميرات تلفزات وصحف أجنبية، اندس وسط الشباب رجل خمسينى ملتحٍ، وبدأ فى تحويل هتافاتهم بالحرية إلى هتافات دينية، والشباب ينساق وراءه بفعل الحماس، ثم أشار الرجل بيديه الاثنتين للشباب أن ينصتوا له وقد توسَّط الحلقة تمامًا وراح يلهب أسماعهم بخطبة عصماء حول نصر الله القريب، وأن كل ذلك ما حدث لولا إرادة الله التى تنصر المؤمنين، ووسط كل عدة جمل يتوقف ويعلى صوته بكلمة "تكبير" فيرد الشباب "الله أكبر". لفت نظرى شيئان: أولهما أن المصورين الأجانب الذين كانوا قد أغلقوا عدسات كاميراتهم فتحوها مرة أخرى وبدأوا فى التصوير والثانى أن صلاة العصر جماعة كانت قائمة على بعد ٧ أمتار من هذا الجمع!

لقاء البيضاء

مدينة درنة الواقعة على البحر المتوسط يسكنها ما يقرب من ٢٠٠ ألف نسمة وهى من أهم مناطق وجود الاتجاهات الإسلامية

فى ليبيا ومنها خرج أغلب الأفغان العرب الليبيين. فمن حى الساحل الشرقى وحده خرج ألف شاب للجهاد فى أفغانستان والعراق وبها أكثر شباب ليبيا التزامًا والتحامًا بالتشكيلات الإسلامية وتعتبر الوجه الإسلامى لليبيا حيث تنتشر اللحى فى وجوه الشباب والزى الأفغانى.

وحول هذه الوقائع واتهام القذافى لأهالي درنة بأنهم عملاء الغرب والأفغان قال عبد الحكيم الحصادى القيادى الإسلامى ومدرس التاريخ بدرنة لا نسعى لتكوين إمارة إسلامية أو دويلات رجعية، مؤكدًا أن القذافى يستخدم الإسلام كفزَّاعة لدول الغرب لكسب تعاطفهم معه محاولة لإنقاذ رقبته من مقصلة الثورة خصوصًا بعد أن ارتكب جرائم حرب وإبادة جماعية تستوجب محاكمته، سألته وهل لهذا الزعم علاقة بكونك من الأفغان العرب؟ فقال ربما استند على وجودى لسبع سنوات فى أفغانستان هاربًا من مطاردات جهازه القمعى لنشاطى الثورى المعارض له. ومكثت هناك فى أفغانستان فى جلال أباد وخوست وكابل، **ومتى عدت إلى ليبيا؟** عام ٢٠٠٢ بواسطة مؤسسة القذافى الخيرية فى العفو الذى أعلنه فى بداية العقد الماضى، ورغم هذا العفو إلا أن أجهزته الأمنية استمرت فى مطاردتى والقبض علىَّ بعد سجالات بالرصاص وتم سجني مرتين، الأولى لمدة ثلاث سنوات من ٢٠٠٤ وحتى ٢٠٠٧ والثانية لمدة ٤٥ يومًا، وكانت التهمة واحدة هى التحريض والتآمر لقلب نظام الحكم وهى التهمة المُعلبة الجاهزة لكل الثوار العرب من انظمتهم القمعية.. **وكيف تذكَّرك القذافى في ظل هذه الحوادث**

التي تحيط به؟ نتيجة لالتفاف الشباب فى درنة حولى وقيامى بتنسيق أعمالهم لدفع ونجاح الثورة مما أثار أنظار عملاء القذافي وجواسيسه في درنة فأرسلوا له لإثارة الفزاعة بنشوء إمارة إسلامية تحت قيادتى ويضيف عبد الحكيم الحصادى ساخرًا. لو إننى كما يقول هذا المأفون أريد تكوين إمارة إسلامية فهل تعتقد أن تكون فى مدينة صغيرة مثل درنة فضلاً عن عدم وجودى فى معسكر مسلح ومعى مجاهدون مسلحون وهى من مستلزمات الإمارة أو الدويلة أو إعلان استقلال أى مكان، وأضاف المقدم وسام هابيل الضابط بجمارك ميناء درنة والذى قادنا إلى حكيم: نحن كأبناء لمدينة درنة نعرف حكيم وهو يعيش بيننا بشكل عادى وينظم الشباب ويساعدهم فى تفاصيل الثورة ليس إلا.

سألت حكيم: وما دورك الآن وهل انضممت إلي مجلس تسيير الأمور في درنة؟ فقال دورى مع غيرى من الشباب هو حماية ميناء درنة ومداخل ومخارج المدينة وطرقها ومساعدة الشباب فى الاستيلاء علي قاعدة مطار الأبرق والقبض علي عدد من المرتزقة العبيد وتسليمهم للحكومة الائتلافية من خلال مصطفي عبد الجليل في البيضا ورفضت الانضمام إلى مجلس تسيير الأمور لإثبات عدم رغبتى أو طمعى فى أى منصب أو دور سوى دورى فى الإسهام فى إنجاح الثورة وبعدها عندما تستقر الأمور بالبلاد سأعود إلى منزلى ومدرستى وأسلّم سلاحى.

النصر قريب، وهو صبرٌ ساعة. وقد صبرنا اثنين وأربعين عامًا، هكذا ابتدرنى القاضى كمال حذيفة منسق المجلسين العسكرى

والانتقالى للثوار فى ليبيا. وأضاف: الغلبة للشعوب دائمًا، وصورة هذا النظام الفاشستى وضحت للعالم. وإن كان البعض يساعدنا على استحياء فلا سبيل أمام الجميع إلا دعمنا ونحن نتعرض للإبادة، سألته ولكن ألا ترى أن ظهور توجهات إسلامية للثوار (يفسرها البعض بالمتطرفة) هو الذى خفض من سرعة التجاوب معكم؟

قال كمال: ربما ولكن ما يراه البعض تطرفًا هو قصور فى الرؤية فالقذافى يستخدم الإسلام كفزاعة للغرب فى حين أن كل من ثار عليه ليس ذا توجه إسلامى - وإن كان فليس متطرفًا - صحيح هناك أفراد من الجماعات الإسلامية الذين تعرضوا للحبس والاعتقال ولم تصدر ضدهم أحكام وأفرج عنهم بمبادرات من المخلصين والمصلحين أمثال مصطفى عبد الجليل، ومنهم أعضاء مثلاً فى الجماعة الليبية القاتلة أو "الإخوان المسلمون" شاركوا فى القتال مع الثوار وهو حق لهم، بل وواجب عليهم كأبناء لهذا الشعب ولكنهم فى النهاية لا يشكلون سوى مجموعات قليلة وبسيطة تؤدى واجبها الثورى كأى مواطن ليبى وليس لأهداف أيديولوجية.

*** ولكنهم قد يرغبون بعد نجاح الثورة فى بسط سيطرتهم فيما بعد تشكيل حكومة وطنية ثورية؟**

- هذا ليس صحيحًا وليس منتظرًا أو مقبولاً منهم، فقد حضر إلينا عبد الحكيم الحصادى ومعه مجموعة من قيادات الجماعات الإسلامية فى درنة وغيرها من المدن الليبية، وتعهدوا أن يشاركونا

الجهاد لتوفير الحرية للشعب الليبى، وبعد انتهاء الثورة بالنجاح سيسلمون أسلحتهم وينضوون تحت راية الدولة، ولن تكون لهم أى أنشطة، وأنا أراهم بذلك غير متطرفين؛ لأن الجماعات الدينية المتطرفة عادة لا تخدم فى الجيوش المنظمة ولا تحت قيادات مدنية؛ لأن ذلك مخالف لمبادئ وعقيدة هذه الجماعات ولا يأتمرون بغير أوامر أمرائهم. عكس ما يحدث الآن على جبهات التحرير. كما أن أعدادهم لا تزيد عن ٤٠٠ مقاتل بين أكثر من خمسة آلاف من الثوار.

باب العزيزية حصن القذافى الحصين

كانت الأحاديث حولى ـ خصوصًا من العسكريين ـ عن صعوبة اصطياد القذافى فى باب العزيزية... سألت لماذا؟ فأجابوا.. باب العزيزية وهى المنطقة التى تضم إدارة النظام وقصوره الحصينة التى يتحصن معمر القذافى مع رجاله بها فى قصره المسمى قصر القبة. كانت مساحتها ٣ كيلو مترات مربعة وفيها التحكم فى الإذاعات المرئية والمسموعة (٦ أبراج بث). ثم تم ضم الأحياء المحيطة بها فأصبحت مساحتها ١٠ كيلو مترات مربعة عام ١٩٩٦ وفى عام ٢٠٠٠ بدأوا فى دفع تعويضات لأصحاب المساكن والبيوت المحيطة بباب العزيزية لإجلائهم وإزالة منازلهم بحجة التطوير، ثم ضم العمارات المقابلة لها من الجهة الجنوبية وتسكين أعضاء

عناصر كتيبة محمد المقريف وكتيبة خميس القذافى وضم غابة النصر من الجهة الشرقية بحيث أصبحت المنطقة التي يقع بها قصره تزيد مساحتها عن ٢٠ كيلو مترًا مربعًا أحيطت بثلاثة أسوار اسمنتية بارتفاع ١٢ مترا ثلاثة في عمق الأرض و٩ أمتار فوق الأرض وبعرض واحد متر وبها بوابات متغيرة الاتجاهات بكل سور (غير متقابلة) والحركة بالسيارات داخل المنطقة ممنوع إلا للدائرة الأولى (الحراسة الشخصية الخاصة بالعقيد) ويتم تغيير كلمة السر للمرور من هذه البوابات كل ٤٥ دقيقة وهى مدروسة بدقة حسب المسافة التى يستغرقها السائر على قدميه بين البوابة والأخرى (٥٠ دقيقة) خوفًا من حدوث أى اختراقات وهي من طرق عمل الموساد حسب مصدر عسكرى ليبى وداخل كل سور تقبع احدى الكتائب الخاصة بعدد جنود لا يقل عن ٣ آلاف فضلاً عن حراسته الأبراج والمدفعية والمضادات الأرضية والعربات المصفحة والدبابات، وغالبية جنود هذه الكتائب من أطفال دور الرعاية (اللقطاء الذين لا اب ولا أم لهم) وأمراء هذه المجموعات والكتائب مختارون بعناية فائقة لا تخرج عن فئتين القذاذفة والمقارحة قبيلة عبد الله السنوسى، الذى يعتبر الرجل الثانى بعد معمر القذافى فى ليبيا وتسليح هذه المنطقة وكتائبها مختلف عن باقى أسلحة الجيش وبأحدث التطورات التقنية فى التسليح العسكرى الوارد من إسرائيل.

الأصول اليهودية لمعمر القذافى

فى شارع عمرو بن العاص ببنغازى كتب على أحد الجدران "يعيش الملك إدريس ويسقط إبليس".. هذا الشارع وشوارع ليبيا الأخرى كانت فى ستينيات القرن الماضى ملتهبة بحمى الثورات العربية بداية من ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى ثورة مايو ١٩٦٩ (النميرى فى السودان) وكانت شعارات المظاهرات فى ليبيا وقتها "إبليس ولا إدريس" وهو الملك الليبى إدريس السنوسى الذى كان له تاريخ فى النضال الوطنى .. ويبدو أن الله قد استجاب لدعاء الشعب فجاء لهم بمعمر القذافى نفسه الذى لم يجرؤ شعبه على محاسبته على مليارات الدولارات التى أنفقها فى غير ليبيا وعلى غير الشعب الليبى، فى حين أن الملك إدريس السنوسى عندما احتاج يومًا أثناء عهده إلى مال لتغطية تكاليف رحلته السنوية للاستجمام فى تركيا، طلب من وزير المالية تدبيره، وبعد مناقشات فى مجلس الوزراء

وافق المجلس على صرف ٤٠٠ جنيه استرلينى للملك، كسلفة ترد من مخصصاته المقبلة. وبعد الإطاحة به اتخذ الملك القبلة وصلى ودعا على شعبه "اللهم أبدلهم بى شرًا منى" ـ وهى دعوة الإمام علىّ على العراقيين ـ وسلط عليهم الطاغية والسفاح، وهو ما تحقق فى القذافى وولده ورجاله، لم تفاجئنى عبارات الثوار والشعب على الجدران فى شوارع ليبيا بداية من "مساعد" وحتى "راس لانوف".. ارحل يا ابن اليهودية.. يسقط ابن اليهودية.. معمر اليهودى...، فحكاية أصوله اليهودية تتردد منذ سنوات فى صور مختلفة وفى حكايات متعددة.

وربما تفسرها تصرفات القذافى بداية من مجيئه على رأس انقلاب عسكرى أطاح بالملك السنوسى وحكومته الدستورية بسهولة وانتهاء بامتلاكه أسلحة دمار ثم إعلانه عنها. والسؤال هو ضد من كان يمتلك هذه الأسلحة. ولمن كانت مشترياته الهائلة من الأسلحة فجارتاه من الغرب تونس والجزائر. ومن الجنوب مالى وتشاد ـ وهما دولتان ضعيفتان ـ ومن الشرق مصر!

تعددت الروايات التى تناولت الأصول اليهودية لمعمر القذافى فمنها التى تقول أنه اشتهر فى مدينة سرت بـ "ابن اليهود" لكون أمه يهودية وزوجها إقطاعى كان يعمل لديه محمد أبو منيار القذافى ـ الذى نسب إليه معمر ـ وأن مدرسًا إيطاليًا اكتشف أصوله فعمل على صناعته استغلالاً لهذا الانتماء الوراثى ومساعدته عام ١٩٦٤ على تكوين مجموعة "الضباط الأحرار الوحدويون، التى قامت

بانقلابها العسكرى على حكم الملك إدريس السنوسى فى سبتمبر عام ١٩٦٩.

مؤكدة ـ أيضًا ـ أن هناك كتابًا بعنوان "أوراق الموساد المفقودة" وتذهب الرواية فيه إلى أنها مجموعة ملفات وجدها سائق تاكسى يونانى عام ١٩٧٥ بعد توصيله أحد الركاب جاء بها أن اليهود تعهدوا القذافى وأرسلوه إلى بريطانيا، وكانوا وراء انقلابه العسكرى، وقصة كتاب "أوراق الموساد المفقودة" والمنشور باسم جاك تايلور قد تكون خيالاً دون كاتب أو حقيقة دون شاهد. ولكنها على أى حال مما تردد حول أصل هذا الرجل، والسؤال: هل للحقيقة نصيب من ذلك؟ ربما .. وإلا فلِمَ لم تثر هذه الحكايات حول الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة مثلاً؟ وكانت أفعاله تفسر بأنها ضد الإسلام وها هو قد غرَّب تونس فاصطبغت باللون الأوروبى، فى لقائى مع الصديق محسن ونيس بفندق "تبستى" ببنغازى حكى لى عن السيدة العجوز التى أمسكت بـ "ميكروفون" الإذاعة المحلية، فى ساحة محكمة شمال بنغازى لتفرغ ما فى صدرها وقد جثم على أنفاسها دهرًا ـ كما قالت ـ وهو. أنا كنت أندهله فى سرت باليهودى.. ونحن صغار.. ليس لصفاته ولكن لأصله، حاولت وقتها بمساعدة محسن ومصدق بوكر الوصول إلى هذه العجوز لتوثيق كلامها، فلم أفلح، سألت محسن: ولماذا لم تهتم بأخذ عنوانها؟ فقال لأنى أعرف هذه الحقيقة... وأضاف لا تنسَ أنى قذافى ـ فهو ابن ونيس القذافى رئيس الوزراء الأسبق فى ليبيا ومن نفس القبيلة ـ قال: وكانت والدتى تعرف هذه الحكاية وأذكر أنى سمعت منها أن

أم معمر كان اسمها "مزالا" وكان والده أو الرجل ـ المنسوب إليه ـ محمد أبو منيار يعرف أنه ليس ابنًا له! ولذا أسماه معمر ..، ولفظ معمر فى الثقافة الشعبية الليبية أو الصحراوية له مدلول جنسى سيسئ بما يعنى المفعول به أو (المتعمر).

وبحكم صلة محسن وعلاقة القذافى بوالده ونيس القذافى ينقطع الشك ـ إلا قليلاً ـ فى يهودية القذافى لاسيما وقد تحدث محسن ونيس وغيره ممن التقيت بهم فى ليبيا عن عجائبية تربيته ويهمنا منها فقط ملمح واحد منها وهى صور فوتوغرافية التقطت له عندما قاد مظاهرة فى سبها أثناء دراسته الثانوية. عندما قاد مظاهرة طلابية ضد إجراء بعض التجارب الذرية قامت بها انجلترا عام ١٩٦١ فى ليبيا، وصور أخرى التقطت له فى مراحل عمرية مختلفة بداية من عمر ٤ سنوات، وهو أمر عجيب..، فللقارئ أن يتخيل حال ليبيا فى أربعينيات القرن الماضى. فالصور الفوتوغرافية لم تكن معروفة فيها على نطاق واسع وفى أجزاء كثيرة من الدول العربية خصوصًا الدول القبائلية الصحراوية إلا لمامًا، وفى أضيق حدود خصوصًا فى العواصم والمدن الكبرى ببنغازى مثلاً وطبرق ومصراتة وطرابلس، فكيف الحال فى سرت وهى فى ذلك الوقت لم تكن تشكل إلا محلة عمرانية صغيرة. فضلاً عن سنواته الأولى كانت فى مربع يسمى "أبو هادى" على بعد ١٥ كم منها، لذلك يثور هنا التساؤل كيف لصبى صغير أو شاب يافع فقير أن تسجل حياته بالصور.

وقد أكد المرحوم عمر المحيشى عضو مجلس قيادة الثورة فى ليبيا وأحد أبرز الضباط الوحدويين الأحرار فى إذاعة الشرق الأوسط من القاهرة عندما انشق على القذافى عام ١٩٧٦ وهرب إلى مصر. بأن معمر ولد لأب يهودى وأم يهودية وأنه نُسب زورًا إلى محمد عبد السلام أبو منيار.

تذكرت جملة "تشرشل" التى قالها فى خمسينيات القرن الماضى "تركنا الشرق الأوسط وتركنا فيه مشاكل لمائتى عام قادمة"، وربما يرى معى القارئ الممعن فى تاريخ الانقلابات العسكرية أن صحة الجملة - كما أتصورها - تركنا الشرق وزرعنا فيه "عملاء" لمائتى عام قادمة... وهو ما يمكن أن ينطبق على معمر القذافى دون شك. وإن كان هناك شك فى صحة أوراق الموساد المفقودة فهى بلا شك ترسو بنا مع غيرها من الحكايات على شاطئ محتمل للحقيقة.

جاءت الورقة الثانية فيها بعنوان استقطاب وتجنيد القادة.. وأنهم استطاعوا بواسطة بروتو كرايسكى السجين النازى أن يسيطروا من خلاله على العقيد القذافى وبدون كرايسكى فإن العقيد القذافى كان سيفلت منذ زمن طويل، وأن اتصالهم (الموساد) الأول بالقذافى كان بواسطة يهودى إيطالى كان يعمل أستاذًا بجامعة بنغازى. عرف بالمصادفة أن جدة القذافى من أسرة يهودية. وأن القذافى كان جديرًا بالاهتمام، فقد كان يأمل أن يصبح طالبًا بالكلية العسكرية فى بنغازى وإلى عميل إسرائيلى فى إيطاليا بعد عدة أشهر وصلت المعلومة وتم إبلاغها إلى تل أبيب فالتقطها الموساد.

ومن خلال رحلة كرايسكى إلى برقة لزيارة مقابر النمساويين تمكن بسهولة أن يستخدم القذافى كوكيل أو مرشد طوال زيارته.. بعدها تم حث القذافى على التقدم بطلب الانضمام إلى بعثة تدريبية بالخارج. وسافر إلى فرنسا وهناك زرعوا فى ذهنه أنه يمتلك قدرات هائلة تمكنه إذا أراد أن يكون قائدًا لليبيا وربما للعالم العربى كله، وهو الوهم الذى عايشه طوال حكمه وأعلنه فى سنواته الأخيرة كعميد للحكام العرب وملك ملوك إفريقيا وإمام للمسلمين، وحددت أوراق الموساد المفقودة بأن الوقوف بجانب القذافى هدف بعيد المدى، عاد عليهم بمردود لا بأس به على شكل نزاعات تمكن من التحريض عليها بين مختلف الدول العربية؛ وهو ما تجلى خلال الحرب الأهلية فى لبنان؛ حيث كان القذافى يدعم جميع المتحاربين، مثل الموارنة التى كانت أسلحته تصلهم عبر مرفأ جونيه، والفصائل الفلسطينية المختلفة تصلهم أسلحته عبر مرفأ صيدا، وكذلك دعمت ليبيا الشيعة لإنشاء حركة المحرومين وأفواج المقاومة اللبنانية (أمل) ووصل التعاون إلى عقدته الدرامية بلقائه بالإمام موسى الصدر فى طرابلس ليغيبه بعدها. وهو ما اعترف به رفيقه الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة فى حديثه المسجل فى طهران بتاريخ ٤/ ٥/ ١٩٧٩ عندما كان فى زيارة إلى إيران بصفته رئيسًا لوزراء ليبيا[١]

---

(١) تسجيل صوتى لدى المجلس الإسلامى الشيعى الأعلى فى لبنان.

عندما قال "ليبيا هى الوحيدة التى تسلح الفلسطينيين واللبنانيين، ولم يكن عند الفلسطينيين سلاح إلا بعد الثورة فى ليبيا.. وأنا مكثت ٥٨ يومًا فى لبنان وتعرضت للموت ١٤ مرة. كنت أقول لحافظ الأسد (الرئيس السورى آنذاك) لا يمكن للدبابات السورية أن تضرب المسلمين فى لبنان، نحن عملنا مغامرة لما كان السوريون هاجمين على الفلسطينيين والمسلمين فى لبنان. وكانت إسرائيل تقفل البحر الأبيض المتوسط. عملنا مغامرات شديدة جدًا، ودفعنا أجور البواخر ٤ أضعاف وإسرائيل ضربت الباخرة الليبية ناقلة السلاح.

وإذا كانت آلة الإعلام اليهودية القوية قد وأدت انتشار كتاب المؤلف الفرنسى الذى رصد أحداث ١١ سبتمبر فى أمريكا الذى كان أشبه برسالة دكتوراة أو تحقيق استقصائى مطول ذهب فى نتائجه إلى مسئولية اليهود عنها فإنها أيضًا وأدت اتهام الملك السعودى عبد الله ـ فى مؤتمر القمة العربية فى الدوحة ـ مارس ٢٠٠٩ للقذافى بالعمالة، ورغم تجرأه على الملك السعودى ومقاطعته للشيخ حمد بن خليفة أمير قطر بصفاقة إلا أن الجميع صفق للقذافى.. وتمت مصالحة بين الثلاثة وكما يقول المثل "حد العجب سبعة أيام" وبالفعل ما إن مر أسبوع على هذا المؤتمر حتى توارت هذه الاتهامات إلى النسيان وهو نفس ما حدث قبل أربعين عامًا ومر أيضًا دون التوقف عنده بعد ثورته بخمسين يومًا فى مؤتمر الرباط(٢) وحضره القادة والرؤساء العرب والذى استهل القذافى

(١) قمة الرباط ٢٠ ديسمبر عام ١٩٧٠ لدعم مصر فى معركتها.

حضوره بالمناداة على الملوك بأسمائهم مجردة وتهكم على الألقاب التى كانت تسبق أسماءهم، بل وقام بتمزيق اللوحات الورقية التى تحملها مثل حضرة صاحب الجلالة.. حضرة صاحب الفخامة. وعندما بدأ الفريق محمد فوزى وزير الحربية المصرى فى تلاوة تقريره الشامل عن التحضيرات العسكرية ضد إسرائيل. قاطعه العقيد قائلاً "هل من الحكمة كشف الأسرار الخطيرة أمام جميع الحاضرين بينما من المؤكد أن أحدهم سيقوم بإبلاغ كل ذلك إلى إسرائيل". وبالطبع فشل المؤتمر فى تحقيق الهدف منه. وهو ما يطرح علامات كثيرة للتعجب!! فمثل هذه الاتهامات وعلى هذا المستوى من السلطة لا يمر على الصحافة بهذا الشكل إلا بفعل فاعل، فمن ذلك الفاعل الذى تعمد ذلك؟!

وحسب ما جاء فى الكتاب أنهم "أى الموساد" سألنا القذافى عما يتوقعه منا وكذلك ما نريد نحن منه بالمقابل .. وأنه عندما يأتى الوقت المناسب سيمكننا تزويده بخطة عن كيفية استيلائه على الحكم، وأسماء من يمكن أن يثق بهم، وإرشادات عن كيفية اختيار هؤلاء الذين يحوم الشك حول ولائهم(١). وأيضا سنزوده بأسماء من سيتحولون إلى أعداء له. وأننا سنمنحه الدعم المادى وأننا لدينا فريق جيد فى ليبيا يعرف البلد عن ظهر قلب.

ويؤكد الكتاب.. "لحسن الحظ عند الانقلاب لم يكن فى ليبيا من يتمتع بروح كافية لتصعيد أو لتزعم المقاومة ضد "ثورته" التى

---

(١) طلب من عبد الناصر.

كانت تشبه الأوبرا الكوميدية فلو كانت هناك مقاومة. لانهارت هذه الثورة كما ينهار بيت من ورق".

وإن كان هناك شك فى مصدقية هذا الكتاب وحقيقة وقائعه إلا أنه يقترب من حقائق الأمور، الأمر اللافت للنظر أن الملازم الأول معمر القذافى أعلن أمام الوفد المصرى الذى أرسله عبد الناصر لمؤازرة الثورة الليبية يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٩ أن القواعد العسكرية الموجودة فى ليبيا. ليست مشكلة صعبة بالنسبة للثورة الليبية حيث إن ليبيا على استعداد لمقاومة أى تدخل إنجليزى مهما كان الأمر. وهى ثقة غريبة على مجموعة من الضباط قاموا بانقلاب لا يمتلكون أى قدرة على مواجهة أى محاولة للتمرد أو الانقلاب عليهم أو سحقهم. خصوصًا وأن القاعدة الإنجليزية لا شك تمتلك قدرات عسكرية عظيمة. الأهم هنا. لماذا لم يشر إلى تدخل أمريكى وكانت هناك قاعدة أمريكية[١].

وفى ٢٥ فبراير ٢٠١١ أجرت القناة الثانية فى التليفزيون الإسرائيلى لقاء مع عجوز تدعى راشيل سعادة ـ من يهود ليبيا ـ قالت فيه إنها ابنة خالة القذافى تحدثت حول الأصول اليهودية وعلاقاتها به، وفى خبث بدأ مقدم البرنامج حلقته ساخرًا بقوله: نحن نسأل نفس السؤال الذى سأله أحمدى نجاد هل القذافى يهودى الأصل؟! وقالت السيدة: إن أم القذافى يهودية هربت مع عربى مسلم بعد أن أنجبته لأن زوجها كان يعاملها معاملة سيئة. وهذا العربى المسلم هو مُحمد عبد السلام بومنيار!!

(١) مذكرات اللواء السعدنى ـ سفير مصر السابق فى ليبيا.

وإن كان دخول إسرائيل فى اللعبة وإعلانها من خلال هذا البرنامج يمثل سياسة "حرق الحليف" كما فعلوا مع حسنى مبارك عندما سربوا إلى وسائل الإعلام الدولية خبرًا مفاده مطالبة نتنياهو لقادة الدول الكبرى مساعدة مبارك للحفاظ على نظامه وهو ما يجرنا - ولكن فى كتاب آخر - حول علاقة هذا الدعم الغربى والأمريكى للثورات العربية من منظور مخطط الشرق الأوسط الجديد، ونظرية الفوضى الخلاقة، ولا ينفى بالقطع يهودية القذافى. الذى لم يستطع حكمه بالحديد أن يمحو من عقول الكثير من أهل هذا البلد الطيب حكايات أصله اليهودى، وقد سمعته من أفواه عدة، فهناك حكايات كثيرة تتناثر حول هذا الأصل ومنها ما سمعته من حفيدة أحد ملوك النيجر على لسان قس إيطالى كان يعمل فى كنيسة ترهونة فى ليبيا بأنه أخبر سفير ليبيا فى روما بهذا السر عام ١٩٨٤. مما كان سببًا فى قتل السفير وقد كانت مجلة أوجى الإيطالية عام ١٩٧٠ قد نشرت ما دلل على يهودية القذافى وهناك أيضًا بالرسالة التى وردت لسفارة ليبيا بروما عام ١٩٧٢ من قبل كاردينال مدينة ميلانو - سلمت للسفير خليفة عبد المجيد المنتصر. يذكر الكاردينال فيها العقيد بالدماء المسيحية واليهودية التى تجرى فى عروقه ويناشده بموجب ذلك أن يلعب دورًا فى التقريب بين أصحاب الديانات الثلاثة. أما فى مجلة "إسرائيل اليوم" التى استندت على رواية السيدتين الإسرائيليتين. بأن أم القذافى هربت من زوجها اليهودى فى سرت وتزوجت مسلمًا من قبيلة القذاذفة القحوص.

وهناك العديد من الشواهد حول علاقته باليهود والتى جللها مدهم له بالأسلحة خلال حربه على شعبه إبان هذه الثورة الشريفة (١٧ فبراير).

أو كما سمعت من عبد الفتاح يونس رئيس أركان الجيش الوطنى الثورى وعبد الحفيظ غوقة المتحدث الرسمى للمجلس الانتقالى عن الأسلحة الحديثة التى حارب الثوار بها، وغنموا بعضها ومنها قنابل عنقودية ويدوية صناعة إسرائيلية. وما شاهدته بنفسى فى معرض الغنائم المتواضع أمام محكمة شمال بنغازى.

وأيضًا ما أعلنته حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين عن دور القذافى ومخابراته فى تسهيل عملية اغتيال مؤسسها وأمينها العام السابق الدكتور فتحى الشقاقى فى مالطا على يد الموساد فى أكتوبر ١٩٩٥، بعد عودته من ليبيا التى سافر إليها للتوسط لدى القذافى لإعادة الآلاف من الأسر الفلسطينية المقيمة فى ليبيا والتى طردها إلى الحدود المصرية، وكان الشقاقى وقتها يحمل جواز سفر ليبيًا باسم "إبراهيم الشاويش" وسافر إلى ليبيا وغادرها سرًا، بما يعنى أن أحدًا لم يكن يعلم بتحركه إلا العقيد ودائرة ضيقة جدًا من المحيطين به. وكان الشقاقى بارعًا فى حيل التخفى والتنكر للتمويه، وبعد اغتياله رفض العقيد القذافى تعاون نظامه فى التحقيقات التى أجرتها المنظمة للتوصل إلى كيفية وصول الموساد إليه! وأمر بعدم مدها بأية معلومات عن ذلك، وعثر ثوار "١٧ فبراير" على وثيقة باللغة العبرية تؤكد تورط إسرائيل فى دعم القذافى بالمرتزقة

لاستخدامهم فى قتل شعبه حيث ضبطت الوثيقة لدى أحدهم الذى اكد أن مكتبًا إسرائيليًا فى تشاد هو من سلمهم عقود عمل فى ليبيا.

وعلى خطبه، يعلق جبريل العبيدى مؤكدًا استخدامه للألفاظ الواردة فيها بما يتفق مع منهج التطهير اليهودى -PURITANI-ANS. عندما نادى بـ "تطهير ليبيا دار دار، زنقة زنقة"، كما جاء من تهديد الرعب فى البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون، والذى يقول: ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذى دارت دوائره بالناس"، وكذلك اختياره ليوم ٧ أبريل من كل عام مناسبة لتصفية وقتل معارضيه وشنقهم وسط الميادين العامة. فى مهرجانات احتفالية، وهذا اليوم ٧ إبريل هو عيد الفطر التلمودى اليهودى الذى تسفك فيه الدماء عند المذابح فى المعابد اليهودية، والدارس لسفر حزقيال من نصوص الكتاب المقدس The Bible من نسخه الملك جيميس المعروفة بـ KJV فى الإصحاح ٣٨ سيدرك سر وجود القذافى على سدة الحكم فى ليبيا بمساندة المسيحية الصهيونية (الإنجيليين) المتطرفة التى تؤمن بأن الحرب الكونية (هر مجدون) ستبدأ من ليبيا التى ستكون منطلق الحرب على المسيح فى مجيئه الثانى فى بداية الألفية الثالثة، ولذلك حرصوا على مساعدته للقيام بثورته، وتم تجنيده بعد أن استشعروا خطورة وجود ملك دستورى متدين وذى توجه إسلامى متصوف ومجاهد سابق. وفى بروتوكولات حكماء صهيون أيضًا هناك بند "التخلص من الملوك واستبدالهم برؤساء جمهوريات" حيث يصعب على عملائنا شراء الملوك.

ومن عجائب توافق عقلية القذافى مع الدم اليهودى الذى يجرى فى عروقه - عند صحة يهوديته - ازدراؤه لنبى الإسلام سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) الذى لم يصل عليه أبدًا فى أى حديث ولم يذكره إلا بلفظ "محمد" فقط رغم إنه يصلى على سيدنا عيسى المسيح ابن مريم فى خطبه، وكذلك رغبته فى محو كلمات من القرآن مثل إلغاء كلمة "قل" على اعتبار أنها كانت أمرًا موجهًا للنبى فقط.

ولذا لم يكن مستغربًا أن يعلن القذافى أنه ليست هناك عداوة بين العرب واليهود، بل إن اليهود هم أبناء عمومة للعرب العدنانية، وعندما تم "اضطهادهم" استضافهم إخوانهم العرب، وأسكنوهم معهم فى المدينة ومنحوهم "وادى القرى" الذى سمى بهذا الاسم نسبة للقرى اليهودية. وبذلك فإنه - القذافى - لا يرى مانعًا فى إنشاء دولة واحدة تضم اليهود والفلسطينيين ويكون اسمها "إسراطين"، ولأن سيف "الإسلام" ابنه كان مرشحًا كخليفة لوالده فى حكم ليبيا، فليس من المستغرب أن يرتبط بعلاقة غرامية بالممثلة الإسرائيلية "أورلى فاينرمان" وكان يلتقيها بصورة شبه دائمة فى روما، بعد اتخاذ كل التدابير الأمنية والتمويهية لتضليل أى متابعة مخابراتية أو إعلامية. وقد أشارت صحيفة معاريف إلى ذلك فى مطلع عام ٢٠٠٦ قبل عام من هذا الإعلان الذى تم وأده أيضًا ولم يأخذ ما يستحق من النبش الإعلامى كونه خبرًا مثيرًا وغريبًا على طريقة "رجل عض كلب".

قبلها فى مايو ٢٠٠٥ عند حضور سيف "الإسلام" أعمال المنتدى الاقتصادى العالمى فى "الشونة" الأردنية على البحر الميت، قال: إن بلاده لا تشعر بالحساسية إزاء التعامل مع إسرائيل ففى ضوء حقيقة أن ليبيا تعتبر نفسها دولة أفريقية أكثر من كونها دولة عربية، وعندما انضمت ليبيا إلى الاتحاد الأفريقى. وضعت الصراع العربى الإسرائيلى جانبًا، وأضاف "سيف" أمام المؤتمرين: أنه اقترح قبل عام مضى (٢٠٠٤) أمام المعهد الملكى البريطانى للدراسات الاستراتيجية إقامة جمهورية فيدرالية فى "الأراضى المقدسة" ـ هكذا قال، ولم يقل فلسطين ـ يعيش فيها العرب واليهود وتتكون من خمس ولايات عاصمتها القدس.

وبعد كل ذلك لم يكن من المستغرب أن تكشف صحيفة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية[١] عن رسالة القذافى فى أيامه الأخيرة فى الحكم إلى روفائيل لوزون رئيس طائفة يهود ليبيا الإنجليز والتى ارسلها له بالفاكس يوم ٢٩ مايو ٢٠١١ يدعوه ويهود ليبيا المقيمين فى بريطانيا إلى زيارة طرابلس بعد أن وصفهم بأنهم مكون أساسى فى المجتمع الليبى، للمشاركة فى الحوار حول مستقبل ليبيا.

---

(١) جريدة الأهرام ـ الخميس ٩/ ٦/ ٢٠١١.

القذافى وتخريب مصر

والصورة النفسية التى رسمتها للقذافى المخابرات الأمريكية ربما تفسر الاضطراب الفكرى المصاحب له والتى تذهب إلى أنه بسبب ظروف خاصة تعرض لها فى طفولته امتص بشكل مبالغ فيه الخصائص البدوية المتمثلة فى المثالية الساذجة والتعصب والإحساس الحاد والحساسية تجاه الإهانة.. ولكنها لم تقترب من حساسية هذه الإشاعات فى حال لم تكن صحيحة، ولا شك لدينا أن هذا التقرير[1] قد تعرض للبتر عند النشر أو اقتطع منه الجزء الذى نتصوره - إن كان ورد به - وهو أن ما تعرض له فى طفولته - ربما - يكمن فى معرفته بأصله اليهودى أو كما أكدته عجوز ساحة التحرير "أنهم لم يكونوا ينادون عليه إلا بـ يا يهودى" .. هذا الأصل.

---

(١) الحجاب - الحروب السرية للمخابرات المركزية الأمريكية بوب وود وارد - سينا للنشر - القاهرة ١٩٩٠ - ترجمة سامى الرزاز.

الذى تؤكده أفعاله المعروفة أو التى سيكشف عنها التاريخ بعد إزاحته ومحاكمته... ومنها خطيئته بدعم إثيوبيا فى حربها ضد الصومال عندما أعلن سياد برى الرئيس الصومالى السابق حربًا جهاديةً على إثيوبيا لاستعادة إقليم أوجادين المسمى إقليم الصومال الغربى، فقامت ليبيا بتدريب ٢٠ ألف أثيوبى فى ليبيا، ودعم إثيوبيا بخمسة آلاف جندى ليبى للمشاركة فى قتل إخوانهم العرب المسلمين فى الصومال، بعد أن تمكن الجيش الصومالى وقوات جبهة تحرير الصومال الغربى من السيطرة على ١١٢ مدينة وقرية فى الإقليم، واعترفت إثيوبيا وقتها بفقد سيطرتها على ٨٥ ٪ من أراضى الإقليم وأن قواتها منيت بخسائر جسيمة فى المعارك[١] ولم يدعم القذافى الجانب الأثيوبى على الأصعدة العسكرية والسياسية فحسب، بل وتبنى أيضًا دعم الجبهات الصومالية العسكرية المعارضة لحكومة سياد برى بعد انتهاء الحرب التى خسرتها الصومال، وقام القذافى بتمويل هذه الجبهات المناهضة واحتضنها، وأهمها جبهة عبد الله يوسف العقيد المنشق على سياد برى، الذى ساعده القذافى ومده بالمال والأسلحة والتدريب فى ليبيا، ومعه عدد من ضباطه الأصاغر ومنهم عبد الغنى صلاد ـ نائب وزير الإعلام الحالى بونت لاند ـ وعثمان عبد الله المشهور[٢] بـ (ديانا) والذى أنشأ عام ٢٠٠٩ ميليشيات أمريكية من شباب

---

(١) مشكلة الصومال الغربى وأثرها على العلاقات الأفريقية، محمد إبراهيم عبدى ـ تقديم د. سيد فليفل ـ دار الفكر العربى القاهرة، ٢٠١٠.

(٢) ١١ يومًا فى أوكار قراصنة الصومال ـ أيمن السيسى ـ مخطوط تحت الطبع.

صومالى تمهيدًا للاستعانة بهم فى تمشيط الأرض وتمهيدها للقوات الأمريكية التى تعتزم النزول إلى أرض الصومال عام ٢٠١٣ حسب مخطط حصلنا على بعض تفاصيله، وكان عبد الله يوسف المسمار فى انهيار دولة الصومال الكبير. مدعومًا من ليبيا وإثيوبيا ومن وراءهما أمريكا وإسرائيل، وقفز على حكم إقليم "بونتلاند" برعاية إثيوبية قبل سنوات. وظل يحظى فى منفاه أو مستقره باليمن بعد خسارته الانتخابات الرئاسية فى بونت لاند عام ٢٠٠٩ بالدعم المالى الليبى الأمريكى، ولا شك أن الهدف الأقرب عند القذافى تفتيت الصومال، وهو ما حدث فعلاً، كما فعل فى لبنان، وإذا نظرنا إلى خارطة الصومال الحالية. وما آلت إليه أوضاعه متذكرين حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومساهمة الصومال فى دعم مصر بإغلاق مضيق باب المندب بواسطة البحرية المصرية المظفرة، فإن هذا التفتيت لا يصب إلا فى صالح إسرائيل ضد الأمن القومى المصرى الذى هو الحارس للأمن العربى كله، مما يميل بنا إلى التأكيد على يهودية الرجل أو على الأقل عمالته، والتى استمرت إلى الآن فى اليمن. ومن المعلومات التى تأكدت منها خلال وجودى فى اليمن قبل نهاية العام ٢٠١٠ هو افتتاح فندق كبير بعدن بأموال القذافى أشرفت عليه ولازالت ـ كما أعتقد ـ المخابرات المركزية الأمريكية، والعالم بخريطة البحر الأحمر أو الناظر إليها سيجد أن عدن هى الطرف الشرقى لباب المندب المقابل لبربرة ميناء الصومال جنوب جيبوتى فى الجانب الغربى مما يصعب من قدرة أى جهة غربية أو دولية السيطرة على هذا المضيق دون موافقة

الدول العربية الواقعة عليه (جيبوتى ـ الصومال ـ اليمن). ولا شك أن المنطلق الصهيونى فى فكر العقيد هو نفسه الباعث لما فعل مع مصر بداية من سحب وإعادة طائرات الميج التى قدمتها ليبيا لمصر لاستخدامها فى حرب أكتوبر، عندما سارعت ليبيا بعد الحرب فى رسالة من المقدم طيار صالح الفرجانى قائد سلاح الجو الليبى إلى الفريق طيار حسنى مبارك قائد القوات الجوية المصرية. ثم فى رسالة أخرى من المقدم أبو بكر يونس جابر رئيس أركان القوات الليبية إلى وزير الحربية المصرى مزيلة بجملة تفيد (بأنه فى حالة عدم إعادة هذه الطائرات فسوف تضطر ليبيا آسفة أن تعلن على العالم أجمع أن مصر قد استولت على الطائرات[١]).

وقبلها كانت ليبيا فى خطوة استعراضية قد أبلغت مصر عبر السفير صلاح السعدنى أنها جاهزة لتوفير احتياجات مصر البترولية والمقدرة بـ ٤ ملايين طن. وبدأ الضخ فعلاً فى ١٨ أكتوبر، وعندما وافقت مصر على وقف إطلاق النار، توقفت ليبيا بأمر العقيد القذافى عن ضخ البترول فى الناقلات المصرية الموجودة بالموانئ الليبية وإعادتها إلى مصر فارغة، وكان كل ما تم شحنه إلى مصر لا يزيد عن ٨٠ ألف طن فقط.

أما فى (٧ أكتوبر) اليوم الثانى لمعركة النصر (أكتوبر ١٩٧٣) فقد طالب القذافى مصر بضم إذاعة صوت العرب من القاهرة إلى إذاعة طرابلس لنقل خطاب سياسى هام سيقوم بإلقائه وسط

---

(١) مذكرات اللواء. صلاح الدين السعدنى سفير مصر فى ليبيا من ١٩٦٩ ـ ١٩٧٦ ص ٢٤٢ ـ مخطوطة.

الجماهير فى التاسعة مساء، وانتظرت الجماهير كلمة القذافى التى لم يبدأها إلا فى الحادية عشرة. وكانت من أكبر خطاياه ومصائبه التى حطت فوق الرأس المصرية والعربية خصوصًا القادة والجنود المصريين على الجبهة حيث ثبطت حماسهم أو كادت وزرعت فى نفوسهم اليأس؛ لأنه تحدث مشككًا فى قيادات مصر العسكرية ونصرهم المبين.

وحذر من الإفراط فى الفرحة وتصديق القيادة العسكرية المصرية بما تنبأت به من تحقيق النصر الكامل، إذ شكك فى إمكانية تحقيق النصر، مؤكدًا أن الخطة التى طبقتها القيادة العسكرية لا تنبئ بذلك، وأبدى فى كلمته توقعه بحدوث كارثة جديدة. وأعلن براءته من المعركة، وكان لهذه الكلمات تأثيرها على معنويات رجال القوات المسلحة، ولنا جميعًا أن ندرك حجم وقوة تأثير هذه الكلمات على مصر، المهم أن ما لفت انتباهى عند قراءتى لمذكرات السفير هو توقع القذافى لحدوث كارثة جديدة (دعنا من تبرأه من المعركة فهو لا قيمة له أو هكذا كان السادات يتعامل معه) أو ما قاله الرائد عمر المحيشى رفيق القذافى وعضو مجلس قيادة ثورته عندما دخل إلى غرفة عمليات القوات المسلحة المصرية واطلاعه على موقف الجيوش المصرية الموضح على الخرائط، متنبئًا بحدوث ثغرة بين حدود الجيشين الثانى والثالث وحدد موقعها. وبالفعل حدثت الثغرة وبذلك لابد أن نقف عند توقع القذافى المحيشى يوم ٧ أكتوبر بحدوث كارثة. رغم أن سير العمليات العسكرية منذ بداية المعركة ـ وحتى حدوث ثغرة

الدفرسوار ـ كان سيرًا يؤكد متانة الموقف المصرى وقوة الجيش الذى سحق خطوط ومواقع العدو خلف خط بارليف، واقتحامه هذا السد المنيع، وعبوره المظفر للمانع المائى ـ قناة السويس.

لماذا توقع القذافى ذلك. وهل هو فعلاً توقع أم هى معلومة عرفها!! أو نقلها إلى جهة ما لتحدث الثغرة؟! وإن ما تنبأ به المحيشى بالثغرة وهو يقف وسط أساطين الحروب فى الشرق الأوسط وكبار قادة المنطقة وعقولها العسكرية الفذة بما يمثلون العسكرية المصرية بتاريخها المشرف عمداء ولواءات وفرقاء لينبههم إلى ما غمض عليهم. فإن ذلك إما يكون معلومة أو رسالة ما سربها عمر المحيشى. وإلا فإن الواجب محاكمة هؤلاء القادة على تهاونهم بتهمة ترقى إلى الخيانة نظرًا لتركهم أرض المعركة مفتوحة لتحدث هذه الثغرة! وعدم اعتدادهم بتنبيه معمر.

ولكن هل يمكن ربط كل ذلك بالتلميحات الإسرائيلية والتى ـ رغم مرور سنوات تسمح بالإفصاح ـ لم يكشف اليهود عن أوراق معينة تخص حرب أكتوبر ـ وتورط ليبيا ـ إن صح هذا التخمين ـ ضد مصر. وتلمح عدة مصادر منها ما هو إسرائيلى(١) إلى دور ليبى فى تسريب معلومات عسكرية خطيرة خاصة بحرب أكتوبر إلى إسرائيل فحسب تقرير خاص لشُعبة الاستخبارات العسكرية برقم ٤٣/ ٧٣ من بين الإجراءات المتكررة فى مصر والتى يمكن أن تفسر على أنها بمثابة استعداد لاستئناف الحرب ثم نصب سرب من طائرات الميراج من ليبيا بعد إحضاره إلى مصر.

---

(١) تقرير لجنة إحرانات للتحقيق فى إخفاق إسرائيل فى حرب أكتوبر.

وأن هناك سرب طيران آخر سينتقل من ليبيا إلى مصر يضم من ٣٠ إلى ٣٥ طائرة وأنه فى مطلع أبريل ١٩٧٣ تم تنظيم "قطار جوى" بين مصر وليبيا لتسليم مصر قطع غيار لطائرات الميراج. وأن الاتفاق بين الدولتين على أن تتسلم مصر ١٠٨ طائرات من ليبيا وأنه فى ليلة الحرب سترسل ليبيا سربًا إضافيًّا من طائرات الميراج.

وربما يكون السادات وقادته العسكريون قد استشعروا شيئًا ما لذلك عندما حضر القذافى يوم ٢٠ أكتوبر إلى مصر ومعه الرائد عبد المنعم الهونى وطلب من المسئولين العسكريين اصطحابه إلى مركز القيادة الرئيسى للاطلاع على الموقف العسكرى فى غرفة العمليات. وطلبوا منه تأجيل ذلك عدة ساعات، شعر أن هناك ما يريدون إخفاءه عنه. فسكت وعاد إلى ليبيا برًا ليلتقى فى طبرق بضباط القاعدة الجوية فيها، فسألوه عن الموقف فنطق.. قائلا "إذا كانت حرب ١٩٦٧ نكسة كما قال عبد الناصر فهذه الحرب وكسة".

وبدأت الصحافة الليبية فى شن حملة شعواء من التجريح والإهانات لمصر ورئيسها بما فيها من تخوين لقبولها وقف القتال وبدء المباحثات مع إسرائيل (المعروفة بالكيلو ١٠١) والتى قال عنها القذافى فى رسالة إلى السادات "أننى أغضب حتى الثمالة ولا أنام"، أو كما صرح بنفسه للسفير صلاح السعدنى يوم أول ديسمبر ١٩٧٣ عندما استدعاه للقائه فى مكتب وزير الخارجية الليبى ليطلب منه إبلاغ السادات استياءه الكامل من موقفه فى التفاوض مع إسرائيل وأنه قد بات متأكدًا من استسلام مصر للهزيمة.

وقد تكرر ذلك فى مؤتمر القمة الإسلامى فى "لاهور" فبراير ١٩٧٤ بعد أن سافر القذافى بصحبة السادات إلى السعودية واجتمعا مع الملك فيصل ثم أديا العمرة معًا وأقسما وأيديهما على جدار الكعبة بالحق أن تكون المحبة والمودة رابطهما فى مواجهة التحديات التى تواجه بلديهما، وسافرا من مكة إلى لاهور لحضور المؤتمر وهناك كانت المفاجأة التى واجهت السادات بعد وصوله، عندما أبلغه السفير المصرى أن أعضاء السفارة الليبية يقومون بتوزيع منشورات على وفود الدول المشتركة فى القمة وعلى كل من حضر المؤتمر من إعلاميين تصف فيها حرب ـ أكتوبر بالمهزلة والتآمر!!

هناك حادثة ذات دلالة. وهى المعلومات التى وصلت للقذافى عن سعى مصر لإغراء الرائد المحيشى بعد هروبه إلى تونس إثر انكشاف محاولته الانقلاب على معمر ـ باللجوء إليها وذكره للسفير صلاح أسماء الشخصيات التى قامت بالاتصال بمعمر مع تحديد نص أحاديث المقابلات والاتصالات، وإشارته إلى معرفته بخطة مصر لنقل المحيشى من تونس إلى لندن ثم القاهرة، وكان رد السادات على السفير صلاح السعدنى عندما أبلغه بمعرفة القذافى بذلك قائلاً "هم كانوا معانا ولا إيه"(١).

حادثة أخرى لا تقل دلالة فيما حكاه لى المناضل محسن ابن ونيس القذافى آخر رئيس وزراء للعهد الملكى فى ليبيا "وما يؤكد

---

(١) مذكرات السفير صلاح السعدنى.

الدور الأمريكى فى ثورة القذافى فى عام ١٩٦٩، وأد أول محاولة للانقلاب عليه يوم ٢٠ سبتمبر، عندما اتفق عدد من الضباط الأعلى رتبًا منهم آدم الحواز وعبد الكريم عبديه وموسى أحمد على الانقلاب. وتوجه آدم إلى السفارة الأمريكية لطلب مساندة أمريكية أو على الأقل عدم التحرك ضدهم، فطلب مسئولو السفارة منه تعريفهم فى كشف مكتوب بأسماء مجموعته، حتى يحددوا موقف أمريكا منهم. وبالفعل كتب لهم الأسماء، وفى الصباح ـ وقبل تلقى رد السفارة ـ تم القبض عليهم جميعًا.(٢)

وفى مقابلة مع المناضل مصدق بوكر فى بنغازى حكى لى أيضًا ما يؤكد ـ من وجهة نظره ـ علاقة القذافى الوثيقة جدًا بالإسرائيليين ـ وأنه استدل على هذه العلاقة من خلال "مفتاح البترو (الطمينا) "الذى شاركه زنزانة السجن لسنوات خصوصًا فى عنبر المؤبد بسجن "بو سليم" ـ وأصله تونسى كان والده جاسوسًا لفرنسا على التونسيين ـ وأخبره بنفسه، أنه حكم عليه متهمًا فى قضية تجسس لصالح إسرائيل. وذكر بترو لمصدق أنه بدأ عمله قبل السجن كسفرجى فى السفارة الليبية فى إيطاليا، وترقى خلال ستة أشهر إلى أن وصل ليكون مديرًا لمكتب السفير. وأنه ظل ينقل لليهود كافة أسرار السفارة ثم انتقل لمرحلة أهم. بالعودة إلى ليبيا لتصوير المعسكرات والمواقع العربية إلى أن اكُتشف من قبل فلسطينيين صوروه أثناء زيارة له إلى تل أبيب. وقدموا الصور إلى

---

(٢) لقاء مع محسن ونيس القذافى ـ الأهرام ـ الطبعة العربية ١٣ مايو ٢٠١١.

ليبيا، فحكم عليه بالسجن عام ١٩٨٠ لمدة ٢٥ عاما ولكنه خرج فى عفو عام عن المساجين السياسيين أصدره القذافى عام ١٩٨٨، وهنا نتوقف عند الإفراج عنه ضمن عفو عام ونتساءل: هل يُفرج عن الجواسيس فى عفو عن السياسيين؟! أم أن العفو عن هؤلاء كان لمن الإفراج عن مفتاح البترو الجاسوس؟ أو أنه حجة حتى يفرج عنه.

السفر إلى بنغازى

عاد بنا عادل فرج إلى البيضا وبتنا ليلتنا فى منزل عمر عطية الله بالبيضا ورغم التعب الذى سلبنا القدرة على السهر إلا أننا لم نأو إلى فراشنا سريعًا استمتاعًا بسهرة حميمى أشع دفئها فى ليل ليبيا البارد والد عمر وعدد من أصدقائه.. كان نومنا أرضًا فى غرفة "الجلوس أو الضيوف" التى تنتشر فى منازل (أحواش) ليبيا وغيرها من الدول الصحراوية والخليج وتسمى "بالجلسة العربية"، سألت عمر أن يكثر من البطاطين فوقى لشدة البرد حتى أننى عاودت ارتداء ملابسى الثقيلة ونمت بها تحت ثلاث بطاطين.

فى الصباح توجهنا إلى بنغازى الواقعة على بعد يزيد عن مائتى كيلو متر غرب البيضا، كان الطريق مثاليًّا فى جماله. سهوله الخضراء وجباله المعشوشبة وأشجار اللوز والزيتون وحمرة الصخر التى تتشابه وجبال الشام فى سوريا ولبنان. وهذا الطقس وتلك

الطبيعة الجغرافية التى تبدأ من درنة تصلح لجعلها دولة أولى للسياحة فى الشرق الأوسط. فضلاً عما بمنطقة الجبل الأخضر كلها من طبيعة جميلة وآثار رومانية تعد الثانية فى العالم بعد روما.

استقبلنا فى بنغازى قبيل المغرب أيمن بازامة رجل الأعمال الشاب الذى غاب والده عام ١٩٨٦ منذ أن دُفع مجندًا ضمن آلاف الجنود فى حرب تشاد. ورغم صغر سن أمه (الإسكندرانية) وقتها إلا أنها فضلت تمضية عمرها فى تربية أبنائها ومنهم أيمن الذى ذكر لنا ذلك بفخر وباعتزاز شديد بها وبمصريتها، فى الطريق إلى منزله انشغلت بالتهام - دون وعى يدفعنى الجوع - كيلو موز وبعض التفاحات كان قد ألقى بها أيمن على المقعد الخلفى. عزمت على زميلى وعلى عمر.. اكتشفت بعد وصولنا إلى منزله أن هذه الفاكهة لم تكن لتصبيرنا عند استقبالنا بل لتقديمها بعد العشاء وهو ما حدث حيث قدم إلينا ما تبقى منى.. بعد أن انتهينا من صلاة العشاء خرجنا بناء على طلبى إلى ساحة التحرير (محكمة شمال بنغازى) ومعنا شقيقه الأصغر أشرف. كانت الساحة غاصة بالبشر والطريق إليها من الاتجاهات الثلاثة مزدحمة بالبشر والسيارات، كان الجو يميل إلى الاحتفالية أكثر من الاعتصام صحيح أن هناك خيامًا ولكنها للتفكه والتقاء الأصدقاء فى جو يخيم عليه الضجيج والضوضاء من أصوات "المعتصمين" وسماعات الراديوهات والكاسيتات وشاشات العرض وميكرفون الإذاعة المحلية المنطلقة من مبنى المحكمة ويتناوب عليه الخطباء.

وفى مبنى المحكمة كان الجو مفعمًا بالحركة والبهجة، لكننى لاحظت فيه كما فى ساحة الاعتصام أن الجو كرنفالى احتفالى، مما بدا لى أن الجميع فرح بما حدث وأن هول الصدمة بسقوط بنغازى ومدن الشرق سريعًا وتخلصهم ولو لأيام من سيطرة القذافى إنجاز أكبر مما كانوا يحلمون به، كما لاحظت أيضًا ترددًا فى أقوال البعض وخوفًا فى القلوب من عودة هذه السيطرة، وشعرت وكأن مبنى المحكمة وهو مقر المجلس الانتقالى بلاد ـ للتيه، فلا شىء محدد ولا هدف واضح ولا اتفاق... خناقات كثيرة بين شباب الثورة وشيوخها، استهزاء من البعض بالبعض، تشكيكًا كبيرًا فى بعض وجوه الحكم التى انضمت للثورة بعد تشكيل المجلس الانتقالى الذى رأى أعضاؤه تكليف الضباط المنضمين للثورة بمهام عسكرية بعد إعادتهم إلى معسكراتهم لتولى نفس مناصبهم قبل الثورة للمشاركة في قيادة المرحلة وإمساكهم بخيوط ومفاتيح الحركة، وسيطرتهم على الجنود والمجموعات الموجودة. فضلاً عن الثقل القبلى لبعضهم مثل عبد الفتاح يونس وهو عبيدى وقبيلته أكثر القبائل انتشارًا فى المنطقة الشرقية خصوصًا طبرق. وهى وجهة نظر وفكرة جيدة ولكنها لم تكن متفقة مع وجهة نظر البعض الثوار ـ حسب ما قال بعض الثوار والمثقفين المناضلين القدامى ـ وربما يكون ذلك من أسباب ما دفع مجموعة الكتاب والمفكرين والمثقفين من السجناء السياسيين إلى تأسيس جمعية لهم تضم وتدعو إلى الانضمام إليها كافة الأطياف السياسية فى أرجاء الوطن الليبى وإن كانوا فى بيانهم التأسيسى الذى وقعه نور الدين خليفة الماقنى كرئيس اللجنة

التأسيسية، أكدوا على تأييدها لكل الهياكل التى انبثقت عن ثورة ١٧ فبراير وعلى رأسها المجالس البلدية والعسكرية بالمناطق المحررة، وتأييدها لكون المجلس الوطنى الانتقالى هو الممثل الشرعى الوحيد للشعب الليبى وإن دعت فى مسيرتها عصر أحد ايام شهر مارس (٢٠١١) رفضها استمرار وجود بعض الشخصيات التى عملت فى ظل القذافى. والضغط على المجلس لضم آخرين من السجناء السياسيين وبعض شباب الثورة إليه. وقتها طرحت سؤالاً على أحد شباب الثورة هل يُؤْمَنُ عبد الفتاح يونس وقد قام أحد الشباب فى مؤتمره الصحفى فى "فندق أوزو" مساء ٧ مارس بالبصق باتجاهه وسبه.. فقال لى: غير مأمون، وأضاف: لو تمعنت فى حديثه فى هذا المؤتمر لاكتشفت أنه ربما يرسل إشارة إلى القذافى وقواته عندما عتب فى حديثه على تباطؤ قوات حلف الناتو فى ضرب كتائب القذافى بقوله إنه يبلغهم بمواقع هذه الكتائب وإحداثياتها وأن التباطؤ يحدث للتأخر فى أخذ القرار لمدة ثمانى ساعات وربما يكون هذا الكلام رسالة معينة إلى جهة ما لتستفيد من هذه الساعات الثمانى، أيضا شهدت بنغازى وحركة الحياة فيها خللاً أمنيًا كبيرًا وفوضى وتوجسات من انتقام زرعته فى النفوس افعال كتائب أمنية شكلها ثوار ١٧ فبراير، مدنية ومجهولة الأسماء وغير محددة الهوية أو الهدف أو الانتماء الأخلاقى ـ حسب بعض الخائفين ممن التقيتهم ـ ينتقم أعضاؤها من بعض الشخصيات تحت غطاء البحث عن أعضاء وعناصر اللجان الثورية لتصفية حسابات. يدخلون البيوت يفتشونها بحثًا عن أصحابها وأرباب عوائلها.

مثل مقدم بجهاز الأمن الخارجى اسمه حميد داهموه فى منزله وقبضوا عليه بحثًا ـ كما قيل ـ عن أجهزة اتصال ومناظر ليلية وأسلحة والادعاء أنه يبلغ تحركات الثوار لقوات القذافى ورغم أنه ـ حسب الرواية التى سمعتها من مصدر أثق فيه ـ أبرز لهم بطاقة تعريف له أُصدرت له من المجلس الانتقالى الذى اعترف بجهاز الأمن الخارجى وسمح له بالاستمرار فى عمله تحت رئاسة العميد عاشور شوايل إلا أن المداهمين لم يلقوا بالاً به، وقيل إنهم لم يجدوا شيئًا إلا أنهم سرقوا بعض المال فتقدم بشكوى إلى المجلس الانتقالى وتحدث بذلك إلى المحامى محمد جروش أحد منظمى هذه التشكيلات فوجد أنه لا يعلم شيئًا عن ذلك.

أخبرنى نزار الجبيلى أنهم أقاموا مركزًا إعلاميًا لخدمة الصحافيين وتوفير ما يحتاجون من حماية وأخبار ومعلومات وصور. ومقره المبنى المجاور، وكان للأمن الداخلى .. استقبلنى فيه الكاتب المصرى براء الخطيب الذى وجدته يعمل معهم متفاعلاً بالحدث لم أشأ أسأله منذ متى أو كيف جاء ولماذا ولكننى سألته عن مدير المركز. فقادنى إليه بعد أن أعطى لى فكرة سريعة عن المركز.

المركز الإعلامى

لعل من أسباب نجاح ثورة ١٧ فبراير فى استمرارها هو العمل الإعلامى الذى شارك فيه إعلاميو عدد من الوسائط الإعلامية تليفزيونات ومواقع إلكترونية وصحف ساعدهم المركز الإعلامى الذى سارع بتأسيسه عدد من الإعلاميين وأساتذة الإعلام فى الجامعات الليبية، وعلى رأسهم المثقف الدكتور محمد سالم موسى المنيفى أستاذ الصحافة، وعميد كلية الفنون والإعلام بجامعة قاريونس فى بنغازى، وشارك معه الدكتور على بن سعود أستاذ القانون المثقف والمهتم بالعمل الإعلامى وغيرهما وذلك لأهمية الإعلام كما قال الدكتور المنيفى ـ بكل صوره وقدرته على دعم العمل الثورى ولتوضيح الصورة الحقيقية لطبيعة الثورة فى ليبيا فى مواجهة قدرة القذافى على شراء إعلاميين بالدفع لهم ببذخ فشكلنا ـ يقول المنيفى ـ فرقًا عدة لإدارة الثورة إعلاميًا. وتوزيع

الصور ولقطات الفيديو التى جاءتنا من ثوار وشباب التقطوها بهواتفهم المحمولة، وكذلك ما عُثر عليه فى هواتف الأسرى أو القتلى من كتائب القذافى. بعد تحسين جودة الصور واللقطات بواسطة فريق من مهندسى الكمبيوتر وخبراء الـ "فوتو شوب" ومعالجتها وإرسالها إلى القنوات التليفزيونية والصحف، سألته: بعد قطع كل وسائل الاتصالات من إنترنت وهواتف ماذا فعلتم: أجاب: كنا نرسلها إلى الحدود المصرية ليتسلمها فريق آخر يسلمها للجهات المراد إرسالها إليها. وساعدنا إخوتنا المصريون. فكانوا خير مُعين لنا، وكان بعضهم من المواطنين العاديين والعمالة الهاربة من ليبيا يتطوع بتسليمها لمن نريد بعد عبور الحدود.

*** وما الصعوبات التى واجهتكم؟**

ـ قلة الإمكانيات فبدأنا بأجهزة الكمبيوتر الخاصة بنا كأفراد وتحملنا المصروفات بشكل شخصى حتى بدأ تفاعل المواطنين معنا وسؤالنا عما نحتاج وتوالت بعدها التبرعات.

*** ومتى أصدرتم جريدة "ليبيا ١٧ فبراير" صوت الثوار؟**

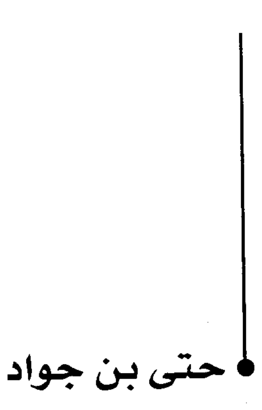
ـ يوم ٢٢ فبراير بدأنا العمل وصدر العدد الأول يوم ٢٣ فبراير وظلت توزع فى الأسواق مجانًا(١).

---

(١) توقفت من يوم ١٦ مارس عند دخول كتائب القذافى إلى بنغازى ـ لمدة ثمانية أيام. عندما اتجه جميع أعضاء المركز كجنود بالسلاح نحو الجبهة علي مشارف بنغازى وصمدوا (ستة أفراد من المركز) مع الثوار المسلحين على أبواب المدينة ثم واصلوا معهم المسير حتى البوابة الغربية لمدينة إجدابيا، وبعد أن استقر الأمر سلموا سلاحهم للثوار وعادوا لحمل القلم والريشة وإعادة إصدارها، هكذا قال لى الدكتور محمد المنيفى فى زيارتى الثانية.

والأقسام الموجودة بالمركز الإعلامى أولها القسم الصحفى لإخراج النشرات المكتوبة التى توزع فى ساحات الاعتصام والملصقات التى تلصق على جدران البنايات للحض على حفظ الأمن والممتلكات العامة والخاصة. ومنشورات موجهة إلى الثوار على الجبهة لدعم صمودهم وتحفيزهم على مواصلة النصر واستمرار تمسكهم بالثوابت الوطنية ووحدة ليبيا، وقسم الكاريكاتير والخطوط الذى يتولى كتابة اللافتات والعبارات والرسوم الكاريكاتورية وقسم التسجيلات الصوتية لتسجيل الأناشيد الوطنية والحماسية وأعاد تسجيل النشيد الوطنى الليبى الرسمى للمملكة وهو من ألحان موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وأرسلنا كل هذه التسجيلات إلى الإذاعات والتليفزيونات الليبية الوطنية والعربية والعالمية.

قسم الإنتاج الفنى ويشرف على إنتاج البرامج والتمثيليات التى توجه إلى ما يجب أن يكون عليه المواطن فى الداخل من التزام. ورؤية الثوار للمدن المحررة وما ستصبح عليه وكيف يريدونها بعد الثورة، وقسم حقوق الإنسان الذى يعمل على نقل وتوثيق كل جرائم القذافى الذى ارتكبها خلال الثورة وفترة حكمه.



حتى بن جواد

لم تنقطع اتصالاتى بعادل فرج، مهتم أنا ليس بمشاهد الثورة فقط والتى تهمنى كصحفى لتسجيلها من مسيرات ومظاهرات وآراء التأييد وحركة الثوار وشهدائهم وتطبيب وعلاج مصابيهم، ولكن أيضًا بتحركات المسلحين منهم على جبهات القتال التى ستحدد مصير البلاد، كنت وكأننى أرغب فى المساهمة كجندى أو كثائر مسلح.. الموقع الجغرافى لا يهم كثيرًا فليبيا كمصر، أشعر أننى أنتمى إليها وهى البلد الوحيد تقريبًا الذى لا يفصلها عن مصر فاصل لا جغرافى أو لونى أو حتى لغوى، فعلى مستوى اللهجة الدارجة، تجد لهجة الناس فى ليبيا هى نفس لهجة أهلنا فى البحيرة والمنيا والفيوم وكل الصحراء الغربية والتى لا يمكن أن تميز أى إنسان من إجدابيا وحتى شرق النيل فى المنيا مثلاً فى حديثه، ربما لأن هذه المنطقة بأكملها يحمل مواطنوها نفس السمات

الشكلية والجسدية واللسانية حتى ثقافة الحياة من مأكل ومشرب وعادات وتقاليد.. ربما عائد ذلك إلى التشابك فى علاقات النسب والقرابة وصلات الدم ووحدة الأصل القبائلى لجميع هؤلاء السكان بل أحيانًا تجد مواطنًا ليبيًا من أبناء طبرق وأخاه مصريًا من أبناء سيدى برانى.

فالانتماء واحد لكلا البلدين لكون الأصل واحد وتقريبًا تستخدم نفس المفردات فى الشرق المصرى فى سيناء مثلاً... لا يفصل مصر عن ليبيا فاصل جغرافى كالذى يفصلها مثلاً عن السعودية أو عن بلاد الشام أو عن السودان كل هذه الخصائص ربما تجعل ليبيا اقرب إلى مصر. فضلاً عن أن ٣٠ ٪ تقريبًا من رجال المنطقة الشرقية متزوجون من مصريات، كانت مهاتفتى لعادل فرج دائمة للاطمئنان على انتصارات الثوار وتقدمهم عند البريقة التى كانت المعارك لا تزال دائرة[١] بها مع كتائب القذافى وقد اندحروا بعد أن هاجمهم الثوار من الشرق والشمال فتقهقروا جنوبًا ليختبئوا داخل ابنية جامعة "النجم الساطع"، سألنى عادل هل تريد أن تذهب إليها؟ وبالطبع لم أكن لأرفض، فأوصى بنا شقيقه الأكبر الذى يعمل مدرسًا فى مدرسة البريقة فأخذنا من بنغازى... فى الطريق وعند إجدابيا لاحظنا أمام إحدى البنايات على جانب الطريق هرجًا كثيرًا وعددًا من سيارات الثوار وبعض المسلحين ينتشرون فطلبتُ منه التوقف. كان مع الثوار عدد من المرتزقة الأفارقة فى حراسة

(١) بداية شهر مارس ٢٠١١.

مسلحة بعد أن أسروهم عند فرارهم، وجدت الثوار فى صياح وتنافر... معارك كلامية وخلافات حول ما سيفعلونه بهم، هناك اتفاق على تسليمهم للمجلس الانتقالى لحبسهم فى بنغازى ولكن الاختلاف على من يسلمهم. عندما رأوا كاميرة زميلى المصور وقد شرعها للتصوير أبعدونا، ولأن الموقف لا يحتمل المجادلة. فقد تركته على الباب وانسللت داخلاً إلى فناء المبنى حيث تقف سيارة المرتزقة، كنت كلما حاولت الاقتراب منهم يمنعنى أحد المسلحين فاتخذت مكانًا قصيًا عنهم إلى أن سنحت الفرصة فدرتُ حول عدة سيارات أخرى تحيط بهم. وتقدمت إلى الجندى الحارس الجالس بجوار السائق وطلبت منه شربة ماء من زجاجة يمسكها بيده.. لم أكن ظمآن ولكن فى طلب الماء تجاوزًا للرد العنيف أو مانعًا للرفض. وهو ما حدث، فشكرته وأنا أتساند على السيارة مدعيًا الإرهاق والتعب سألته عن اسمه؟ فقال على مفتاح المراكبى.. يا راجل مش معقول، قلت له، فسألنى لماذا؟! فقلت أنا كمان مراكبى.. فابتسم الرجل ورحب بى وهو يقول نحن أقرباء إذًا وأضاف.. مصرى.. فبدأت أحكى له عن أن عائلة المراكبى من أكبر العائلات المصرية، وأننا نعرف أو سمعنا من الجدود بأن لنا امتدادًا فى ليبيا، كان ذلك كافيًا لأن يسمح لى بأن أتحدث إلى المرتزقة وأن يأمر من يسمح لزميلى المصور بالوصول إلينا. ليقوم بالتقاط عدد من الصور لهم؛ تذكرت ما حكاه لى أشرف بأزامة شقيق أيمن عن رؤيته للمرتزقة، فى بنغازى.

منذ أول أيام الثورة بداية من المشاركة فى مسيرات التأييد للنظام وحتى المشاركة فى قتل الشباب فى بنغازى وكان أول ظهورهم بالشوم والعصى يوم ١٧ فبراير، وفى اليوم التالى ظهروا فى منطقة الزيتونة وهم يحملون (سناكى البنادق) وبعدها بدأ حملهم للسلاح مع تصاعد الثورة واقتحام الشباب لإدارات الشرطة والكتائب، وكتيبة "الفضيل بو عمر" التى هرب عبد الله السنوسى منها ومعه الساعدى القذافى تحت حمايتهم إلى المطار (١٧ كم من بنغازى) هرب الساعدى فى الطائرة الأولى وهو فى الثانية بعد أن قتل بعضًا منهم حتى لا يبقوا أحياء فيأسرهم الثوار، وكانت الطائرة التى ستقله قد امتلأت، ولم تتسع إلا لعدد قليل منهم.. وأيما اتجهت فى ليبيا تصل إلى مسامعك حكايات أسر المرتزقة وأغلبهم من النيجر وتشاد ومالى ومنهم هؤلاء الأربعة الذين أُسروا فى العقيلة إلا لعدد قليل منهم وهم موسى إبراهيم مؤمن ومؤمن موسى صادق ومحمد عثمان والصادق إبراهيم بشير من أجاديس ـ النيجر ـ حسب ما قالوا.. كانت لغتهم العربية واضحة مما يدل على أنهم على الأقل اعتادوا الحديث بها منذ فترة... قال على محمد مفتاح المركبى أنهم قبضوا عليهم عندما كان أحدهم يطلب مددًا من خلال هاتف ثريا، سألتهم فأنكروا، وقالوا إنهم يعملون فى شركة تركية و"إنهم" ـ لم يوضحوا من هم ـ جابونا فى باصات إلى العقيلة.. كانت معهم بطاقات هوية ليبية.. أكد لى صلاح إبراهيم الشامخ ـ من الثوار ـ أنه قبض مع رفاق له على ثلاث من الأفارقة المرتزقة فى منطقة الهوارى ببنغازى أحدهم كان يحمل فى بطاقته اسمًا

ليبيًّا ولكنها صادرة منذ أيام فضلاً عن أنه لا يتحدث العربية إطلاقًا ولا يفهمها، واصلنا المسير إلى البريقة، أنزلنا شقيق عادل فى فيلا أحد زملائه الذى غادر مع أسرته هربًا من الحرب، وتقع فى البريقة وهى المنطقة السكنية الثالثة والخاصة بسكن الموظفين ووحداتها السكنية أو فيلاتها مصممة تصميمًا جميلاً. هى تقريبًا أفضل ما رأيت من أبنية سكنية فى ليبيا. قمت باستغلال شمس الظهيرة الحارقة فى تجفيف ملابسى سريعًا بعد أن غسلتها تخلصًا من الأوساخ والأتربة ورائحة العرق. بعد أن بقيت على جسدى لأسبوع كامل تقريبًا ولم أكن أحمل معى غيرها.. غفوت لساعة قبل أن نعاود المسير باتجاه بن جواد وبشر وبوسعيدة نتنقل بين تجمعات المحاربين الثوار الذين وحَّدَهم طلب العتق والحرية على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية ومستوى تعليمهم وثقافتهم. الخلاص من العقيد كان الهدف الذى ساقهم إلى هنا من مناطق مختلفة مشجعًا لهم على تقاسم الحياة فى هذه الصحراء قارسة البرودة ليلاً، شديدة الحرارة نهارًا باعثة على الظمأ والجوع.. كان عمر عطية الله يحمل بندقيته دون ذخيرة. فما كان منه إلا أن مد يده إلى شاب لا يعرفه وطلب ذخيرة فأخرج له، هكذا كان يتقاسم الثوار طلقات الرصاص والـ R.B.G مع أرغفة الخبز وجرعات الماء .. وكان أكرم العبد لى .. عاطل عن العمل ومتزوج ولديه سبعة أولاد أكبرهم ٢٠ سنة ـ شارك أيضًا فى حمل السلاح ـ يجلس على مدفع ١٠٦ مضاد أرضى مدًى ٧,٥ كم .. وهو تخصصه أثناء تجنيده عام ١٩٩٣.. يقول: عندما بدأت الثورة شاركت مع الشباب

فى الهجوم على كتيبة "الفضيل بو عمر" فى بنغازى وفى تحرير إجدابيا والبريقة.. كان أكرم - أثناء استعداده بمدفعه - يراقب من المدفع الطريق المؤدى إلى رأس لانوف، بالقرب منه كان هادى بوجناح - طالب الهندسة - يمسك بنظارة معظمة واقفًا فوق أكمة. يراقب الطريق وعلى كتفه بندقيته بعد أن شارك فى تحرير منطقة البريقة، وظل بها لثلاثة أيام. ويستعد الآن مع زملاء للهجوم على رأس لانوف لتطهيرها من كتيبة خميس ومعه رفيقه صلاح إبراهيم الشامخ الذى يقول تعارفت على هادى منذ أول يوم عسكرنا به فى البريقة وتصادقنا وما أجمل صداقة الكفاح والثورة، أعطاه ما تبقى فى كوب به رشفات قهوة.. صلاح الشامخ سائق بإحدى شركات بنغازى ٢٠ سنة انضم للثورة منذ أول يوم وينتوى الصمود حتى الوصول إلى طرابلس لتطهيرها من القذافى ومرتزقة... أما هيثم سالم عبد الحميد - طالب الهندسة - فيقول حملت السلاح لقدرتى عليه وخبرتى به من التدريب عليه أثناء الدراسة الثانوية وشجعنى والدى عقيد سالم عبد الحميد - ضابط متقاعد من كتيبة الصاعقة. وكان من الذين تطوعوا فى لبنان عام ١٩٧٨ وحارب الإسرائيليين فيها.

أما جمعة العربى الذى يقف فى الخط الأول استعدادًا للهجوم على رأس لانوف فيقول: لم نعد نحسب الأيام ولا نشعر بها، فقط ننتظر الدقائق التى ندخل فيها طرابلس أو نستشهد فى سبيل تحريرها وتحرير البلاد من القذافى، ويضيف رفيقه أحمد محمد عيد السيد: نتوقع أى شىء من القذافى لقسوته. ولذلك فأنا أعمل

مع بعض الشباب على نقل الذخيرة من مخزن للسلاح حفاظاً عليها من التفجير الذى تحاوله طائرات القذافى التى قصفت المنطقة أربع مرات على مدى اليومين الأخيرين. أكدت مصادر عسكرية من قيادات الثوار أن الزحف سيتم صوب راس لانوف والسدرة للسيطرة على مناطق البترول بعد أن تمت السيطرة على إجدابيا.

وتتمركز كتيبة الساعدى فى رأس لانوف ولكن التقارير الواردة منها تؤكد أن عددها لا يزيد عن ٦٤٠ فرداً من الجنود والمرتزقة على ١٦٠ سيارة مسلحة ـ لا توجد قوات مشاه ـ وأن هذه المعركة ستكون فاصلة وستدعم فرص السيطرة على مدينة سرت وهى الخطوة الأخيرة فى سبيل الوصول إلى طرابلس، وسرت موطن القذافى و٤٠ ٪ من سكانها من القذاذفة. ومثلهم من قبيلة الفرجان. وبها قوات أمنية كبيرة ومتعددة ومعسكر للدفاع الجوى ومعسكر "اللواء الصفصاف" الذى تضم مخازنه أسلحة بكميات هائلة. وكتيبة الساعدى وبها أكثر من ٢٠٠٠ جندى وأغلبية سكانها من العسكريين ولكن المشكلة لديهم فى انقطاع الإمدادات الغذائية مما جعل أسعار السلع تتضاعف وبدأ يدفع المواطنون فيها للغضب فضلاً عن رغبة أعداد كبيرة منهم فى إنهاء حكم القذافى.. وستدعم سيطرة الثوار على مصراتة منع الإمدادات عن سرت بعد قطع الطريق بينها وبين طرابلس. وبالتالى لا يمكن لسرت تلقى الإمدادات سوى من سبها فى الجنوب والمسافة بينهما تقرب من ٧٠٠ كم.

ويذكر أن سرت بها قاعدة جوية وقد بدأ القذافى منذ عامين فى منع دخول غير سكانها إليها ـ حتى من الليبيين أنفسهم بعد أن افرغها قبل ٥ سنوات من الوافدين إليها والموظفين والعاملين باستثناءات قليلة. كان أخطر ما فى المعارك ما بين البريقة ووادى الأحمر هو خداع الكتائب للثوار فى بوسعيدة وبن جواد. باختبائها داخل البيوت بعد قهر أصحابها واحتجازهم حتى لا يخرجوا فيدلّوا عليهم، ثم إطلاق الشائعات برحيل الكتائب وخلو البلدة منهم. فلما دخل الثوار اصطادتهم الكتائب ومن حاول الفرار طاردته بقذائف الجراد.

كان عدد من الشباب يتحركون بين السيارات والثوار حاملين ذخائر وأسلحة وغيرها اقتربت منهم وتحدثت معهم مازحًا عن مشاركة الشباب "الخنافس الرقيق" فى القتال، فقدم لى أحدهم زميله بأنه حفيد عمر المختار. سألته فأكد لى اسمه المختار مفتاح المختار.. سألته عن "سى محمد" وهو لقب ابن عمر المختار. وكيف اصل إليه فأكد لى المختار إمكانية ذلك وأعطانى رقم هاتفه، وهاتف المنزل واتفقنا على اللقاء بعد العودة إلى بنغازى.. واصلنا الحركة بين الثوار إلى أن طلب زميلى محمد عبده العودة إلى بنغازى خصوصًا وقد ذاب منا عمر عطية الله وسط المحاربين واختفى عنا. كان برفقتنا هيثم سالم عبد الحميد فسألته كيف نعود إلى بنغازى؟ فأشار لى أن أتبعه فتبعته فوجدته يميل على راكب بإحدى السيارات متحدثًا ثم أشار إلينا أن نركب فركبنا معه. كانت السيارة متجهة إلى إجدابيا. صاحبها اسمه محمود حرينة

المغربى رحب بنا فى لهجة مصرية واضحة حتى ظننته مصريًا، لكنه قال إنه يسافر دائمًا إلى مصر وذكر لى أسماء عدد من قرى البحيرة وكفر الشيخ والدقهلية زارها، وله فيها أصدقاء.. لم يتعرف هيثم إليه إلا عندما سأله إن كان عائدًا إلى بنغازى عكس ما ظننت أنهما معارف أو أصدقاء، وهكذا الثوار يتقاسمون كل شىء حتى ركوب السيارات.

توقف بنا محمود فى إجدابيا على بعد ٧٥ كم من البريقة حيث يعيش وتركناه لنستقل مع هيثم سيارة أخرى مستأجرة إلى بنغازى، انطلقت بنا بعد أن أحضر لنا بعض قطع الشيكولاتة والبسكويت وعصائر الفاكهة. أخبرنى أنه يرتبط بصلة قرابة مع محمد نجم أحد ضباط مجلس قيادة الثورة بليبيا وأول المنسحبين من سيرك القذافى بالاستقالة، طلبت منه أن يساعدنى فى لقائه آملاً ألا يدفعه الخوف مثل مجموعة درنة صاحبة أول محاولة انقلاب لرفض المقابلة، فهاتف هيثم أحد أقربائه ثم طمأننى خيرًا مؤكدًا أننا عندما نصل إلى بنغازى سنلتقيه فى بيته، وعندما وصلنا أخذنا إلى منزل صلاح ماضى أحد رجال الأعمال الذى كان يضم عددًا من أبناء قبيلته من المثقفين والتجار، دار الحديث حول رفض تشكيلة المجلس الانتقالى وعدم رضائهم عنها حيث إنها استبعدت بعض أطياف النظام القبلى فى المنطقة الشرقية فضلاً عن المنطقة الغربية التى لم تمثل فيه، وعزم الشباب على تكوين جمعية لوضع تصور للعمل السياسى فى البلاد وإنشاء دستور. وغير ذلك من الأمور العامة.. بدا لى من ثنايا الأحاديث أن هناك خلافًا حول

الثورة. وإن أكد مضيفنا أن الجميع بات يرفض حكم العقيد. فهمت أن هناك خلافًا سيشتعل بعد سقوط القذافى حول تقسيم السلطة فى ليبيا "وليس تقسيم ليبيا".. كان الوقت يمضى ولم نتحدث بعد حول مقابلة نجم حتى سألت صلاح ماضى فقال إنه يرفض إجراء مقابلات صحفية وقد شهد منزله توافد عدد منهم لذات المحاولة.

شعرت أن الجو غير مناسب لأى شىء أريده ولاحظت فيهم ارتيابًا فينا، سألنى أحد الحضور ويعمل "بالإعلام الخارجى" عن كيفية دخولى فصارحته بأننى دخلت دون جواز سفر - ولا أدرى إن وقع هذا الخطأ منى تحت تأثير لحظة سذاجة أم نتيجة عدم التركيز بسبب الإرهاق والتعب الذى حل على بدنى وطال انتباهى أو هى فذلكة. فقال الرجل يمكن أن أحجزكما وأبلغ عنكما، لم يمنعنى خوفى وقتها من ممازحته وإلغاء فكرة ألحت على ذهنى قبل دقائق فى ضرورة الانصراف للراحة. فبدأت أجول معهم فى أحاديث شتى متفرعة إلى أن اطمأننت أن سوءًا لن يحدث انصرفت. أوصلنا هيثم مع صلاح الدين عطية قريبه التاجر إلى حيث تلقفنا أيمن بازامة فى أول منطقة "٦٠٢" السكنية حيث يقع مسكنه الذى استضافنا فيه.

فى الصباح طلبت منه أن يتصل لنا بالمختار مفتاح لنلتقى بجده سى محمد المختار.. فلم يجده ولكنه استطاع عن طريق أصدقاء آخرين تحديد موعد لنا بعد صلاة المغرب فى منزله بمنطقة الحدائق.. مضينا النهار حتى منتصفه بالمجلس الانتقالى والمركز الإعلامى. ولما لم يكن هناك شىء هام أمامى، طلبت من أيمن اصطحابى إلى الحدائق بعد العصر لمقابلة (سى محمد المختار)

وتركت زميلى لمتابعة إرسال المادة الصحفية والصور إلى الجريدة.. وصلنا إلى منزل المختار ولكن الرجل الذى استقبلنا أخبرنا أن الموعد بعد صلاة المغرب، أخذنى أيمن فى جولة بالمدينة زرنا فيها كتيبة الفضيل التى تعتبر مدينة وحدها داخل مدينة بنغازى.. كان الشباب والكبار وبعض الأسر بأطفالها يجولون داخلها وقد صارت مزارًا سياحيًا... أشار لى أيمن قائلاً: هنا تقدم المهندس الزوى بسيارته وبها أنبوبتا غاز وفجر نفسه فى الكتيبة ليصير أول شهدائها.

بحثنا عن مسجد قريب لأداء الصلاة فيه. أثناءه سمعنا صوت انفجار.. لم أكترث كثيرًا فهذا ما بدأت أعتاد عليه.. ثم تبعه انفجارات أخرى. خشيت أن يسقط علينا سقف المسجد أثناء الصلاة من الاهتزاز الذى صاحب هذه الانفجارات على بعدها ـ كما يبدو من الصوت ـ، مضينا بعد صلاة المغرب إلى دار المختار لنجد سى محمد ومعه مفتاح ابن عمه سالم شقيق عمر المختار والذى توفى ودفن بإحدى قرى مركز أبو حمص بالبحيرة والصحفى محمد أحد أبناء العائلة ومؤرخ سيرة شيخ المجاهدين الذى قال إنه عاتب على الإعلام المصرى عامة لإهماله تاريخ استشهاد عمر المختار فى ١٩/ ٩/ ١٩٣١ أو الحديث عنه فى هذه الذكرى من كل عام، متسائلاً لماذا لم تهتم مصر بذلك؟! رغم أنها أول وأهم من ساعده فى جهاده واحتضن كفاحه وكفاح الشعب الليبى بأسره طوال التاريخ واحتضنت أسرته عندما أراد أن يطمئن عليهم باستبعادهم إليها كى يتفرغ لجهاده ضد الإيطاليين.

نجل عمر المختار:
القذافي يجب أن يرحل وكنت أتوقع الثورة عليه منذ سنوات

رفع الثوار في ليبيا علم الملكية (الاستقلال) ليستمدوا منه روح الثورة والرغبة في الحرية ومن صورة شيخ المجاهدين عمر المختار وجهاده، فأينما وجهت النظر ستجدها مهيبة جليلة يستلهم منها الثوار قوة الروح. لاستكمال جهادهم لإسقاط القذافى ونظامه الذى قهرهم لاثنين وأربعين عامًا لم يكن أحد فيهم يجرؤ أن يرفع صوته او يعلن رأيًا معارضًا لرأى "الأخ القائد" العقيد ولجانه الثورية حتى محمد بن عمر المختار(٩٠ عامًا) لم يستطع أن يرفض نقل رفات أبيه من مرقده فى ضريحه الذى كان مشهدًا يزوره الناس فى مدينة بنغازى حيث أمر العقيد بنقل رفاته إلى "سلوق" بحجة أنها المكان الذى أُعدم فيه سى محمد ابن عمه مفتاح سالم المختار اللذين امضيا فى (أبو حمص) بمصر سنوات طفولتهما وصباهما عندما قام عمر المختار بإرسال أسرته إلى مصر حتى يتفرغ للجهاد ويتذكر

محمد عمر المختار سنواته فى مصر من عام ١٩٢٧ حتى عام١٩٤٣ حيث عاش بمصر اثني عشر عامًا بعد إعدام أبيه ومعه عمه محمد شقيق عمر المختار وابن عمه سالم وأمه زوجة عمر المختار وبعض أقاربهم.

وقال إنه درس فى مدرسة الشاطبى الابتدائية بالقسم الداخلي بالإسكندرية ويستطرد.. مصر خيرها على الليبيين ولها فضل عليهم وعلى العرب أجمعين ولولا مساعدتها لوالدى فى جهاده ضد الإيطاليين ما استطاع أن يفعل شيئًا ضدهم ولا محاربتهم .. فقد كانت مصر تمده بالأسلحة والذخائر والمعونات الغذائية طوال فترة جهاده الذى توقف بعد أسره وشنقه بعد أن انتبه الإيطاليون لمساعدات مصر فأغلقت حدود ليبيا مع مصر بسور شائك مما أضعف المجاهدين.

- وكيف عرفت وقتها بالقبض عليه وإعدامه؟

كنا نعيش وقتها في أبو حمص بمحافظة البحيرة وسمعنا من الإذاعة المصرية ومن بعض أقاربنا الذين هربوا من ليبيا بعد استشهاده.

- كيف كانت عشيتكم فى مصر؟

كنا نعيش عيشة بسيطة في عزبة (أبو صالح) (أبو حمص) داخل خيام (يوت عرب) ونتنقل مع أهل المنطقة من العربان وهم أقارب لنا من مكان إلى مكان حتى استطعنا بعد سنوات من إقامتنا أن نبنى منزلاً بسيطًا مكونًا من ثلاث غرف سكنت فيه عائلة عمر

المختار كل واحد منهم بأسرته فى غرفة حيث كانت شقيقتى زوجة ابن عمى.

- ما عدد أبناء عمر المختار؟ ومتى عادوا إلى ليبيا؟

قال ابنه محمد: نحن ثلاثة أنا وفاطمة أم مفتاح وصفية عمر المختار وعدنا إلى ليبيا بعد عام١٩٣٤ وإن ظل بعض أقارب الأسرة فى مصر حتى الستينيات وعادوا فى أيام الملكة.

- ما الفرق بين الملكية والجمهورية الثورية فى ليبيا؟

لا فرق فى شىء وإن كان الملك أقل قسوة وغلظة وديكتاتورية من هذا العقيد.

- هل عارضت نقل رفات أبيك عمر المختار من بنغازى حيث ضريحه المشهود إلى منطقة بعيدة؟

يقول: بالتأكيد لم أوافق على نقل رفات والدى حيث كان ضريحه يتبرك به الليبيون ومشهداً يزوره الجميع ومنهم رؤساء الدول وعظماؤها عند زيارتهم لليبيا. وهنا أشار محمد عمر المختار إلى صورة معلقة على الحائط لأحمد بن بيلا الرئيس الجزائرى عندما زار ليبيا عام١٩٦٢ وحضر إلى منزلنا وطلب مصاحبته لزيارة ضريح شيخ المجاهدين. وذهبت معه أنا ورجال وشباب العائلة، وكان المختار قد دفن بعد أن شنقه الإيطاليون فى جبانة سيدى عبيد وعند استقلال ليبيا قام الملك إدريس بنقل الرفات إليها وفى عام ١٩٢٨ قرر العقيد القذافى نقل رفاته إلى سلوق، القذافى عندما

كان يقرر فلا أحد يستطيع أن يعارضه ورغم أننى وجميع عائلة المختار لم نوافق لم نستطع أن نعلن رفضنا رغم أن القذافى استمد جزءا من شرعيته من جهاد عمر المختار وقام بتوجيه أول خطاب له بعد الثورة يوم ١٦ سبتمبر١٩٦٩ من ضريح عمر المختار! ولكننى وكل أفراد العائلة ذهبنا معه ساعة نقل الرفات.

- هل كنت تتوقع الثورة ضد القذافى؟

كنت أتوقعها منذ سنوات والحمد لله الذى مد فى عمرى ورأيت الشباب يقومون بها وحفيد المختار ابن مفتاح وغيره من شباب العائلة شاركوا فى الثورة، وحملوا السلاح وأسهموا فى اقتحام كتيبة الفضيل بوعمر وهو الآن فى العقيلة وهو طالب يدرس بكلية الهندسة وآثر الاشتراك مع الثوار.

علمت بعد خروجى أن صوت الانفجارات التى أخافنى وقت الصلاة كان نتيجة تفجير ذخائر بـ "معسكر الراجمة" على بعد ٧ كم منا، وأن الجثث والمصابين حُملوا إلى مستشفى الهوارى.. فأسرعت إليها.. كانت الجثث ملقاة فى المشرحة قطع متجاورات من اللحم المشطور.. أيادٍ وأرجل وأنصاف جثث وأرباع. شاركنا مع الأهالى فى تغسيل وتكفين الشهداء، كان أشد المشاهد تأثيرًا سيدة عجوز تبحث عن جثة حفيدها وتبكى بكاءً مرًا وهى تقول ما بينش ناكلوا ولا نشربوا بينما الشباب يقطعوه.. اليهودى كان علينا أن نعود بعد أن نفد شحن بطارية الكاميرا الخاصة بزميلى وتكسير كاميرتى واتساخ ملابسنا التى غسلناها أكثر من مرة ونفاد نقودنا والصعوبة

التى نلاقيها فى إرسال المواد والصور، وإهمال الجريدة لنا فلا يسأل عنا أحد ولا يهتم بتوجيهنا لطلب موضوعات معنية. شعرنا وقتها وكأنهم لا يعرفون أن للجريدة مراسلين فى معمعة القتال ونيران الثورة الليبية. المشكلة الأهم التى واجهتنا هى كيف نعود إلى مصر وليس معنا جوازات سفر. وهو السؤال الذى كان يلح به علي زميلى. لم يكن أمامنا إلا التسلل فى سيارة من سيارات قوافل الإغاثة، اتجهنا إلى طبرق بعد أن أحضر لنا أيمن بازامة سيارة من بنغازى يعرف سائقها وأصر على تحمل نفقاتها.. وصلنا إلى كافتيريا "نور الهدى" وجدنا عقيلة وشقيقة أسامة اللذين استقبلانا بترحاب وبأسئلة عن النصر فى البريقة وبن جواد والأمل فى الوصول إلى سرت التى ستكون أول نقطة فى حصار طرابلس لإسقاط العقيد، سألت عن القوافل فعلمنا أن واحدة منها انطلقت من طبرق قبل العشاء عائدة سيارتها إلى مصر، وأن هناك ثانية جاءت فى طريقها إلى البيضاء منذ ساعة. وهو ما يعنى أننا سننتظرها إلى مساء الغد - إن عادت - قررت وزميلى مواصلة المسير إلى مساعد وليفتح الله علينا بطريقة للتسلل، حذرنا عقيلة عندما طلبت منه سيارة من خطر السفر ليلاً تحسبًا لغدر الطريق ومفاجآته، وأنه سيوفر لنا سيارة فى الصباح. استسلمنا لهذا الحل الذى كان مريحًا لأعصابنا لما فيه من إراحة للجسد بعد مشقات السفر وأيام الحروب، بتنا لنستيقظ فى التاسعة صباحًا وننطلق، تركنا السائق عند الحدود المصرية التى كلما اقتربنا منها ازداد خوف زميلى واهتزت أعصابه وأنا مثله، حتى أنه قرر تمزيق بطاقة

التعريف التى أصدرها لنا المركز الإعلامى لثورة ١٧ فبراير تهربًا من اتهامنا بالدخول إلى ليبيا أو الخروج من مصر دون وثيقة سفر مما قد يعرضنا لاتهام قانونى.. كنت مطمئنًا إلى فرص التسلل دون التعرض لذلك فلم أمزق بطاقتى.. كان بوليس الحدود سيقوم بتفتيشنا ذاتياً ناهيك عن الاحتجاز وما يستلزم من أصول "الضيافة البوليسية" خصوصًا ونحن مخطئان.. طلبت منه أن يسير بجوارى ولا ينطق بكلمة تاركًا لى الرد على أى اتهام أو استفسار، ليس لأننى واثق تمام الثقة من نجاح التسلل، ولكن للرد بكلمات محددة لا تتضارب من فم لفم، عندما اتجهنا سائرين على قدمينا إلى المدخل الأول ألقينا سلامًا على الجنود وقبل أن يسألونا قلت لهم: القافلة طلعت؟ فرد أحدهم بأنها مازالت تحت (فى السلوم البلد) فقلت له: إحنا مع القوافل.. ومضيت دون أن أُعقب وفى ثقة مدعاة ولكنها ـ يبدو ـ ألجمت الجنود فلم يعقب أحد منهم. وهنا بدأت أسارير زميلى محمد تنفرج شيئًا ما ونحن فى تقدمنا، حتى أصبحنا بين مئات البشر من العمال المصريين والسوريين والفلسطينيين والأفارقة وعدد كبير من الأسر فيما يشبه السوق.. كان علينا عبور صالة الجمرك وبوابة التفتيش التى يجلس فيها أمناء الشرطة وأحد الضباط أمام جهاز الكشف عن الحقائب التى تمر على السير. وقد اصطف العمال وتزاحموا كل يحاول أن يفوز بدقيقة يعبر فيها الباب ويلقى بأمتعته على السير ليأمن أنه قد أصبح داخل جدود بلاده، وفى أمانها، انحرفت يسارًا جاذبًا زميلى وقفزت وهو بعدى من فوق سور حديدى قريبًا من البوابة فالتقطنا الضابط

المسئول. وأمين شرطة ليطلب منا العودة إلى الطابور. للدخول بشكل نظامى، فقلت له لماذا؟ فقال للتفتيش، قلت ولِمَ التفتيش ألم امر من أمامك قبل نصف ساعة؟ وقبل أن يرد متسائلاً قلت.. ولكن قل لى قبل أن أنسى هل يمكن بواسطة هذا الجهاز الكشف عن أى اسلحة أو ذخائر أو ممنوعات يعتقد صاحب حقيبتها مرورها عليكم وسط هذا الزحام؟ فسألنى ولماذا تسأل؟ فأخرجت له الكارنيه الصحفى وقدمته له أنا فلان من الأهرام سيادتك لازم نسيت إنى عديت من شوية، وقلت لك بنعمل موضوع عن العائدين، والتفتُ إلى زميلى طالبًا منه التقاط صورة. فرفض الضابط مشيرًا إلى الباب الخارجى طالبًا.. استأذن أولاً من العميد.. قلت حاضر.. وأسرعت انا وزميلى خارجًا من المنفذ لنتعانق فرحة بالوصول إلى أمان البلاد.

الدخول إلى ليبيا مرة أخرى

لم يزل منفذ السلوم يعج بالبشر العائدين من ليبيا، وإن كان أكثرهم من الأفارقة. الجيش يسيطر على المدخل المؤدى إلى المنفذ والأوامر بالمزاج، فقد استوقفنا حاجز ورفض ضابطه مرورنا مؤكدًا أن لديه تعليمات بمنع مرور أى صحفى إلا بعد الحصول على موافقة الشئون المعنوية والسفارة الليبية، كان رده سببًا فى اقترابى من حافة الانفجار، فهل استأمنا الجيش على أنفسنا وحركتنا ليمارس معنا نفس الدور المتعنت لأمن الدولة.. لم ينقذ الموقف إلا ضابط برتبة أعلى سمح لنا بالمرور مع ابتسامة هى كل ما كنا نحتاجه منهم. شكرته كثيرًا ودخلنا، تقدمت مع محمد عبده إلى مسئول الجوازات لختم جوازى السفر، فطلب أن نحصل على توقيع أحد الضباط فى مكتب آخر، ولأننى معتاد على بيروقراطية الجهاز الوظيفى المصرى خصوصًا فى مثل هذه الإدارات، فقد انصعت للأمر دون مناقشة

لرغبتى فى عدم التعطل، اتجهت حيث أُمرت، وقَّع لى الضابط على الكارت الخاص بى ورفض التوقيع لزميلى طالبًا منه "تصريح السفر" لكونه تحت الطلب للتجنيد، لم تمر فترة "الاحتياط"، حاولت مع الضابط ليستثنيه كونه صحفيًا فى مهمة وسيعود حتمًا، فرفض؛ لأنها مسئولية كبيرة يمكن أن يُحاسب عليها.

لم يك بُدًا من العودة للحصول على "التصريح"، عرض محمد علىّ العودة معه أو أن أبقى أنتظره فى السلوم حتى يعود بعد غد، فعرضت عليه أن يصاحبنى دون ختم لجواز السفر كما حدث أولْ مرة، رفض محمد هذا الاقتراح، واتفقنا على أن أسافر ويتواصل معى هاتفيًا، وأنتظره فى طبرق أو فى درنة بعد أن أنجز عدة موضوعات.

بقى علينا أن نؤمن سيارة لأستقلها إلى طبرق أو مساعد مع احد من الأخوة الليبيين العائدين من مصر أو فى إحدى سيارات الأجرة. نبهنى صلاح هيبة إلى عدم ذكر مهنتى، فالمعلومات المتناثرة على ألسنة القادمين من ليبيا تؤكد خطف الصحفيين من خلال عملاء لنظام القذافى وتسليمهم لكتائبه مقابل مائتين وخمسين ألف دولار. شعرت بالخوف، ليس من كلمات صلاح وإنما من رد أحد الليبيين الواقفين جوارنا وسمع حديثنا ـ وكنا لا نعرفه ـ مؤكدًا الرقم، مصححًا أنه بالدينار الليبى. وأردف متسائلاً: أنت صحفى؟ فأجبته "نعم"، فطلب منى أن أركب سيارته فوافقت، ومازحته قائلاً: على أن تعطينى جزءا من المبلغ، وأنا فى قرارة نفسى عازمٌ على

عدم الركوب معه، وهو ما حدث حينما نادانى عند تجهزه للانطلاق فشكرته متعللاً بزميلى الذى لم ينه إجراءاته بعد.

عاد محمد مع السائق ومعهم صلاح، بعد أن اتفق مع ليبى آخر من نفس قبيلته، وكان بالطبع لا يعرفه ـ فقط ينتميان إلى قبيلة واحدة (الجنايشة) المنتشرة فى مصر وليبيا ـ ونادانى بلقب دكتور ليستقر فى ذهن السائق أنى طبيب، وأكدت له ذلك بعد انطلاق السيارة مضيفًا أننى أعمل فى طبرق. كان السائق لطيفًا وأيضًا جارى فى المقعد الخلفى الذى أقلقنى طلبه إلى السائق بأن يدخل إحدى القرى على طريق طبرق، فظللت على صمتى وترقبى، مضت عشر دقائق عندما دخلا إلى أحد المنازل وأنا فى وجل أتخيل مشاهد التعذيب والإكراه على الاعتراف بأننى مثلاً من تنظيم القاعدة كما فعلوا مع أحد الشباب المصرى، إلى أن خرجا ومعهما صاحب الدار ليعزم على الدخول لتناول العشاء، شكرته بلسانى وقلبى يرتجف لم يهدأ إلا بعد أن جلس السائق على مقعد القيادة وركب الآخر بجوارى وعادت السيارة بنا إلى الطريق الرئيسى، ولأنهم تعودوا على السير بسرعة لا تقل عن مائة وخمسين كيلومترًا فى الساعة، فلم تمر ساعة حتى وصلنا إلى طبرق، طلبت منه أن يوصلنى عند كافيتريا "نور الهدى" حيث وجدت صديقى عقيلة بن الحاج طاهر الحرفة. هاتفت العمدة عثمان إدريس أكريم الذى حضر لاصطحابى إلى منزله ليستقبلنى صديقاى صالح وعبد السلام ابناه الصغيران اللذان ربطتنى بهما محبة، وتذكرت وقتها ورد ابنتى وفرحى بها، وهما يقتربان من سنها، دون العاشرة.

سألته عن موطن إيمان العبيدى التى تنتشر قبيلتها فى المنطقة الشرقية، فأخبرنى أنها من "طبرق"، هاتف والدها واتفق معه على أن نلتقيه ظهر الغد.

إيمان العبيدى... هلالية جديدة

فى الطريق إلى منزل إيمان تذكرت "وادى المرة" الذى ينسب إلى قبر المرأة مريم الهلالية ـ إحدى سيدات بنى هلال المشهور عنها قوتها وعزيمتها وجمالها الأخاذ ـ طول قبرها ١٤ مترا وعرضه متران، مبنى قديمًا من الدبش والحجارة، ومقاييس القبر لا شك كبيرة جدًا على أى امرأة، ولكن صورتها الأسطورة امرأة عملاقة وطويلة، المنطقة قريبة من طبرق التى ولدت وعاشت فيها تلك "الهلالية الجديدة" إيمان العبيدى، المحامية التى فضحت أمام شاشات الإعلام الأجنبية اغتصاب كتائب القذافى لها، حطت الأنظار فيها بعد أن تعلقت "بالمرة" الجديدة إيمان العبيدى وبرغم حساسية الحديث عن الشرف فى دولة مثل ليبيا لما قد يمثله من "عورة" ومهانة، ليس للفتاة ولا لأسرتها فقط، بل لقبيلتها بأكملها وهى قبيلة العبيدات التى تمثل أكبر قبائل المنطقة الشرقية.

ولكن استحسان عثمان إدريس موقف إيمان العبيدى مؤكدًا غضبه على ما حدث لها ـ رغمًا عنها ـ وإن كان لا يعيبها افتراسها واغتصابها من قبل "الجرذان" وسفلة نظام القذافي وأبدى استياءه الشديد وأهالي المنطقة الشرقية مما شجعنى عند اصطحابتى له

إلى حى المطار القديم على إجراء حديث مع والديها فى منزل أسرتها الذى يبعد عن مكان الاغتصاب في طرابلس بـ ١٥٠٠كم، استقبلنا والدها عتيق صالح العبيدي وعلى وجهه وزوجته علامات الذهول والألم وإن بديا قويين في مواجهه المحنة وعلى إصرار بالانتقام من قاتل الشباب ومغتصب البنات، كما نعتت أمها معمر القذافى، ودعم الشعب لإسقاطه وفضح جرائمه أمام الإعلام الدولى، وإيمان كما يقول والدها أجرأ وأقوى بناته الست وأكبرهن دلال المتزوجة ومقيمة فى الجبل الأخضر وأشقاؤها أربعة وأكبرهم صلاح، سألته عن إقامتها؟ فقال: إيمان تقيم بطرابلس منذ أن حصلت على ليسانس الحقوق من الزاوية عام ٢٠٠٤ لدى شقيقتها آمال الموظفة بالرقابة الإدارية وزوجها (نائب ضابط بحرى) وتعمل إيمان محامية حرة.

*** متى كانت آخر زيارة لها إليكم؟**

منذ عام ونصف العام ونطمئن عليها دائمًا بالهاتف، أضافت والدتها: أحيانًا أمشي لزيارتها في طرابلس وزيارة أختها مع أحد أبنائى الرجال وكانت ستزورنا قبل شهر ولكن أجَّل اشتعال الثورة هذه الزيارة.

*** متى علمتم بما حدث لها؟**

قال والدها عتيق: من التلّيفزيون عندما رأيناها فجأة تصرخ وتتهم هؤلاء الزبانية باغتصابها.

*** وهل علمتم بأسباب الحادث؟**

فقال "لا نعرف سببًا ولا ملابسات لما حدث سوى أنهم قبضوا عليها في نقطة تفتيش في طرابلس وأخذوها، وهم في طرابلس يتشددون مع أبناء المنطقة الشرقية خصوصًا بعد نجاح الثورة في تحريرها من أيديهم.

*** هل تحدثتم معها قبل أو بعد هذا الحادث؟**

لا فالاتصالات مقطوعة منذ فترة لا تقل عن أسبوعين حيث قطعوا الاتصالات بين المنطقة الشرقية من "أمساعد" عند الحدود مع مصر وحتى "رأس لانوف" والمنطقة الغربية. لدرجة أن البعض يلجأ إلى الذهاب إلى أمساعد والاتصال من خلال (هاتف مصرى) بأي أرقام في طرابلس ولا نعرف مصيرها إلى الآن سوى ما يعلن عنها من خلال شاشات التلفزة وآخر ما يدّعونه عليها تقديمها للنائب العام بتهمة السب والقذف والإساءة إلى هؤلاء (المغتصبين السفلة) بسبب فضحها لهم.

*** وماذا ستفعلون؟**

لا نستطيع سوى الاستنجاد بالمنظمات الحقوقية الدولية والصليب الأحمر والمنظمات المهتمة بحماية الأبرياء من أمثالها.

*** أُعلن عن عروض تلقيتموها لإنهاء الأزمة؟**

لم يحدث أن وافقت على شيء وإنما استمعت فقط لمتحدث إلي على الهاتف حاول مساومتي بإعطائنا ما نريد من مال ومنزل وسيارات مقابل أن تغير إيمان أقوالها.

*** ومن كان هذا المتحدث؟**

لم يخبرنى باسمه، ولم يقل لى نيابة عن من يتحدث، ولم يعطنى تأكيدًا على أنه من الدولة، إنما فقط ساومنى. وسنتحول إلى مطالبة المجلس الانتقالى والمنظمات الدولية بإقامة دعوى قضائية أمام المحكمة الجنائية الدولية لنفضحهم ونلبسهم ثوبهم الحقيقى الذى كانوا يلبسونه للثوار مدعين عليهم بأنهم يغتصبون البنات.

*** ألم تغضب من إيمان لفضحها ذلك؟**

ردت أمها قائلة.. ولِمَ الغضب.. إيمان شجاعة وجريئة ولا تخاف، وما حدث كان رغم إرادتها، ولذلك كان رد فعلها واقتحامها للصحفيين وإعلانها، وما حدث أمامهم، ولو لم تكن مظلومة لما فعلت ذلك.

*** وماذا عن حفل زواجها من فرج الغيثى، أحد شباب مدينة درنة؟**

فقال والدها، حضر إلينا أبناء عمومتها من العبيدات فى "درنة" وطلبوها للزواج من أحدهم كدعم لها ورد اعتبار، وعقدنا لها عقدًا رسميًا بالزواج وكنت الوكيل.

*** هل سألتها رأيها؟**

لم يحدث، فالاتصال كما أخبرتك مقطوع ونحن لا ندري أين هي وأولاد عمومتنا ضغطوا علينا، وعندما تعود سنأخذ رأيها فى العقد؛ ولكن حسب عاداتنا ـ أضافت أم إيمان ـ الأب هو صاحب الرأى والمتصرف فى مثل هذه الأمور.

عند خروجى من منزل والدى إيمان العبيدى آمنت أن ثورة تشجعت امرأة فيها عن الحديث حول اغتصابها لتفضح منتهكى شرفها فى مثل هذه البلاد، لابد وأن تنجح حتى وإن سال الدم انهارًا. بثنى هذا الحديث اطمئنانًا رغم تراجع الثوار من رأس لانوف إلى مشارف أجدابيا لمسافة كبيرة، ووجع ضربات الكتائب لهم والتى كادت أن تنهب بنغازى بعد أن وصلت إلى مشارفها وحتى بوابة معسكر "٧ أبريل" وجامعة "قاريونس".

جلسنا فى منزل عثمان إدريس، فى انتظار إشارة الحاج طاهر الحرفة لكى ننطلق إلى إجدابيا لزيارة أقارب لهم عادوا أمس إلى المدينة التى حررها الثوار قبل أمس من احتلال كتائب القذافى، بعد أن كانوا قد فروا جميعًا ـ تقريبًا ـ إلى طبرق وبقية مدن الشرق هربًا من المجازر التى ارتكبتها كتائب القذافى وصواريخها العشوائية واغتصاب المرتزقة لصباياها ونسائها.

أذَّن المؤذن للرحيل الذى صاحبنا فيه خبير الصحراء وقصاص الأثر أكريميسا الصاوى، الذى ظل يحكى لى عن المناطق التى تمر عليها ومنها "وادى المرة" وبه "قبر مريم"، تمنيت أن أزوره كى أنظر إلى سمائه لمحاولة قراءة مستقبله فى غيوم السماء التى حبلت بالمطر فغيَّبت الشمس قليلاً قبل أن تعود إلى اختراق زجاج سيارتنا فى حدة لم يخففها سوى نزولنا فى منتصف المسافة بين طبرق وأجدابيا بناء على رغبة الحاج طاهر لتناول غدائنا تحت شجرة الجدارى، كان العمدة عثمان والحاج أكريميسا ينزلون عدة الشواء والماء، وأنا أشارك طاهر فى جمع الحطب.

"ثوار".. على خطى عمر المختار

شيوخ ليبيون تخطوا السبعين
يشاركون
فى المعارك ضد كتائب القذافى

وهم من شيوخ الثوار الذين شاركوا فى هذه الثورة، بعضهم تخطى السبعين عامًا، تذكرت حرب الليبيين ضد إيطاليا فى الربع الأول من القرن العشرين، عندما كان المجاهدون شيخهم عمر المختار وكان قد تخطى أيضًا السبعين عامًا، والآن أمثاله من الشيوخ وقود لمعارك النصر على كتائب القذافى وتحرير "هلال النفط" الزويتينا والبريقة ورأس لانوف.

كان طاهر الحرفة قد أعد فى سيارته الذخائر والسلاح ومؤنًا وغذاء وماء وخروفين للذبح لإطعام الثوار. حكى لى العمدة عثمان إدريس عن عدد من الشيوخ الذين زحفوا من الشرق باتجاه البريقة، عندما سألته: ألم يخف هؤلاء وتوهن عزائمهم؟ فقال: نحن أحفاد المختار الذى لم يخف من الطليان على قوتهم، وأحد هؤلاء الشيوخ قدم أبناء له للجهاد، وعندما استشهد دفنه وذهب إلى منطقة المواجهات ليأخذ مكانه ويحمل سلاحه.

فى ظل شجرة من شجر "الجدارى" توقف ركب الثوار فى صحراء تنعق فيها الريح فى مواجهة حرارة الشمس وسط النهار .. لماذا؟ هكذا سألتهم، فأجابوا للغداء، وكان شواءً وبصلاً وشايًا أخضرًا. سألتهم: والمعركة؟

الشباب هناك فى المقدمة، أما غذاؤنا فهو استراحة محارب بعد المواقع الأخيرة. ما لبثنا أن عدنا إلى السيارة لتطوى الأرض فى سرعتها فتعوض ما فاتنا من وقت فى الغداء.

كانت سيارات عديدة قادمة من إجدابيا باتجاه الشرق، قال طاهر الحرفة بأنها ذاهبة لإعادة الأسر الهاربة إلى إجدابيا بعد أن هدأت الأحوال بانسحاب كتائب القذافى منها. لم أر سوى سيارات قليلة لا تتعدى الخمس تسير بنفس اتجاهنا، توقفت إحداها على جانب الطريق، وأشار شابان يقفان أمامها لنا لنتوقف، كانا بحاجة إلى بعض الوقود لمواصلة الطريق. توقفنا ونزل طاهر ليعينهما بما تحتاج إليه سيارتهما من "برميل" البنزين الكبير الذى يحمله فى صندوق سيارته بوصله بخرطوم، فملأ خزان سيارة الشابين.

كان دخولنا إلى إجدابيا قبيل المغرب من بوابتها الشرقية الجنوبية رأيت عددًا كبيرًا من الناس فى طوابير ممتدة لملء جراكن فى أيديهم بالبنزين، وخلفهم عشرات السيارات المصطفة أيضًا فى طابور طويل أمام محطة البنزين لملء خزانات الوقود بها. أشار لى عثمان إدريس إلى أحد المحلات، وقد أصابته قذيفة صاروخية فدمرته، وهو نفس ما حدث فى منزل صاحبه أيضًا مما كبده

حساير تفوق الخمسين ألف دولار، استقبلنا إبراهيم المغربى ليقودنا إلى المنزل المصاب والمسجد المجاور له والذى يتم من خلاله توزيع المعونات الغذائية القادمة من مصر على الأسر الفقيرة بعد أن خربت المدينة وأقفرت ضواحيها.

فقد بدت إجدابيا، بعد تحريرها بأيام من كتائب القذافي كمدينة أشباح تعاني من الظلام فى أغلب شوارعها بعد أن أغلقت أكثر محلاتها. فشهدت نقصًا حادًا فى الأغذية وحليب الأطفال والأدوية خصوصًا أدوية الضغط والسكر مما هددها بأن تصبح منطقة منكوبة بعد أن بدأت تفقد نسبة كبيرة من ثرواتها الداجنة والحيوانية لكونها المنطقة الأولى لتربية الأغنام حيث تحظى بأكثر من ثلاثة ملايين رأس أغنام وإبل. ويصل عدد المربين من أصحاب القطعان إلى ثلاثة آلاف مربٍ يمتلك الواحد منهم من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ رأس فضلاً عن الرعاة غير المنتظمين. وهو ما يؤكد عظم المصيبة التى حلت بالمنطقة بعد نفوق نسبة لا تقل عن ٣٠٪ من رؤوس الأغنام بها نتيجة الجدب وقلة المطر الذي لم يسقط منذ أربعين يومًا كعادته فى نفس الوقت من العام ـ كما يقول إكرايميسا الصاوى ـ مما أدى إلى اختفاء الشعير فضلاً عن الكسب والأعلاف التي توقف استيرادها منذ بداية الثورة وكانت تأتيهم من خلال ميناءي طرابلس ومصراتة. وأضاف "عبد الحميد الهتش" سببًا آخر وهو عدم قدرة أصحاب القطعان على الخروج إليها فى البوادى لرعايتها وإطعامها وسقايتها خِلال أسبوعي احتلال كتائب القذافي للمدينة أو بسبب هروب أغلب سكان المدينة إلى مدن الشرق فارين

بأرواحهم. نفس الحال كما قال لى محمد المغربى ينطبق على ١٥٠ مزرعة لإنتاج الدواجن التى يصل إنتاجها إلى ما يقرب من مليون دجاجة خلال الدورة الواحدة (٦٠ يومًا).

وقد توقف وصول الأعلاف والأدوية التى كانت تستورد من خلال ميناء مصراتة التى كانت تتعرض لقصف كتائب القذافى يوميًا وإغلاق الميناء، ولذلك بدأت هذه المزارع تشهد نقصًا حادًا مما أدى إلى قيام أصحاب المزارع بإعدام الدجاجات الصغيرة لعدم وجود العلف والعلاج خوفًا من تفشى الأوبئة بينها. وتساهلوا فى بيع الأحجام الكبيرة منها بأقل من ٣٠٪ من ثمنها بل والزيادة عليها من الأحجام المتوسطة كهدية، يعنى كما يقول إخواننا فى بولاق (اللى يشترى فرختين يأخذ عليها واحدة هدية!).

خوف يتملك القلوب فى إجدابيا رغم كل هذه الشجاعة فى القتال وإصرار الثوار. ولكن الرعب يتملك الكثير وهو ما ظهر على ألسنة بعض الشباب الذين تحدثت إليهم وطلبوا منى عدم تصويرهم أو ذكر أسمائهم فى موضوعاتى الصحفية، إنه الخوف الذى يشككهم قليلاً فى صمود الثورة وقدرتها على إزاحة القذافى. ربما بسبب بقائه الطويل فى السلطة ضاربًا الجميع من بشرٍ وحجرٍ بيدٍ من حديد، منكلاً بكل من بلغ عنه اعتراضًا.

عزز ذلك ما حدث فى إجدابيا التى ما إن انكشفت من غطاء الثوار حتى انبجست جحور اللجان الثورية والأمن الداخلى عنهم، خربّوا المنازل وخطفوا الشباب لاستخدامهم كدروع بشرية بعد

تعريضهم للتعذيب للإفصاح عن معلومات تقودهم للقبض على الثوار وخطفوا الصبايا واغتصبوهن فى دبابات الكتائب، ٦٠ فتاة من فتيات وصبايا إجدابيا تم اختطافهن واغتصابهن فوق الدبابات وداخلها وعلى أرصفة الشوارع.

فرج عمر، حكى لى عن البنات اللواتى أخرجوهن من الدبابات عرايا منهكات جسديًا ونفسيًا، بعضهن هربن إلى الصحراء خشية مواجهة العيون بعارهن، ولم يقف لهن أحدٌ على أثر، لفتنى إلى شاب يظهر على شاشة إحدى الفضائيات موجهًا حديثه إلى معمر القذافى مؤكدًا له أنه لن يبحث عنه زنقة. زنقة، بل سيبحث عن جثته حفرة. حفرة ليستخرجها ويقطعها إربًا، بسبب اغتصاب ثلاث فتيات من أخواته، وحدثنى عما اكتشفه الثوار من أشرطة حبوب الفياجرا فى جيوب المرتزقة والأسرى من جنود القذافى. وداخل الدبابات التى استولوا عليها بعد أن فر منها جنودها، وهو مـ شاهدته بعد ذلك ساحة التحرير أمام محكمة شمال بنغازى، يعرضها جندى عجوز من الثوار على رواد الساحة ضمن حبوب أخرى مقوية جنسيًا وأنواع من معلبات الأغذية "التركية" . وبيادات وبزات عسكرية وفوارغ طلقات، ورءوس صواريخ وشظايا وأغراض أخرى مما غنموه. طلبت من حمد بلقاسم محمود أحد شباب إجدابيا اصطحابى لمنازل شهداء المدينة ومصابيها ومفقوديها . لكنه قبل أن يتحرك أصر على الذهاب إلى منزله لإحضار بندقيته لخوفه من جيوب للكتائب فى بعض المنازل، فأغلب الشوارع مظلمة بسبب قطع الكهرباء كما قطعوا المياه وخطوط الهواتف الأرضية

والمحمولة، بدت شوارع إجدابيا فى هدوء يسوده الفرح المنقوص بعد عودة الهاربين من الكتائب.

قال لى عماد محمد الغريانى: هرب سكان إجدابيا البالغ عددهم (٢٠٨ آلاف) باستثناء عدد قليل من العائلات لا يتعدى ١٥٪ من السكان. اتجه أغلبهم إلى مدينة طبرق وجالو والبيضان التي سكنها أكثر من أربعة آلاف أسرة فى منازلها التى لا تزيد عن مائتي بيت، كان الرجال يبيتون فى خيام خارج المنازل التى تركت غرفها لتأوى النساء، ٢٠ امرأة فى كل غرفة.. يقول: ظللنا لمدة أحد عشر يومًا بدون أى أسباب للحياة مثل الكهرباء والمياه والأغذية والأدوية. لولا بعض المصابيح الصغيرة والشموع وقوافل الإغاثة التى جاءت من مصر والمنطقة الشرقية.

تذكرت عقيلة طاهر الذى حكى لى عن إخلائه هو وإخوته وأغلب أبناء عمومته ورفاقه لمنازلهم فى طبرق لإيواء الهاربين، وهو ما أكده إبراهيم الغريانى قائلاً: أولاد عمومتنا عندما انقطعت الاتصالات جاءونا للاطمئنان ونقلونا إلى منازلهم في الشرق وقد أخلوها لنا تمامًا، وكانوا يمنحون كل عائلة منا خروفًا للذبح يوميًا مع الخضراوات والأرز والمشروبات وأرسلوا إغاثات إلى من لم يستطع الوصول إليهم.

قال عبد الجواد محمد صالح والذي هرب إلى الزويتينة بعد ٩ أيام بقاها فى إجدابيا حتى نفد الزاد والزواد ولم يعد لدى من بقي مثله فى المدينة ـ وهم قليلون ـ "ما نطعم به أطفالنا حتى جاع

الأطفال، ولم تكن هناك محلات مفتوحة ولا مستودعات تجارية توفر لنا ما نحتاج فضلاً عن الرعب الذى عشنا فيه نتيجة إطلاق الراجمات والصواريخ وقذائف الدبابات وغارات الطائرات قبل أن يسرى قرار الحظر الجوى والتى وصلت إلى ٤٠ غارة طيران فى أحد الأيام".

وحكى حمد سعيد عن هروبه القسرى تحت قصف صاروخي ورصاصات قناصة انتشرت فى شوارع إجدابيا وعلى أسطح بناياتها إلى الصحراء لا يعرف أين يذهب هو وعائلته ومعهم ١٧ عائلة أخرى حتى "شاهدوا بعض البيوت تحت الإنشاء فى منطقة "ساونو" على بعد ٧٨ كم باتجاه الشرق. فحطوا فيها الرحل دون أن تكون لها أبواب أو شبابيك ولا توجد فيها مياه، لم ينقذهم من الموت جوعًا هم وأطفالهم سوى اهتداء أبناء مدينة طبرق لهم، ومدوهم بالمساعدات الغذائية بعد أن ظلوا لأكثر من عشرين ساعة دون ماء عدا ما أمدهم به بدو المنطقة من آبارهم".

شعب من المرضى النفسيين

فيما يبدو أن العقيد الذى اشتهر فى مصر باسم "مجنون ليبيا" لن يترك بلاده إلا وقد خلف وراءه شعبًا من المرضى النفسيين، فكرت فى ذلك وأنا أستمع إلى شكوى فتحى عبد القادر عبد الحفيظ من عدم وجود أدوية لعلاج الأمرض النفسية والاختلال العقلى، وانعدام العقاقير المهدئة لمن اهتزت نفسياتهم. مؤخرًا جراء ما يحدث فى البلاد والذين زادت أعدادهم فى مدينته بعد احتلال كتائب القذافي لها وما أحدثوه من فزع ورعب، مما تسبب في حدوث ٨٤ حالة إجهاض لسيدات حوامل خلال ٣ أيام فقط - حسب الدكتور على المغربى - والقصف العشوائى للمنازل والذى طال ساحات المساجد عند خروج المصلين بعد أداء (صلاة الخوف) ومنع المصلين بالسلاح من أداء صلاة الفجر واختباء الناس فى منازلهم بعد انتشار حالات خطف الشباب مثل حميد بعيو الذى

اختفى من أمام منزله مع بعض رفاقه ولم يسمع أهله خبرًا عنه، وكذلك عتيق محمد فرج القبائلى الذى اختفى أثناء عودته من منطقة الأربعين (غرب إجدابيا) محملاً بالأغذية لسد بعض النقص فيها. وفاجأته قوات القذافى ومعه محمود محمد عمر وعبد الله عبد الرحيم رشيد ويوسف المعتوق صالح وشقيقه مفتاح معتوق. ويضيف مهدى القبائلى شقيق عتيق: أنهم ظلوا يبحثون عنه فلم يعثروا له أو لرفاقه على أثر سوى سيارته التى وجدوها محترقة عند البوابة الغربية لإجدابيا وبجوارها مقبرة جماعية لأكثر من ٢٠ جثة ومقبرة أخرى صغيرة ومعهم عائلة رجل وزوجته وطفلاه الصغيران. فضلاً عن القتلى الذين كانت تحصدهم طلقات القناصة والمدفعية والدبابات التى كانت تصيب المنازل ومن فيها ومطاردة الكتائب للثوار ومؤيديهم بالأسلحة الخفيفة وقتل من يقترب من البوابة الغربية دون تمييز مثل عائلة السلمانى الذى قتل داخل سيارته ومعه زوجته وابنته الطفلة ذات الأحد عشر عامًا وأخواها الصغيران ليزيد عدد الشهداء عن قدرة الناس على معرفة هوياتهم.

قال لى عبد الله حمد الفاخري غسَّلت مع زملائى ١٥ شهيدًا ودفنَّاهم دون أن نعرف هويات أصحابها أو نستدل على اسم أحدهم لذلك صورنا العلامات المميزة في أجسادهم مثل جرح قديم أو ندبة أو حسنة أو خاتمًا فى إصبع وما شابه بالهواتف المحمولة مع ترقيم الجثث التى صورناهًا حتى إذا ما أخبرنا أحد الأهالي عن علامة لمفقود له نعرف صاحبها ومكان دفنه، ولكن الأشلاء لم

نستطع الاقتراب منها وقد سبب منظرها فزع بعض الشباب الذى خلَّفتْ الأحداث في نفوسهم اضطرابًا أو سببت لهم خللاً مثل على الفيتورى أبو بكر البالغ من العمر ٢٣ عامًا ويعمل فى شركة "النافورة" للنفط وقد بدأ اهتزازه النفسي مع الأحداث وخوفه من كلمات القذافى ووعيده فى خطابه الأول بعد الثورة الذى نعت الثوار فيه بالجرذان. وزادت حالته سوءًا بعد رؤيته واقعة التسعة، فأصبح خائفًا يتصور أن صاروخًا يطارده. قال أهله إنه أصبح لا ينام ويهذي كثيرًا، بحثت عن (على) الذى كان رافضًا العودة إلى إجدابيا احضره أهله غصبًا بعد هروبه إلى البيضان مع الهاربين. قال والده إنهم أرسلوه لأحد الشيوخ ليقرأ عليه القرآن عسى أن يعيده ربه إلى رشده، عندما التقيته رفض الحديث معى أو التصوير بإصرار شديد. مع ترديده "أنا اتدمرت نفسيًا وخايف" حتى أخبرته أنني سأصطحبه إلى مصر، وهنا أمسكنى من يدى متشبثًا بوعدى له، وبدأ يهدأ، سألته ماذا حدث فقال: أبى سجننى فى المنزل لمدة شهر كى لا أخرج خوفًا علىّ من الاختطاف أو القتل، رغم أننى لست من الثوار، وقال لي أبى: إذا طلعت هايخطفوك ويمسكوك مثل الجرذان.. وبدأ على يرتعش وهو يردد أنا مش من الجرذان.. أنا مش من الجرذان.. أنا خايف..

سألته: ممَّ تخاف؟ فقال: خايف من كل حاجة.. خايف من الانفلات بيقبضوا على الشباب ويصطادوهم بالرصاص.. ويغتصبوا الصبايا.. وأشار لى فى الهواء بيدٍ مهتزة: انظر ألا ترى ما يحدث.. انظر فى الإعلام.. في التليفزيون.. كانت حالته بدأت تزداد سوءًا

ويزدادجسده انتفاضًا وارتعاشًا مما أخاف أقاربه من وصوله إلى حالة الهياج والصرع، كنت أفكر فى حالة الرعب التى أصبحت سمة البشر وفى كلماتهم التى إن سمعتها فى بلد غير ليبيا سأظن أن قائلها مريض نفسى أو مجنون، وساءلت نفسى: هل يرغب القذافى بعد أن يدمر بلده ويبيد عددًا كبيرًا من مواطنيه، "أن يبقى الباقين مرضى نفسيين أو مجانين".

شهداء مدينة إجدابيا

وصلت أعداد الشهداء فى إجدابيا إلى أكثر من ١٠٠ شهيد و٣٢٥ جريحًا ومصابًا أغلبها إصابات خطيرة.

وكانت أكبر الفواجع قتل أكثر من ٢٠ شابًا بقذيفة دبابة ودفنهم جميعًا فى مقبرة جماعية، أما أول الشهداء من الشباب غير المسلح فهو عبد الواحد بشير ٢٣ عامًا والمتزوج أوائل شهر فبراير عندما خرج من إجدابيا باتجاه الزويتينة القريبة ٢٣ ولم تمض سوى ثلاثين دقيقة عندما أوصل بسيارته صديقًا له وعاد وقد وجد الثوار الذين كانوا يحمون البوابة شهداء روت دماؤهم الأرض، لتمنعه كتائب القذافي من الدخول إلى مدينته. يحكى شقيقه على بشير الذى كان يصحبته ومعهما صديق آخر: قالوا لنا عودوا من حيث أتيتم، حاولنا الإلحاح عليهم ليتركونا نعود إلى منزلنا فرفضوا، وعندما استدرنا بسيارتنا لننصرف شاهدوا (استيكر) صغير لعلم

الاستقلال ملصق على السيارة من الخلف فصاح أحدهم (معاهم .. معاهم) فأطلقوا علينا وابلاً من الطلقات النارية ليترنح شقيقى عبد الواحد يسقط بجوارى وقد أصيب بأربع طلقات إحداهن فى القلب اخترقته من الظهر، وأصيب مرافقنا فى رجليه فأوقفت السيارة، لحقوا بنا وأنزلونا وطلبوا منا الانبطاح أرضًا ففعلنا. كنت استعطفهم للسماح لى بإنقاذ أخى وصديقه فى المستشفى الواقع على بعد كيلو مترين من البوابة فرفضوا فى صلف شديد وتجبر، بل وهددونى بالقتل، مرت ١٥ دقيقة كانت دماء أخى قد شكلت فيهن تحتنا سجادة حمراء، بعدها قالوا اذهب به إلى بنغازى (١٨٠ كم شرق إجدابيا) فصرخت فيهم: المستشفى على بُعد ألفى متر وتطلبون منى السفر لـ ١٨٠ كم، فرفع أحدهم بندقيته فى وجهى فحملتهما مرة أخرى إلى السيارة ولم أبتعد أكثر من ٨٠ كم حتى قضى بعد أن ظل طوال هذه المسافة يضحك وهو يقول ضربونى ولم ينته ضحكه إلا بصعود روحه إلى بارئها.

(... كانت هذه أول طلقات على أول شهيد من الشباب غير المسلح فى إجدابيا. أما أبشع ما تم فى إجدابيا فهو الصاروخ الذى سقط فوق ٩ شباب كانوا يجلسون أمام منزل أحدهم بعد احتلال الكتائب للمدينة بأيام فاستشهد ثلاثة أشقاء هم سيف النصر وعزات وباسط أبناء محمد سنوسى بوخزيم ومعهم أحمد عبد الهادى الفيتورى أما على ولافى شقيق الشهداء الثلاثة فكما يقول والدهم محمد سنوسي بوخزيم فإنهم على قيد الحياة، لكن أحدهم تم بتر يده اليمنى وقدمه اليسرى في مستشفى الهواري ببنغازى

ورقد فى العناية المركزة والآخر قطعت يده اليسرى والأخرى تم تثبيتها بالمسامير البلاتين. يقول محمد سنوسى: يوم ٢١ مارس الماضى قبيل المغرب جلس الشباب أمام المنزل تحت شجرة وكنت معهم حتى هاتفنى أحد أصدقائى وطلب منى التوجه إليه لمشاهدة الأخبار ولم أتحرك أكثر من عشرين مترًا حتى وجدت قذيفة تسقط فوقهم محدثة دويًا هائلاً وأطاحت بهم عاليًا ثم هوت بهم إلى الأرض وعندما اقتربت منهم. كان الدخان الأسود كثيفًا يلفهم كسحابة ثقيلة. وبعد أن تكشفت عنهم وجدتهم كتلاً من اللحم المعجون وسط بحيرة من الدم، يضيف: ابنى الصغير أنور كان معهم.. وهنا يلتقط أنور خيط الحديث ليقول: دخلت إلى المنزل لأشرب ماء فسمعت صوت الصاروخ فى دوى أصم أذنى. فخرجت مسرعًا كى أطمئنهم علىَّ خوفًا من أن يظنوا أن القصف أصاب الدار من الداخل وأصابنى، فوجدتهم غارقين فى دمائهم وجميعهم ينظرون إلى ومنهم عزات الذى أشار لى بيده كى أساعده على الوقوف وهو لا يعى أن بطنه بقرت وجسده الأسفل تفتت، نظر لي وقال سهله... وكان أخي باسط قد تقطعت قدمه وأمسك بيد أبى وهو يقول "شيلني للمستشفى"...

أما أم الشهداء التى لم تبد ألمًا أو جزعًا وحزنًا وكأنها تؤكد لنا مساهمتها في هذه الثورة قالت : كنت فى الأربعين (٥٠ كم غرب إجدابيا) وأحضرونى بعد استشهادهم لتقبل العزاء. وأضافت: إذا كان شبابنا ومعهم أبنائى الباقونَ دمهم حر فعليهم أن يقبضوا على معمر ويقطعونه قطعة قطعة، وهذا أقل ما يستوجبه من جزاء..

فكرت فيما أرى فى منازل الشهداء منذ أن اشتعلت هذه الثورة. فلم ادخل منزلاً وأسمع فيه نحيبًا أو ألمح حزنًا في العيون، دائمًا ما أشعر بالقلوب مطمئنة أو أنها في حالة غياب عن الألم والحزن، لا ألمح إلا إصرارًا فى الكلمات على القصاص، وهو ما استقبلني به أيضًا والد الشهيد أحمد عبد الهادي الفيتوري قائلاً: شاهدت سقوط القذيفة على الشباب وأنا أجلس أمام منزلى على بعد أمتار في مواجهتهم وأحمد ابني يجلس بينهم فأسرعت إليهم ووجدتهم كتلاً من اللحم فوق بعضهم، كان بوخزيم مبقور البطن مقطوع الذراعين فحملته وكذلك أخاه الثانى ثم الثالث وبعدهم وجدت أحمد بعد أن داعبني الأمل أن يكون قد انصرف قبل سقوط القذيفة لكنه والحمد لله "ارتفع" شهيدًا وكانت إصابته شديدة فى البطن والأقدام ولكنه كان لازال حيًا فحملته مع شقيقه لننطلق به إلى مستشفى بنغازى ولكنه توفى فى الطريق.

أما الناجى الوحيد من "واقعة التسعة" كما أسماها أهل إجدابيا بأقل الإصابات فهو مهدى محمد فرج الذى أصيب ببعض الشظايا الصغيرة في قدمه ويده اليسرى وجنبه فيؤكد على انضمامه للثورة وأنه سيحمل سلاحًا بعد شفائه ليكمل المشوار مع الثوار منتقمًا لرفاقه وجيرانه الذين استشهدوا أمام دارهم.

عدنا إلى منزل مضيفينا آخر الليل، وبعد أن تناولنا العشاء و نستعد للنوم بعد عناء يوم كامل وسفر طويل، تخطت الساعة منتصف الليل، لم يمنعنا التمتع بنوم هادئ بعد أن استعد كل واحد

منا على فراشه، إلا وصول أحد الثوار من مشارف البريقة مفجرًا قنبلة فى وجوهنا، وهى أن الثوار قد انسحبوا من البريقة إلى البوابة الغربية لإجدابيا، وأن كتائب القذافى فى إثرهم، وربما تدخل المدينة خلال ساعتين، عزز هذا الخبر أن سمعنا أصوات انفجارات وطلقات نارية، وقوله أنه سيأخذ أهله وينطلق بهم إلى الزوتينية أو بنغازى.

ساد صمت رهيب، اعتدل طاهر الحرفة من رقدته، وأشاح عثمان إدريس الغطاء عن جسده، سارع اكريميسا بارتداء ملابسه وبدوا فى ذهول لدقائق قبل أن ينفلتوا إلى خارج الدار، وأنا خلفهم، فى الشارع كانت سيارات كثيرة تقف أمام منازل أصحابها وقد أضاءت مصابيحها وأديرت محركاتها، وحمل كل صاحب منزل أطفاله واحتياجاته استعدادًا للهرب، كدتُ أجن، فقد نويت الذهاب صباحًا إلى الجبهة ولكن الجميع عازم على الفرار. وليس لى أحد هنا يصاحبنى إليها فرضخت. انطلقنا بسيارتنا مع السيارات التى كانت تتسارع للهروب إما باتجاه بنغازى والزويتنة، وإما فى الاتجاه الثانى نحو البيضان وطبرق، وهو طريقنا.

صمت خيم علينا، صاحبه الخوف، الريح تضرب أجناب السيارة، والبرد يتسلل إلى أقدامنا، لم تهدأ الأعصاب التى توترت وأشعلت فى داخلى غضبًا من عدم استكمال مسيرى إلى مواقع القتال، عاتبت نفسى على أن تملكنى الخوف فلماذا إذن جئت؟ فكرت أنه قد يتضح عدم صحّة الخبر الذى ساقنا هاربين إلى

طبرق، إلا أن أضواء حمراء أمامنا لمصابيح عدد من السيارات، تأكدنا أنها لقوات الثوار حين اقتربنا منها، كانت لا تقل عن عشرة سيارات "تويوتا" من النوع الذى يستخدمه المقاتلون لحمل الصواريخ الأرضية المضادة للطائرات.

وصلنا ونحن فى غاية الإجهاد إلى طبرق بعد أذان الفجر الذى صليته وقد أنهكنى التعب، لأرتمى بعدها على فراشى فى منزل العمدة عثمان وأغط فى سبات عميق، فى الصباح اعتكفت ساعتين لكتابة الموضوعات التى جمعتها، ثم خرجت بصحبة أحمد عثمان إلى وسط طبرق للبحث عن مكتب لكتابته على "الكمبيوتر" وتسجيلها على قرص "سى.دى"، ثم طلبت من شقيقه هاشم تدبير سيارة لتعود بى إلى "مساعد" لإرسالها إلى الجريدة. وهو ما خفف عنى ألم الهرب فأقنعت نفسى بأن للهرب فائدة.

أحضر هاشم ابن عمه خالد فضل بوسعيد القطعانى الذى انطلق بى إلى "مساعد"، ما إن وصلتها حتى عادت الروح إلى هاتفى المحمول. طلبت فتحى أبو وافى أحد أبناء مطروح أخبرته بحاجتى وأنا أمام جمرك السلوم على بعد أمتار، فوافق وحادث الشاب الذى تخيرته من العابرين ليحمل رسالتى واتفق معه على تسليمها إلى صيدلية "الدكتور فؤاد" فى السلوم، وبالفعل وصلت المادة إلى الجريدة، وعدت إلى طبرق مع خالد الذى لم يقبل أن يقلنى بسيارته إلى إجدابيا بعد أن تأكدت أن الثوار لا يزالون مسيطرين عليها، حرصًا على عدم إغضاب والده الذى يخاف عليه، فانتدب لى سائقًا آخر لينطلق بى بعد العصر إلى إجدابيا.

الهروب
إلى الشرق والنصر فى البريقة

كانت العودة إلى إجدابيا[1] كالسير فى حقول ملغمة، فأهلها يهربون بعائلاتهم للمرة الثالثة خلال أسبوعين بعد انتشار خبر عودة كتائب القذافى لاحتلالها مرة أخرى، فى طريقنا كانت مصابيح سياراتهم المتجهة إلى الشرق تعطى لنا نحن السيارة

(١) مدينة إجدابيا التى شهدت محاولات الكر والفر بين كتائب القذافى والثوار فى معارك عنيفة كل يحاول السيطرة عليها لكونها المدينة المفصلية والمحور الأساسى لحركة التنقل فى ليبيا، حيث تتحكم فى الطرق من الغرب إلى مصراتة وطرابلس ومينااى النفط الرئيسيين، البريقة ورأس لانوف، وإلى الشرق الذى يصلها بمدينة بنغازى ودرنة والبيضاء وميناء الزويتينة النفطى، وكذلك الطريق الصحراوى الشرقى إلى مصر، والذى تقع عليه مدينة طبرق، إحدى أكبر المدن فى ليبيا وبها ميناء الحريقة النفطى، وتتحكم إجدابيا فى الطريق الرئيسى إلى الجنوب حيث ٩٠٪ من حقول النفط الليبية فى أوجلة وجالو وتازربو التى تعوم على بحيرة من الغاز الطبيعى، ومساحتها ١٥ كيلومترا من الشرق إلى الغرب، و ١٠ كيلومتر من الجنوب وحتى البحر شمالاً، ويسكنها ٢٠٨ آلاف نسمة، ٧٠٪ منهم أبناء قبيلة المغاربة.

الوحيدة المتجهة إلى إجدابيا ساعة عصرية إشارات ضوئية صارت شفرة التحذير فى النهار، كان الفزع باديًا من سرعة السيارات الهاربة والتى تتجاوز سرعتها ١٨٠ كم فى الساعة، والتى انقلب عدد منها فى حوادث دامية على جانبى الطريق، إجدابيا مليئة بعناصر من كتائب القذافى ولجانه الثورية والأمن الداخلى فمن الأفضل أن نعود إلى طبرق، هكذا قال السائق، فطلبت منه الصمت ومواصلة السير، وعدت إلى صمتى وتفكيرى فى خطواتى غير المحسوبة بدقة فالرجل الذى هاتفته لينتظرنى ويساعدنى محمود حرينة لا أعرفه جيدًا، فقط رافقته أقل من ساعة في سيارته. عندما اقتربنا لمسافة كيلومتر واحد من البوابة الشرقية للمدينة، ازداد صوت السائق حدة محذرًا وهو يشير إلى تزايد أعداد العائلات الهاربة بسيارات مسرعة، كان آخر تحذير لى منه وهو يتركنى أمام مسجد "التنعيم" ليستدير عائدًا "... لا تثق بأحد هنا" مما زادنى ارتباكًا.

كانت المدينة هادئة تمامًا، فالأنوار مطفأة، والصمت الخاشع يدجن أطراف الشوارع، ترى ماذا سيحدث بعد دقائق أو ساعات، هل ستطولنا قذيفة من قذائف الكتائب العشوائية. وهل محمود حرينة الذى هاتفته ورحب بوصولى من الثوار فعلاً أم أنه عميل للكتائب واللجان الثورية؟! وما أنواع التعذيب التى احترفتها أجهزة القمع العربية خصوصًا فى ليبيا، فما سمعته يقشعر له البدن وتنهار أمامه الشجاعة، الخوف من التعذيب وليس من الموت فدائمًا كنت لا أحب النجاة من الموت... من الموت، وليس التعذيب..

التقطنى محمود حرينة المغربى من أمام المسجد. وسار باتجاه منزله الذى سنقضى فيه ليلتنا، كانت المدينة خالية إلا من بعض الثوار والعاملين فى مستشفاها القديم، هدوءٌ يسربله الخوف، وحذرٌ ربما لا يغنى من قدر الموت أو الخطف، تواضع أسلحة الثوار وهلع المواطنين الباقين فى منازلهم قد يدفعنا إلى الهرب مرة أخرى! مع توالى الأخبار عبر هاتف محمود عن المعارك بالقرب من إجدابيا واستيلاء الكتائب على البريقة. بعد وصولنا إلى المنزل بدقائق بدأت زوجة محمود تلح عليه فى الهرب وهو ما جعلنى أطمئن إليه، كان يستمهلها، حاول أن يظهر أمامى شجاعته، على الأقل حين نسمع أصوات الرصاص أو القصف، هكذا قال لكنه مع الحدس العسكرى، وضغط الزوجة وتوالى المكالمات حاملة أخبار انتصار الكتائب ورجاء ابنه الصغير صالح، دفعه إلى البدء فى نقل الحقائب التى أعدوها للسيارة ولم تنس الزوجة حفاضات طفلتهم الصغيرة "سُمية" التى لم تبلغ عامها الأول بعد. طلب منى محمود التجهز للهرب إلى الشرق يا لهذا الهرب التى جئت لأمارسه كل ليلة!! فارتداد الثوار إلى مشارف إجدابيا بعد أن كادوا يدخلون سرت أمر خطير، وبوابة إجدابيا الشرقية مكشوفة لا يستطيعون حمايتها، والكتائب لهما جيوب فى منطقة ١٠٣، وقد جربوا الالتفاف منها قادمين من "هون" فى الجنوب الغربى إلى "زلة" و"مرادة" وهو ما يعنى إعادة احتلال إجدابيا، وقتها سيكون الانتقام أبشع، والقصف أعنف. هكذا قال أحد الثوار عند وداعه لنا فى أحد شوارع المدينة المظلمة. الخالية إلا من متاريس أقاموها بالحجارة أو أجهزة

البوتاجازات والثلاجات القديمة (وكنبات الأنتريهات)، والعربات الخربة والمحترقة. كانت الرياح التى تحمل سوافى الصحراء وغبارها التى يسميها الليبيون "العجاج" قد هدأت لتكشف الطريق أمام الهاربين مع ضوء النيران التى أشعلها الثوار فى صناديق القمامة لحرقها تخلصًا من العفن والذباب الذى تكاثر منها بعد أن تراكمت، ورغم تأخر الوقت من الليل كانت محطة البنزين فى طريق طبرق تعج بعشرات الشباب يحملون الجراكن وسيارات كثيرة اصطفت لملء الخزانات الذى يوزع بالمجان. منذ يومين كما قال منصور أبو سهل صاحبها، تقديرًا لحاجة الناس ومساعدتهم على الهرب، كانت آخر الأخبار التى تلقاها محمود على هاتفه هو مرور سيارة عسكرية تحمل قاذفات الجراد وأنها تتقدم باتجاه الغرب إلى إجدابيا هربًا وهو ما يعنى أن المدينة ستتكشف من الثوار.

على بعد ٢٥ كم كانت البيضان ـ التى أخذنا محمود إليها ـ منورة بالفارين، الأنوار تتلألأ وصياح الأطفال يتعالى، وصراخ الأمهات عليهم، وضحكات الشباب وحكايات المسنين، أما إجدابيا فقد أصبحت مدينة للخوف، يسكنها الصمت والثوار، تناولنا شايًا مع الشباب داخل الخيمة فى ليل الصحراء قارص البرودة، فضلت أن ننطلق إلى "الجبهة"، فعراءٌ بعراء، والجبهة القريبة من البريقة أفضل وأهم... وافق محمود، عدنا لنقطع ما يقرب من ٩٠ كم، كنا نسير خائفين من لقاء الكتائب. وصلنا حيث يتمركز الثوار. بعد أن تأكدنا من صمودهم على مشارف البريقة.

فجرٌ يعطره المطر وبرودة شديدة فى الصحراء، ولكن صوت الرصاص وشوق القلوب للشهادة يدفئ الأجساد، هكذا قال لى عيد بو فراج الثائر الذى لم يخلع "أفرول" القتال أو يضع عن كتفه البندقية منذ ٢٥ يومًا، هل تؤمنون بالنصر؟ سألتهم ونحن فى حلقة حول أبريق شاى على نار "راكية" فى العراء، طلبت منهم أن يشعلوها لنستدفئ بها، قال رافع عباس الجندى فى كتيبة الدروع فى معسكر "قاريونس": لو لم أكن واثقًا منه لما انضممت للثوار ومعى كل كتيبتنا وقائدها العقيد محمد سمير، ولما انضم إلينا عدد من الشباب المصرى وقاتلوا معنا قتال الأبطال فى الصفوف الأمامية. أما ربيع مؤمن راعى الغنم الذى جاء من منطقة "العزَّيات" لمشاركة الثوار بدون سلاح، صار يساعدهم ويشارك فى تجهيزه الأسلحة للمقاتلين وصيانتها وتعبئتها بالذخيرة، فإنه يتعجل النصر ودخول سرت حتى يستطيع العودة للاطمئنان على "نعجته" التى حان وقت وضعها، رغم أن أباه طمأنه على رعايته لها وعلى بقية الغنم، أما البندقية التى يحملها فرج محمد الطالب بكلية الاقتصاد بقاريونس، وانضم إلى الثوار من أول يوم، فإنه قد حصل عليها من كتيبة "الفضيل بو عمر" عندما اقتحمها معهم ومضى بها إلى الحرب طلبًا للحرية.

سألته: هل وافقت أمك؟ قال طلبتُ منها السماح، ولو لم تسمح لى لما خرجت، دعت لى بالنصر، أما أبى فقد حفَّزنى بقوله: لا تجلس فى المنزل طالما حصلت على سلاح، روح انصر بلدك، وشجع أخى السائق على استخدام سيارته فى نقل السلاح والذخيرة للمجاهدين. سألت صالح عبد الجواد، مدرس الثانوى الذى كان

يزاحمنى الاقتراب من الراكية للاستدفاء عن سبب مجيئه، فقال: من أجل نصرة الإخوة وإزاحة الكابوس، وقد تدربت على الكلاشينكوف، ولن يهزمنا الطاغوت، كما لم يهزمنا هذا البرد الشديد فى العراء، ولا القهر الذى عشناه على مدى ٤٢ عامًا، كان وقتنا يمضى بين الثوار بسرعة الطلقات الممزوجة بالفرح، والمغموس فى العسل الذى يتناولونه ببعض لقيمات قليلة أكرمهم بها أهل المناطق المحررة مثل رأس لانوف الذين فتحوا لهم البيوت مع القلوب واستضافوهم فيها، يأكلون ويستريحون.

هكذا قال رافع، وأضاف: يشجعنا ذلك الآن على استعادتها، المعروف أن قبيلة المغاربة تكون أغلب العنصر البشرى فيها وهم أهل عزيمة، وقد قتلت كتائب القذافى عددًا من شبابها أبناء عائلة بهيج بعد أن اعتقلوا ١٥ منهم بسبب مساعدتهم لنا. وليس غريبًا عن هذه العائلة التى استشهد منها ١٨ شابًا فى موقعة "الكراهب"(١) ضد الطليان عام ١٩٢٣، كان الثوار يواصلون تقدمهم نحو البريقة، ونحن معهم تظللنا السماء الحبلى بالمطر، وتلفنا زوابع الرمال والغبار، وريح العجاج التى غطت وجهنا جميعًا، لم يحاول صلاح رجب مسحه عن وجهه كما فعلنا، وكأن حاله يقول: تراب الوطن الذى جئنا لتحريره غالٍ، كيف نمسحه عن وجوهنا.

وعلى مشارف البريقة كان صالح محمد (٦١ عامًا) الذى استشهد ابنه فى معركة سابقة فى "رأس لانوف" يحمل بندقيته NFZO

---

(١) وتعنى السيارات التى مازال المسنون فى ليبيا يسمونها السيارة بالكهرية.

ويتقدم مع الثوار، سألته: لماذا جئت؟ فقال: لإكمال ما بدأه ابنى الأكبر رمضان الذى استشهد فى معركة الدفاع عن "رأس لانوف" والبحث عن أخيه محمد الذى اختفى منذ احتلال الكتائب لها، عسى أن تأتينى عنه أخبار حتى إذا استشهد، سأطمئن عليه كما اطمأننت على أخيه، سألت صالح محمد: وهل تدربت على السلاح؟ فرد علىّ بفخر واستهجان: أنا عسكرى قديم خدمت فى الجيش الليبى السابق، وشاركت فى حرب تشاد طوال ٧ سنوات حتى وصلنا إلى "انجامينا" العاصمة. ومثله كان عيسى خليفة محمد المغربى البالغ من العمر ٧٠ عامًا، وشارك أيضًا فى معارك تشاد، وأهمها معركة "أوزو" كجندى فى كتيبة الصاعقة. يقول عيسى: بعد أن احتلت قواتنا "انجامينا" تنازل عنها القذافى وأنكرنا ونعتنا فى خطاب علنى بالكلاب الضالة والمرتزقة وقتها كان هدفه تصفيتنا وقتل العقيد خليفة حفتر الذى أعلن رفضه لما حدث وهرب إلى أمريكا وعاد الآن ليقود الجيش الوطنى مع رفاقه من الثوار الكبار ضد كتائب القذافى.

ولعيسى خليفة أيضًا ولد شاب اختفى فى معركة بن جواد الأولى بعد أن حصل على تدريبات فى معسكر بنغازى واتجه مع الثوار، أما مفتاح طرنى الذى تقاعد عن عمله كموظف فى شركة الزويتينة منذ ٤ أعوام فيؤكد أنه كان قد نذر أن يحمل سلاحًا إذا انتفضت البلاد فى وجه القذافى حتى لو بلغ ثمانين عامًا. اقتداء بشيخ المجاهدين عمر المختار لكراهيته هذا النظام الذى أذل ليبيا طوال اثنين وأربعين عامًا كان يسخر فيها من الشعب ويستهزئ به واستطاع أن

يستغفل الشعب ويوهمه بأنه يشاركهم فقرهم لكون مرتبه ١٩٠ دينارا فقط، وقد أعلن ذلك مرة، وفى مؤتمر الشعب الأساسى باجدابيا عام ١٩٩٢ خُصصت جلسة ليناقش فيه الإخوة من "نصابى" اللجان الثورية زيادة مرتب القائد إلى ٢٥٠ دينارًا، وصارت التمثيلية، البعض وافق والبعض اعترض، فطلبت الكلمة وتحدثت مؤكدًا تنازلى عن راتبى فى شركة الزويتينة البالغ ٧٥٠ دينارًا للأخ الزعيم القائد، وأخذ راتبه ١٩٠ دينارًا بشرط أن يدلوننى على الجمعية الاستهلاكية التى يأخذ منها القائد السلع التى يعيش عليها هو وأولاده، ومنذ ذلك الحين لأنهم فهموا أننى أسخر منه، نالنى التعذيب والتعقب والإذلال، سألته: ألست خائفًا الآن على عمرك؟ فقال ضاحكًا: لم يعد فى العمر متسع لأخاف عليه، وهو قليل عليها، أما فى بنغازى فلم تكن ساحة لبيع السيارات إنما كانت هذه المئات من السيارات التى اصطفت عند المدخل الغربى للمدينة بأول طريق طرابلس للشباب الذين جاءوا إلى معسكر ٧ أبريل للتدريب على السلاح، على بوابة المعسكر كان أحد الشباب يلح على حارسها ليسمح له بالدخول، والحارس يؤكد له أن الساعة تجاوزت التاسعة صباحًا وهو موعد إغلاقها. كاد الشاب أن يبكى ليدخل، فهو قادم من طبرق على بعد ٤٨٠ كم شرق بنغازى، وداخل المعسكر كان محمد عبد الكريم (٢٠ سنة) طالب بهندسة البترول قادمًا أيضًا من تازربو، ٨٥٠كم جنوب شرق بنغازى.

محمد أمضى أسبوعًا من فترة التدريب على "دوشكا" مدفع مضاد للطيران، وسيبقى لأسبوع آخر يكمل فيها تدريبه ليلتحق

بالثوار، وكان هذا حال ٧٠٠ شاب من المتطوعين الذين سينهون تدريبهم معه.

التدريب يتم كما يقول "مصعب الترهونى" لمدة أسبوعين، كانت البداية بالتدريب على الأسلحة الخفيفة، وظل الأمر كذلك حتى أسبوع مضى، حيث بدأ تدريب المتطوعين على الأسلحة الثقيلة ومضادات الدبابات والطائرات، وهو ما عاد لأجله عبد القادر مبارك (٣٨ عامًا) مدرس أحياء، حيث تدرب فى بداية الثورة على الكلاشينكوف والـ RPG، وبعد أن وجد أنها لا تجدى مع عنف أسلحة القذافى وقوتها انسحب إلى الخطوط الخلفية، حيث ظل لأكثر من عشرة أيام لتأمين ظهور المقاتلين، وعاد ليتدرب على الأسلحة الثقيلة. ولم تكن مفاجأة لنا أن نرى رؤوسًا قد علاها الشيب، وظهورًا قد انحنت، جاء أصحابها من الشيوخ ليشاركوا المتطوعين فى الحصول على تدريبات على السلاح.

مصطفى محمد (٦٠ سنة) عاد إلى المعسكر للتدريب بعد أن أمضى بنفس المعسكر عشرين يومًا عام ٦٩ قبل ثورة معمر القذافى، حيث كان معسكرًا للكشافة ـ كما يقول ـ والآن جاء للتدريب على استعمال الأسلحة الخفيفة على الأقل "حتى أستطيع حماية الشارع أو الحى الذى أسكن فيه وعائلتى إذا عاود القذافى التفكير فى إرسال مرتزقته إلى بنغازى كما حدث قبل أسبوعين".

أما فرج فايد (٦٣ عامًا) فقد حضر بعد أن استفزته روح الشباب وفدائيتهم وشهامتهم فأمدونا بالأمل ـ كما يقول ـ وأضاف

سألحق بابنى الكبير هاشم على الجبهة، وهو الآن مع رفاقه الثوار فى محاصرة بقايا كتائب القذافى فى شرق البريقة، وإن شاء الله عندما أنهى تدريبى سألحق به على أبواب طرابلس.

مصريون فى الجبهة

ما يقرب من ثلاثين عامًا تفصل بين موقعة "خالدة" على أبواب بيروت وموقعة "البريقة" فى ليبيا، وفى الاثنتين سال الدم المصرى دفاعًا عنهما الأولى ضد الإسرائيليين والثانية ضد القذافى، لم تكن مفاجأة لى أن أقرأ اسم السيد محمد خليل سليمان الشاب المصرى الذى استشهد فى الصفوف الأمامية لمعركة "كابلينو"، فى لوحة الشرف بمبنى المجلس الوطنى الانتقالى فى بنغازى أو أن يحكى لى هاشم عثمان إدريس عن إسقاط أحد المصريين لطائرة تابعة للقذافى فى معركة بن جواد يوم ٧ مارس الماضى ثم استشهاده مع عدد من الثوار الذين أصابتهم صواريخ القذافى، ولا يذكر سوى أن اسمه خليل من طنطا.

وعلى مشارف البريقة لم يكن من الصعب الوصول إلى مجموعة الشباب المصرى الذين حملوا السلاح لمواجهة كتائب القذافى مع

إخوانهم الثوار، منهم من كان يعمل ببنغازى مثل (أبو العلا محمد)، ابن سمالوط بالمنيا، ومنهم من جاء للمساهمة فى إسعاف الجرحى والمصابين مثل عبد الله أسامة جاد، الطالب بنهائى طب القاهرة.

ومنهم من أنهى ثورته فى ميدان التحرير وسافر ليلحق بالثوار فى بنغازى، كأحمد محمد حامد السائق، ومحمد أحمد عادل مهندس اتصالات، وجميعهم مؤمنون بضرورة الإسهام فى تحرير ليبيا من القذافى، فاتجهوا إلى جبهات القتال ليحملوا السلاح. يقول أحمد حامد، دخلت ليبيا يوم ٢٧ فبراير لمساعدة الشباب الليبىَ بما يمكن أن أساعد به، وشاركت فى تنظيم قوافل المساعدات الغذائية والطبية.

وبدأت الفكرة أثناء وجودى وسط الشباب فى ميدان التحرير أثناء جمعة المطالبة بتنحى الفريق أحمد شفيق، وكانت ثورة ليبيا قد بدأت فاتفقت مع عدد من الأطباء الشباب على جمع تبرعات ومساعدات طبية وغذائية ونقلهما إلى ليبيا، وعندما جئت بها كنت أنوى العودة إلى مصر بعد معرفة أسماء الأدوية والمستلزمات الطبية الناقصة، ولكننى عندما سمعت باقتحام كتائب القذافى للمنازل فى إجدابيا وغيرها وانتهاكها حرمات النساء والفتيات بالاغتصاب، وأيضا ما حكاه لى بعض الفارين من طرابلس ومصراتة عن التنكيل بالشباب المصرى واستخدامهم دروعًا بشرية، فقررت مواصلة السير إلى مناطق القتال للمساهمة بدمى فى تخليص الشعب الليبى من هذا الطاغية.

ولأن أحمد لم يحظ بشرف الخدمة العسكرية فى مصر ولا يعرف استخدام السلاح، فكان عليه البدء مع اثنين من رفاقه ممن لم يخدما العلم التوجه إلى معسكر (٧ أبريل) ليتدربوا فيه على استخدام السلاح، كلاشينكوف و ١٢,٥ RPG والـ ١٤,٥ م. ط. وشاركوا - كما يقول - أبو العلا محمد فى تحرير البريقة وبن جواد ورأس لانوف، وظلوا مع الثوار حتى تقهقروا إلى مشارف البريقة، حيث التقيتهم، يؤكد أبو العلا أن الطريق كان مفتوحًا إلى سرت لكن "الخيانات" التى حدثت فى "بن جواد" من بعض عناصر اللجان الثورية المندسة بين الثوار هى التى كشفتهم وسهلت الالتفاف لكتائب القذافى، والتغاضى عن بعض الجيوب التى كانت مختبئة فى جامعة "النجم الساطع"، وهو ما دفعنا - كما يقول - عادل أسامة جاد، بعد ذلك للانتباه والحرص مما أدى إلى كشف بعضهم وتسليمهم إلى قيادة الثوار.

ويحكى أحمد حامد عن الشاب المصرى عبد الرحمن ابن المنصورة البطل الذى استشهد بعد إصابته بقذيفة من طائرات القذافى فى "رأس لانوف"، وشاب آخر كان معه أصيب فى كتفه برصاصة م. ط.، فحملوه إلى بنغازى ومنها أعادوه إلى مصر لدفن جثمانه فى أرض الوطن، ويعودوا هم إلى جبهة القتال ليشاركوا فى تحرير أجدابيا وتمشيط شوارعها ومنازلها بحثًا عن عناصر اللجان الثورية والمرتزقة العبيد.

ومن أخطر المواقف التى تعرضت لها المجموعة المصرية، كما يقول محمد أحمد عادل، هى تأمين انسحاب الثوار إلى أجدابيا

التى شارك معهم فيها محمد بوخطاب ومحمد اسماعيل من الليبيين، فعملوا على تغطية ظهور المقاتلين وترتيب كمين لكتائب القذافى على الطريق، كادوا يُقتلون فيه لكنهم نجحوا فى تدمير ٤ سيارات للكتائب والاستيلاء على سيارة جيب عليها مدفع ١٤,٥ م. ط.

ويواصل محمد أحمد عادل الهلالى حديثه متذكرًا أخطر المواقف التى عاناها مع بعض الثوار عند قصف طائرات القذافى لمواقعهم. قبل بدء سريان قرار الحظر الجوى، وأثناء فرارهم منسحبين من "بن جواد" يقول: سمعت صرخات استنجاد لاثنين من الثوار شلتهم الإصابات التى لحقت بهما عن الحركة، ونتيجة للقصف المكثف لم يجرؤ أحد على العودة إليهما، فركبت سيارة الإسعاف الخاصة بشركة سرت للبترول ومعى الدكتور محمد منير، وهو مصرى أيضًا ولم ننصت للتحذيرات، أسرعنا إلى المصابين تحت وابل من القذائف، واستطعنا حمل المصابين والنجاة بهما. وبالطبع لم يسلما فى هذه المحاولة، حيث أصيب فى ذراعه اليمنى وحدث للدكتور منير بعض الإصابات الخفيفة، مؤكدًا أن ستر الله وحده هو الذى أنجاهما، فقد سارا بسيارة الإسعاف والرصاص ينهمر عليهما وقد اخترقتها عشرات الرصاصات، وقال إنه قبل هذه الحادثة كان يعمل فى الإسعاف ومساعدة الجرحى، بعدها اتجه إلى معسكر (٧ أبريل) للتدريب على الأسلحة ليعود إلى الجبهة مقاتلاً.

لم تنته قصص البطولات المصرية على أرض ليبيا، ففى كل مكان تسمع عن حكايات بطولية وقصص خيالية، قال الليبيون إنها ليست

غريبة على المصريين. غير المساعدات الطبية التى استقبلها مصطفى فتحى فى صالة "الجمانيزيم" التى يمتلكها بجوار محكمة شمال بنغازى ليحولها إلى صيدلية توزع الأدوية مجانًا على رواد ساحة التحرير.

القذافى وصلته أسلحة إسرائيلية تعمل بالبصمة والكمبيوتر

بعد أكثر من خمسين يومًا[1] من انطلاق شرارة ثورة ١٧ فبراير فى ليبيا، وبداية المواجهات المسلحة والتى ظن البعض تفاؤلاً أنها ستنهى حكم العقيد سريعًا، لم يزل الأمر غير مطمئن ولا مبشر بقرب انتهاء الأزمة ولا وقف نزيف الدماء. إنها الحرب، نعم هى الحرب التى قد تطول شهورًا. وقد تقصر فى حال زاد الدعم للثوار لإنقاذ الأرواح أو ازدادت الانشقاقات حول القذافى سريعًا أو قام أحد باغتياله، ولكنه طالما بقى فى السلطة، وطالما أيضًا وصلته أسلحة إسرائيلية أخرى، فهو يمتلك المال، الذى يحاول أن يمنعه عن الثوار بضرب حقول النفط، خصوصًا بعد أن تبنت قطر دور تسويقه وبيعه، عبد الحفيظ غوقة المتحدث الرسمى باسم المجلس الانتقالى الذى يمثل فى ليبيا ثورة الشعب.

(١) تم اللقاء فى بنغازى فى بداية شهر أبريل ٢٠١١.

تحدث عما يشغل الثوار ويقض مضاجع المجلس وما يريدونه من مصر، والدول العربية، مؤكدًا أن للغرب مصالح فى ليبيا ونفطها ولا ضير فى ذلك.

وقال عبد الحفيظ غوقة، نحن نتفهم أطماع ومصالح الغرب فى ليبيا التى تعتمد بشكل كبير على النفط الليبى، وما المشكلة فى ذلك؟! فهم ساعدونا أكثر مما ساعدنا الأشقاء، من كان يستطيع كبح جماح هذا الأرعن المجنون ويوقف اندفاعه فى تدمير ليبيا وإبادة شعبها سوى الغرب.

ما المشكلة أن نتفهم مصالحهم كما أن لنا مصالح لديهم ونحن أحوج ما نكون إليهم؟

ولكنهم يتلكأون فى القصف مما يتيح لكتائب القذافى التحرك ضد الثوار؟

هم يبررون ذلك بأسباب عدة مثل سوء الأحوال الجوية والحرص على عدم إصابة المدنيين؛ لأن كتائب القذافى تتحصن داخل المدن وبين الناس فى الشوارع والمنازل.. وربما أيضًا بسبب تغيير قيادة العمليات داخل التحالف، وموقف المجلس أعلنه اللواء يونس، وإذا استمر ذلك فسنقوم بتقديم طلب آخر إلى مجلس الأمن أو أى من الدول الصديقة.

ولكنها خفت كثيراً عما كان من الفرنسيين؟ فهل أثر ذلك على حركة الثوار؟ خصوصاً أن التحالف قصف قواتًا لكم؟

طبعًا وهو ما أفسح المجال لقوات القذافى كى تسيطر على الزاوية ومصراتة والزنتان بعد تدميرها، وإن كنا فى المجلس نصدق إلى الآن أن القصف على الثوار بطريق الخطأ.

هل يمكن أن تكون هناك صفقة مع القذافى؟

لا أعتقد، على الأقل في العلن، فالعالم كله أجمع على وجوب رحيله وهو ما ظهر من قرارات مؤتمر لندن، والغرب قدم للشعب الليبى خدمة كبيرة عندما حد بقصف كتائب القذافى من زيادة جرائمه فى إبادة الشعب، فلولا هذه الغارات لكانت الأمور أسوأ كثيرا. فأرتاله العسكرية التى تقدمت إلى بنغازى يوم١٦ مارس كانت كفيلة بتدمير المدينة وارتكاب مجازر فيها.

ولكن هناك طائرات ليبية تتبع الثوار بدأت القصف؟

طبعًا والفضل لله أولاً ثم لشهدائنا الطيارين فخرى الصلابى والمهدى السمين وامبارك العقيلى الذين رصدوا هذه الأرتال والآليات العسكرية من قاعدتهم فى بنغازى، ومن بلاغات الثوار فور تحرك الكتائب فخرجوا بطائراتهم وقذفوا مقدمتها واستشهدوا، ثم تكفل التحالف بإبادة جميع الآليات والسيارات العسكرية.

ولكن إلى أى مدى ستصمد قوات الثوار وتحرر ما بقى من مدن وفى كم من الوقت؟

أهلنا الصامدون فى مدن الجبل الغربى والزاوية ومصراتة يتحركون معنا وسيكون بمقدورنا قريبًا الوصول إليهم ووقتها سنتمكن من فك الحصار عن طرابلس.

وسرت؟

سيكون هذا عبر سرت بالطبع وبعد السيطرة عليها فور أن نع تحرير البريقة ورأس لانوف.

ولكن أغلب سكان سرت من قبيلة القذاذفة؟

لا أحـد مـعه إلا قـليل من حـاشيـته وأذنـابه ولا يـظن أحـد أن القذاذفة معه فأغلبهم ضده وكذلك قبيلة الفرجان.

وهل تستطيعون ذلك بما معكم من أسلحة بسيطة؟

لا؛ لأنه يمتلك أسلحة حديثة جدا، فلو اقتصرت أسلحته على تسليح الكتائب التى كانت موجودة قبل بداية الثورة لأمكن لنا التغلب عليها، فهى لا تكفي إلا للقضاء على انتفاضة وليس القضاء على جيش وطنى منظم لثوار يؤمنون بالحرية ولديهم عقيدة قتالية وهو مـا لا يتمتع به جنود كتـائبه ولا مـرتزقته الذين غُيبت عقولهم أو دُفعت لهم أموال ويقاتلون رغمًا عنهم ولا يعرفون ما يحدث حولهم.

هل معني ذلك أن هناك أسلحة جديدة وصلته وهل هي فعلاً من إسرائيل؟

نعم، فالأسلحة قد وصلته بعد بداية الثورة مباشرة وهى متطورة جدًا وفيـها أسلحـة تعمل بالبصمة وبالكمبيوتـر، وقد وصلته من إسـرائيل عن طريق البحـر مبـاشـرة بعد سـفـر ابنه سيف يوم ٢١ فبـرايـر إلى تل أبيب وهـذا ما تـأكدنـا منه ومن النـجمة السـداسيـة الموجودة على بعض القنابل والأسلحة التى غنمها الثوار.

هل هذا التعاون قديم؟

هذا ما يبدو

وهل يؤكد ذلك أصوله اليهودية - كما ينتشر الآن من معلومات؟

الأفعال تؤكد الأصل، وأفعاله كلنا نراها الآن كما كنا نراها قبل ذلك ونحتار فيها.

إذاً هو الآن أقوى وسيظل ما لم...؟

سيظل أقوى ما لم يتم تسليح الثوار بأسلحة حديثة وقد ناشدنا التحالف إمدادنا بالسلاح.

هل يتباطأون أم يرفضون؟

هم لهم حسابات فى التعامل مع مثل هذه الموضوعات وبكل تأكيد لديهم معلومات عما يمتلكه هذا الرجل وكيف يسير كتائبه فى كل الاتجاهات ولذلك نأمل أن يستجيبوا لطلبنا بالتسليح بعد أن ينتهى الانقسام حول تفسير القرار١٩٧٣ وما يتضمنه من تسليح الثوار؛ لأن هذا الخلاف هو الذى يعطل استجابة هذه الدول لتزويدنا بالسلاح.

وهل الوقت فى مصلحتكم إذا انتظرتم كثيراً؟

بالتأكيد لا، ولذلك بدأنا بطلب أسلحة بطرق غير رسمية، وهذا حق مكفول لنا ونتصل مع أشقائنا العرب ومنهم مصر لمساعدتنا رغم أننا ندرك ما تمر به من ظروف، ولكنها دولة قوية وأعتقد أنهم يتفهمون ظروف الثوار لدينا وما يحتاجون إليه.

وهل لذلك ساعدوكم مع الأمريكان فى تدريب الثوار كما أعلن على إحدى شاشات التلفزة العربية؟

ليس بعد.. ونحن نطالب بالتسليح من أي دولة وهذا حقنا، ومن حقنا أيضًا أن نستعين بأهلنا وأشقائنا وإخوتنا في مصر والدول العربية للحصول على السلاح وإرسال فرق لتدريب الثوار وقدمنا طلبات باحتياجاتنا إلى مصر وقطر وتركيا وفرنسا وسنحصل عليها من حر مالنا.

هل لاقيتم استجابة؟

هناك بوادر.

وهل تستطيعون حماية النفط الليبي بعد أن قام بتدمير حقلي السرير ومسلة؟

هذا الرجل المجنون الدموى لا يتورع عن قصف المساجد، فهل تظن أن ينتهي عن قصف النفط والذى يريد من خلال إحراق حقوله خنق الشعب الليبى، وإن كنا نحاول تأمين هذه الثروة ولكن أمن هذه المنشآت لا يستطيع مواجهة قوته التى يقصفها بالجراد والمدفعية.

وما الحل؟

بالنسبة لنا الأمر صعب وإن كنا نحاول بكل قوتنا حماية المناطق النفطية مثل هلال النفط التى يحاول هو أيضًا السيطرة عليها أو تدميرها حتى لا يصل نفط البريقة إلي طبرق لخنق المناطق المحررة

وفك أزمته من نقص الوقود ولنفس السبب يتمسك بالسيطرة على الزاوية ودمرها تدميرًا حتى وصل إلى الميناء.

ولذلك أعلن عن أن حكومته هى المسئولة عن النفط وأى تعاقد مع الثوار لا يعتد به؟

ليقل ما يشاء فنحن كما قلت لك، تعاقدنا لتسويق النفط الليبي عبر دولة قطر حتي لا يتوقف إنتاجه ويتعرض لمشاكل فنية وقد تحركت سفينة محملة بالنفط من ميناء الحريقة بطبرق فى اتجاهها إلى الصين وبيع مليون برميل.

كيف وصلت قواته إلي حقلي مسلة والسرير(٩٠ كم من الواحات)، وكنتم تسيطرون علي إجدابيا وهي الطريق الرئيسي إلى هذه الحقول.

ربما من الكفرة.

ولكن الكفرة مع الثوار؟

نعم هي معنا ولكن بها جيب قوى له وهو القاعدة العسكرية (مطار الكفرة) وقائدها موالٍ للقذافى.

وقبل أن أنهى اللقاء لقيامه إلى اجتماع لم ينس أن يحملنى رسالة عبر "الأهرام "رسالة إلى إخوتنا المصريين.

كما قال غوقة ـ خصوصًا فى المجلس العسكرى والأجهزة الأمنية لمساعدتنا وأضاف: نحن واثقون أن إخواننا فى مصر يعرفون أن القذافى يبيد شعبه ويستغل مصر كقاعدة لانطلاق عدد

كبير من عناصر لجانه الثورية لمطاردة الليبيين الأحرار من المعارضين لحكمه مثل الدكتور محمد خالد المعارض الليبى الذى كان فى طريق عودته إلى ليبيا من بريطانيا عبر مصر وقتل قبل أسبوع وهناك عناصر خطيرة من اللجان الثورية والأمن الداخلى منهم ناصر الحسونى وحافظ شوايل اللذان هربا إلى مصر يوم ١٦ مارس وأيضًا هدى بن عامر وأيديهم جميعًا ملوثة بدماء آلاف الليبيين، وكذلك أحمد قذاف الدم الذى ادعى انشقاقه عن القذافى على غير الحقيقة، ويمارس فى مصر تحركه دون قيد أو مراقبة للتخريب.

تباطؤ التحالف..
لتقسيم ليبيا أم حمايتها؟

هل كان يعنى معمر القذافى ماقاله فى خطابه الأول أن هدف لثوار هو تقسيم ليبيا وإقامة إمارات إسلامية أم أنه بهذه الكلمات كان يريد فقط إرسال إشارات إلى الغرب أو أمريكا أو إسرائيل.

أو من شئت أن تسمى من واضعى خريطة الشرق الأوسط الجديد أو الكبير وما تلاها من أحاديث حول الفوضى الخلاقة. إن التباطؤ والتراخى من قوات تحالف الناتو كما قال رئيس أركان الجيش الوطنى الليبى عبدالفتاح يونس فى مؤتمراته الصحفية خيب ظننا ملقيًا باللوم على التحالف معاتبًا "لهم" رغم أننا نعطيهم الإحداثيات والمعلومات بما يصل بالممعن فى المشهد الليبى إلى أن سيناريو التقسيم هو الأكثر حظًا خصوصًا أن حجج التحالف بعدم الرغبة فى قصف المدنيين مردود عليه ببشاعة المجازر التى أحدثتها قذائف كتائب العقيد خصوصًا فى مصراتة التى تعرضت تحت

سمع وبصر الجميع للتدمير وهذه المجازر التى يصعب الحديث عنها، فحسب آخر المعلومات التى حصلت عليها الأهرام أن عدد الشهداء من جراء القصف فيها فاق الآلاف فضلاً عن أكثر من أربعة آلاف مصاب، فى مصراتة وحدها عدد كبير منهم بإصابات خطيرة - حسب تصريح الدكتور سليمان محمد الفورتيه - ومازال القصف مستمرًا مع قطع الماء عن المدينة(١) بضرب محطة المياه الرئيسية جنوب مصراتة منذ أكثر من ٢٥ يومًا وقطع الكهرباء عن مايقرب من ربع مساحتها فضلاً عن النقص الحاد فى الأغذية والأدوية خصوصًا أدوية السكر والتخدير ومايلزم العمليات الجراحية والأغذية.

وقد تجلى هذا التباطؤ عند نهاية شهر مارس بامتناع التحالف عن قصف كتائب القذافى عند خروجها من سرت إلى مصراتة لمسافة ٢٢٠ كم رغم المعلومات والإحداثيات التى قدمت لقوات التحالف بما يعنى أن التقاعس مقصود وتؤكده - كما علمت - المعلومات التي قدمها الثوار للتحالف وحددت حركة قوات الكتائب فى شارع طرابلس وميدان الشهداء وأنهم - الثوار - قاموا بإخلاء جميع السكان من البنايات الواقعة فى الشارع والميدان وأيضًا لم يقم التحالف بقصف هذه الكتائب رغم إعلانه أن مصراتة تقع فى أولويات عملياته، مما علمنا به هو قيام التحالف بمراقبة وتوقيف ثلاث سفن تحمل الأسلحة كانت متوجهة إلي الثوار فى مصراتة بعد شحنها من ميناء بنغازى والتنبيه عليها بعدم شحن أسلحة مرة

(١) كان الحديث فى ٨ مارس ونشر فى جريدة الأهرام فى ١٣ مارس ٢٠١١.

اخرى إلى مصراتة وأن تركيا هى التى أبلغت هذه المعلومات للناتو وهو مايؤدى ـ حسب رأى المصدر ـ إلى فرضية الصفقة بالسماح للقذافي بالسيطرة على مصراتة ويدعم فكرة التقسيم باعتبارها نقطة الالتقاء أو الفصل بين شرق ليبيا وغربها وهى ثالث أكبر مدينة فى ليبيا بعد بنغازى.

وعلى جبهة الشرق أصبح الوضع فى مدينتى البريقة النفطية وأجدابيا أمرًا محيرًا للجميع على الأقل فى أجدابيا وبنغازى فحسب معلومات من مصدر رفض تعريفه أن تعليمات من التحالف أو نصائح طلبت منهم عدم تحرك قوات الجيش الوطنى الليبى (الثوار) غربًا من البريقة والتى ظلت فيها عدة أيام حتى استطاعت كتائب القذافى أن تصل ببعض آلياتها قادمة من سرت علي بعد ٣٠٠ كم ومواصلة قصفها للثوار بصورة عنيفة بالمدفعية الحديثة مماحصل عليه القذافى من إمدادات جديدة مما أبعد الثوار متراجعين إلى داخل مدينة أجدابيا لتسيطر عليها الكتائب خصوصًا من بوابتيها الغربية والجنوبية وكانت حجة الناتو هى وجوب تمشيط المدينة للتأكد من تنظيفها من جيوب هذه الكتائب والسؤال هو: لماذا لم تقم قوات التحالف بقصفها رغم طول المسافة ووجود الطيران فى جولات كشفية طوال اليوم... وكذلك النصائح أو التعليمات التى وجهتها قوات التحالف للثوار بامتناع الطيران العسكرى التابع لهم بالتحليق أو ضرب أى أهداف وهو ما حدث عندما قامت طائرات الثوار فى قاعدة جمال عبدالناصر بطبرق بقصف القوات التى قامت بالتفجير فى حقلى مسلة والسرير النفطيين.

كانت الطائرات التى تعرضت لرتل كتائب القذافى قد خرجت من قاعدة بنغازى الحربية والتى لولا قيامها بتدمير مقدمة هذا الرتل وتشتيت بقيته لكانت بنغازي قد تعرضت لمأساة كبيرة من التدمير والتخريب واغتصاب النساء وهو ما أجل تقدم بقية هذه القوات لساعات حتى خرجت طائرات التحالف لتنهى على بقيته وهذا التباطؤ الذى يغلف حركة التحالف مثير لريبة الثوار فكما صرح مصدر من المجلس العسكري ببنغازي أنه أيضًا كما يتباطأ في كل طلعاته سمح لرتل آخر من كتائب القذافي بالتحرك من سرت إلى "بشر" لمسافة ٢٥٠ كم دون أن يتعرض له وهو الأمر الذي لم يعد غريبًا علينا وتحت سمع وبصر قوات التحالف حتى يمكنه تعويض النقص فى قواته التى تعرضت للتدمير فى البريقة، من إمداداتها الموجودة فى "بشر" والذى يتم إرسالها لمسافة ٩٠ كم. وأيضًا ترك القوات تتحرك من البريقة وحتى بوابة جرابيا الغربية ٧٠ كم أخرى دون التعرض لها بأى صورة مما يثير او يؤكد الشك ـ حسب محسن ونيس القذافى ـ الذى يؤكد أن الناتو يعمل على بقاء الثوار فى أسوأ حالة، وبقاء الثوار بعيدين عن هلال النفط الزويتنة والبريقة ورأس لانوف، لتأكيد مخطط التقسيم ويدعم ذلك ماجاء على لسان أحد أعضاء الكونجرس قبل أيام بأن بقاء القذافى لأطول مدة فى الحكم وأن هذه الفترة قد تكون هى فترة الاتفاق على التقسيم. بأن يكون الشرق من إجدابيا حتى مساعد للثوار والغرب من سرت ومصراتة للقذافى واستثناء هلال النفط لـ الزوتينة والبريقة ورأس لانوف بامتداد العمق جنوبًا لضم حقول

البترول كمنطقة محايدة يتحكم بها الغرب، يقول مصدرنا! ربما تكون هناك صفقة لم تتضح ملامحها بعد وإن بدت روائحها تصل لأنوف المراقبين. ويؤكد ذلك مايطرح عن التفاوض حول وقف إطلاق النار وهو الطرح الذي ظهر فى الإعلام منتصف أيام الثورة ولم تطلبه حكومة القذافى وقتها صراحة ولم يطلبه المجلس الانتقالى والحديث عن الحل السلمى الذى طيرت به حكومة القذافى عبد العاطى العبيدى إلى أثينا وتركيا وتوجس الثوار منه باعتباره إضاعة للوقت مما يعطى للقذافي فرصة لاستقبال إمدادات جديدة ربما من الحدود الجنوبية خصوصًا أن قائد قاعدة الكفرة من الجنوب الشرقى موالٍ له ويمكن أن يحرس له الطريق.

ويرى مصدق بوكر أحد شباب الثوار وكمال حذيفة المنسق العام للمجلسين الانتقالى والعسكرى أن الحديث عن الحل السلمى ووقف القتال خطير جدًا؛ لأنه كان يمثل إضاعة الوقت. كما أن البعثات العالمية التي ترسل لتقصي الحقائق ,خاصة المرسلة من الأمم المتحدة تذهب إلى طرابلس التى يسيطر عليها القذافى وهو ما فكر البعض في أن يطالب المجلس الانتقالى فى بيانه بضرورة توجيه هذه البعثات إلى الشرق وبنغازى.

سألت القاضى كمال حذيفة منسق المجلسين العسكرى والانتقالى

*** ولماذا برأيك طالت عمليات الناتو ولديها بالتأكيدات ما كان يمكنها من القضاء على قدرات القذافى العسكرية سريعاً؟**

ـ "للناتو" حساباتها لحماية المدنيين وعدم الإصابات الخطأ ـ برغم مما حدث وإن كانت المدة قد طالت عما توقعنا فلأن كتائب القذافى تستخدم البشر ومنازلهم وحدائقهم ومخازن الحبوب وزرائب الحيوانات كدروع بشرية ولإخفاء آلياتها وإبعادها عن مرامى القصف. خصوصًا فى داخل المدن فى مصراتة وزوارة ومناطق أخرى من الجبل الغربى ولكن الثوار عملوا على إستراتيجية جر الكتائب للخروج براجماتهم ودباباتهم من مكامنها وإجبارهم على الظهور مما يجعلها منظورة لطائرات التحالف مثلما حدث فى إجدابيا ومؤخرًا فى مصراتة.

*** ولكن برغم مدكم للناتو بالمعلومات إلا أن هناك ما يبدو أنها تصل إلى كتائب القذافى مما يجعلها تحتاط بالاختباء؟**

ـ ربما يكون ذلك نتيجة الأجهزة الحديثة التى اتفق عليها سيف القذافى عند زيارته لإسرائيل فى مارس الماضى وحصولهم عليها وفيها تقنية حديثة ربما تمكنه من معرفة توقيت خروج طائرات التحالف وربما أيضًا باتصال مباشر مع إسرائيل من خلال جواسيس لها داخل التحالف.

ولأننا لاحظنا وعلمنا أنه بمجرد خروج طائرات التحالف تعطى أوامر للدبابات بالدخول فى أى مبنى حتى ولو تم تدمير جدرانه وحوائطه لتدخل إليه سريعًا وتختبئ فيه.

*** وهل ناقشتم ذلك مع التحالف؟**

ـ ناقشناه وكان ردهم أن "نضغط من الأرض طالما لا تريدون قواتًا برية.

*** هل معنى ذلك أنهم يريدون جركم لطلب التدخل البرى؟**

ـ ربما.. ولكنهم لم يعرضوا علينا صراحة.. وهم يقولون إنهم لن يتدخلوا بريًا وإن الغرض من هذه العمليات هو حماية المدنيين أما الإطاحة بالقذافى فهو شأن الليبيين.

*** ولكن الإطاحة به ربما تطول فهل لديكم ما يمنحكم قوة ودعمًا حتى يسقط؟**

ـ فعلاً من الواضح أنها ستطول بسبب ما لديه من أموال سائلة عبارة عن مليارات نقدية خزنها ـ كخطة مواجهة ـ فى حاويات بمخازن قواعده العسكرية مما ساعده على إطالة أمد الحرب لشراء الإعلاميين والأجهزة الحديثة والمرتزقة من العصابات الإجرامية وشركات مثل "بلاك ووتر" الذي أجرى مع إدارتها اتصالات ـ كما علمنا ـ وسفاحين ورجال عصابات مسلحة فى كولومبيا وطالبهم بمرتزقة من الطيارين وسفاحين وإن كانت معلوماتنا حتى الآن أن أغلب طلباته تم رفضها ولكننا مصرون على تحرير بلادنا من نيران هذا الطاغية ولن نستسلم له رغم كل ما بحوزته من أوراق.

أما عن ما سيدعمنا فهو مساعدة الدول الأجنبية وبأموالنا التى خزنها فى بنوكهم وجمدوها.

*** ولكن إذا لم تجدوا أسلحة ورأيتم أنكم لن تستطيعوا الصمود فهل يمكن أن تستعينوا بقوات برية مدربة تدريباً حديثاً؟**

ـ نحن مقيدون بالقرار ١٩٧٣ الذى ينص على حماية المدنيين وتشمل جميع الخيارات المانحة ومنها تسليم الثوار وأيضًا التدخل بالقوات البرية للحفاظ على الجبهة ما بين بوابة إجدابيًا الغربية وحتى رأس لانوف طوال فترات الفر والكر بين الثوار وكتائب القذافى كان عدد من الإعلاميين مصورين وصحفيين أجانب، وكنا بينهم أربعة أو خمسة من الإعلاميين العرب، بيننا كان المخرج بالتليفزيون الليبى صالح الجحاوى الذى حمل الكاميرا لينقل بها

وقائع المعارك دؤوبًا لا يهاب طلقات قد تصيبه أو قذائف تسقط على جمعٍ هو فيهم، أو شظايا تتطاير تجاهه، فى منطقة "بوسعيدة" قبيل الهراوة بحوالى ٥ كيلومترات وقد تملك الجميع حماس لتلك الانتصارات المتتالية والزحف السريع باتجاه "سرت" التى لم يبق امامنا للوصول إليها إلا ٧٠ كيلومترًا، فوجئنا بكمين من كتائب القذافى، صاحبنا قوات الثوار، كان صالح الجحاوى يعبئ شرائطه بمشاهدهم الحية خلال تبادل النيران بقوة فى الجهة الغربية من "بوسعيدة" لترغم كتائب القذافى على الخروج من المنازل. وقتها بدأت تنهمر الطلقات مختلفة الأعيرة علينا، مما وضح أن استدراج الثوار إلى الناحية الغربية كان كمينًا من الكتائب، فهربوا متراجعين، ومعنا صالح الحجاوى فى آخر سيارة.

وعلى بعد ١٥ كيلومترًا توقفنا للراحة، انتهز صالح فرصة وبدأ فى تصوير لقاءات مع بعضهم، فجأة انهمر علينا وابل من النيران لم يستطع أحد من الثوار تحديد مصدرها، فبدأوا يتعاملون معها بالرمى العشوائى غير المنظم على البحر تارة باتجاه الشمال، وأخرى باتجاه الغرب، والنيران تتزايد، مما أحدث هرجًا، وفر الجميع منسحبين فى فوضى كانت سمة للثوار.

ميز أحد المقاتلين الشباب طلقات هاون و ١٤,٥ م. ط، وصلنا إلى بن جواد وافترقنا. بعدها التقيته على مشارف البريقة عندما كان الثوار يحاولون استعادتها مرة أخرى، كان صالح الجحاوى يواصل رصد الأحداث بكاميرته. سألته: ألا زال التنظيم بين الثوار

مفتقدًا؟ فقال: بعض الشىء، وإن كانت مواقع القتال قد أُغلقت فى وجه من ليس منظمًا فى الجيش وفى وجه الأجانب من الإعلاميين، ذكَّرته بالانسحاب الفوضوى، فقال: عند عودتى وأثناء المونتاج شاهدت فى الشريط شابًا ممن كان يجلس بين الثوار خلفنا يطلق نيرانه من R.B.G ـ وهو السر الذى لم نكتشفه وقتها، لم نعرف من أين تأتى النيران ـ سألته: أليس من الثوار ويعرفونه؟ فقال: لا أدرى، وهنا تكمن مشكلة الثوار هو ما لاحظته من تجربتى فى العيش معهم أيامًا. فأى شخص يستطيع أن يندس بينهم سواء كان يحمل سلاحًا أم بقى فى انتظار سلاح غنيمة من أسرى كتائب القذافى أو من مخزن للأسلحة يسيطر عليه الثوار.

فى العالم كله تعرف مجموعات الثوار بعضها، بعكس ثورة ليبيا التى لا يوجد بينها تجانس، ولا هى مجموعات محددة يعرف عناصرها بعضهم بعضًا، ولم تكن لهم قيادة، فالكل يضرب كما يحلو له. فى بوسعيدة سألتهم: هل فتشوا عن جيوب للكتائب فيها قالوا "نعم" وهم لم يفعلوا، كانوا يسيرون فى طوابير عمودية تاركين الأجناب يمينًا ويسارًا وفيها التلال والمنازل التى يختبئ فيها الكتائب، والدليل الصاروخ الذى انطلق من أحد المنازل على طائرات الناتو، فردت بوابل من نيرانها على ظن أنهم من قوات القذافى لتخلِّف ١١ شهيدًا.

هنا، على مشارف البريقة بعد عودتى المرة الثانية وجدت التنظيم أفضل حالاً، فلم يسمح بالوصول إلى المواقع القتالية إلا لمن يحمل بطاقة عسكرية تابعة للجيش الوطنى الليبى. ولأول مرة يقود

الثوار ضباطٌ نظاميون دخل معهم رئيس الأركان عبد الفتاح يونس، ولكن بقيت عدة أمور بسيطة مثل غلق المنطقة تمامًا عليهم، ومنع الثوار المدنيين من الوصول إلى الخطوط الأولى. وأن يكونوا فى الخلف أما المقدمة فستكون لجنود الصاعقة. وبقى استقدام بعض المدربين على الآليات الكبيرة كالجراد والهاون والتى تنقص جزئيًا، فالقضية أصبحت هى الأسلحة الحديثة والثقيلة.

قوات الناتو مازالت على بطئها القديم، والخطأ بقتل الثوار. نعم وإن كان بمعدل أقل، وقد تحسنت طريقتهم بعض الشىء مما ساعد الثوار فى تحسين أوضاعهم فى إجدابيا ومصراتة.

سألت صالح الحجاوى: هل تعتقد نجاحًا؟ قال نعم، فالثوار لديهم عقيدة قتالية عكس جنود النظام من الكتائب أغلبهم مُجبرون على القتال! وبعضهم لا يعرف لماذا هذا القتال؟، تساعدهم الأسلحة المتطورة التى حصل عليها القذافى من إسرائيل، ونحاول الآن بالاتفاق مع بعض الدول الصديقة استجلاب أسلحة، وإذا ما حدث ستنتهى المعركة خلال أسابيع.

هل تعتقد ـ بعد أن طالب القذافى بوقف القتال ـ أنه سيخرج؟ قال صالح: ليست شخصية القذافى، فى بداية الثورة كان له أن يخرج بشرف، ولكنه عنيد وقاس، والآن ليس لديه مكان يذهب إليه، خصوصًا بعد أن أصبح مطلوبًا للجنائية الدولية مطاردًا بالإبادة وجرائم الحرب وقضايا الاغتصاب وفضائح كتائبه فى قتل الشباب حتى فى المساجد. ففى مسجد بوغولة فى البركة ببنغازى القريب

من كتيبة "الفضيل بوعمر" قيدوا الشباب فيه وأطلقوا الرصاص على جدران المسجد من الداخل. وقالوا لهم خلوا ربكم ينفعكم؟ وهو ما حدث فى مساجد الزاوية أيضًا، أحد أبناء زوارة هرب إلى الزنتان، يقسم بالله أن جنوده يغتصبون الصبايا أمام آبائهم، وهى منطقة أمازيغ تمتاز نساؤها بالحسن والجمال. وللأمازيغ، كما للعرب عزة وأنفة. دمرتها جنود القذافى باغتصاب الحرائر أمام آبائهن وإخوانهن. نيرون حرق روما ولم يغتصب نساءها، ولكن القذافى فعل! هولاكو دمر شعوبًا أخرى وأبادها، ولم يبد شعبه! هتلر أباد الروس واليهود والغجر ولم يفعل فى الألمان ما فعله القذافى فى الشعب الليبى؟!

وكما كانت بداية مشاركة المرأة الليبية فى ثورتها الطاهرة بالاعتصام يوم ١٧ فبراير أمام محكمة شمال بنغازى متمثلة فى المحاميات وعدد من السيدات وحتى سقوط كتيبة الفضيل بوعمر، ولم تقطع اعتصامها منذ أن بدأت مرة أخرى ، وتؤكد النساء فى "ساحة التحرير" أنهن باقيات مع أطفالهن حتى سقوط الطاغية.

إيمان العبيدى صارت مثلاً للمرأة القوية للنساء على الجبهة، فألهمت كثيرات منهن الرغبة فى المشاركة فى تأجيج هذه الثورة الشريفة ودعم صمود الثوار، وهو ما فعله عدد من النساء من مختلف الأطياف والمشارب، بإنشاء جمعية نسائية باسم جمعية "شد العزائم"، شاركتنا عضواتها يومًا فى جبهة القتال عند مشارف البريقة، حيث فوجئنا بسيارةٍ ميكروباص تحمل عددًا منهن توشحن بالثياب المزينة بعلم الاستقلال وشارات النصر، حاملات بنادق

حديثة وطلقات مضادة للطائرات، تهافت الزملاء من مصورى وصحفيى وكالات الأنباء ومحطات التليفزيون الموجودين معنا على تصويرهن، وأخذ لقاءات معهن أثناء عودتهن من خط القتال الأول، حيث كن يوزعن على المقاتلين الثوار ابتساماتهن ودعوات بالنصر، ووجبات ساخنة. قفزت إلى الميكروباص جالسًا بينهن مغلقًا الباب طالبًا من السائق الابتعاد قليلاً، أجابنى إلى ما طلبت، ربما ظننى من الثوار، حيث تشابهت ملابسى بعض الشىء، ابتعد كثيرًا مما أتاح لى الحديث دون مقاطعة أو هجوم إعلامى.

تذكرت أنى لم أسمع نحيبًا فى بيوت الشهداء، ولم أر عينًا تدمع من عيون الأمهات، سقط حسون شهيدًا، فأغرت أمه شقيقه الأكبر علىّ بمشاركة الثوار، وقالت له إن لم تجد سلاحًا فإنها ستبيع حليها لشراء بندقية، هالنى ذلك لكننى وجدته تأكيدًا على أن هذه الثورة ستنتصر، فحين يغيب الخوف عن قلوب الأمهات تعمر قلوب الشباب إيمانًا بالشهادة، ووجدت فى كل ذلك تفعيلاً لدور المرأة، فكان هذا أعظم مشاركة منها فى إشعال وحماية الثورة، وعلى مشارف البريقة وجدت النساء تتحركن بين الثوار مثل: مريم عبد الرحمن بشير المدرسة، وعائشة العبيدى الممثلة، وغالية البرناوى، وفاطمة رمضان، وحنان فركاش، وإلهام عبد السلام.

قالت مريم عبد الرحمن: قمنا كمجموعة من النساء الليبيات من مختلف الشرائح الاجتماعية بتكوين هذه الجمعية للمساهمة فى دعم صمود الشباب وشد عزيمتهم واستقبال ومساعدة العائلات النازحة هروبًا من مناطق القتال إلى بنغازى ومدن الشرق.

أضافت إلهام عبد السلام: الأهم دعم صمود المحامية إيمان العبيدى ومواصلة الصوت الذى أطلقته لفضح القذافى مبيح الأعراض والذى استأجر المرتزقة لقتل الشباب وهتك عرض الفتيات.

وقالت فاطمة رمضان: من أهدافنا فضح هذه الأعمال الخسيسة، فما حدث من اغتصاب لإيمان العبيدى حدث لفتيات أخريات كن معها، وحدث أيضًا فى إجدابيا والزاوية ومصراتة، وهو ما يعنى أنه لا يفرق فى هتك الأعراض بين بنات الشرق وبنات الغرب.

وأضافت نجاح عبد القادر: إيمان كسرت حاجز الخوف من الفضيحة والانكسار، وأعلنت ما حدث لها، وهناك عشرات الآلاف فى الجبل الغربى مورست ضدهن هذه الأفعال، ولكن إيمان العبيدى هى الوحيدة التى تجرأت ورفعت رؤوسنا جميعًا، فلا يشينها هى أو غيرها أن تتعرض لعقر الكلاب، وقد تزوجت إيمان، وأية فتاة أخرى حدث لها مثل ذلك ستتزوج ولن تبور ولن يمثل ذلك فضيحة لها.

وتواصلاً مع الحدث، واستمرارًا فى دعم الثورة والثوار كانت ساحة محكمة شمال بنغازى التى سماها الليبيون "ساحة التحرير" تيمنًا بقلب القاهرة، نظمت نساء ليبيات مسيرات للأطفال ووقفات اجتماعية للنساء، رفيقة على - ربة منزل - كانت تدعو شباب ٢٥ يناير إلى دعمهن بالتظاهر السلمى والمسيرات أمام جامعة الدول العربية ومكاتب الأمم المتحدة والسفارات الأجنبية فى القاهرة، ومطالبة الدول العربية بالاعتراف بالمجلس الوطنى الانتقالى

وتسليح الثوار ودعمهم، ومن مشاركات الأمهات فى بداية الثورة، كن يجمعن الحجارة ويقمن بتكسيرها وملء الزجاجات الفارغة بالبنزين ومد الثوار بها لمواجهة رصاصات الأمن الداخلى والكتائب الثورية.

أما سعاد السنوسى - ربة منزل - أو أبلة سعاد كما تناديها سيدات ساحة التحرير، فقد أشرفت على عملية جمع التبرعات وتجهيز وجبات يتم إرسالها ساخنة إلى الثوار على الجبهة فى إجدابيا والبريقة وإمدادهم بباقى المواد الغذائية والمشروبات والبطاطين والسجائر.

تقول سعاد السنوسى: عاد الشعب الليبى الآن أكثر ترابطًا وأكثر حنانًا وعطفًا بعد أن كادت القبلية التى استغلها القذافى وأجهزته القمعية أن تفتته.

وتضيف آمال عبد السلام الغريانى، تبرعت أعداد كثيرة من نساء العائلات الكبرى بأموال، وتبرعت سيدات أخريات بإعداد وطبخ الوجبات فى مطابخهن، وهناك مطابخ كبيرة كانت تعمل كمطاعم لإعداد وجبات المناسبات بالمشاركة فى تجهيز أكثر من ٣٠٠٠ وجبة يوميًا للمقاتلين على الجبهة، عدد من النساء ذهبن إلى الجبهة حاملات السلاح فى مسيرة دعم للثوار على مشارف البريقة وقضين معهم يومًا، كما زرن المستشفيات لمؤازرة المصابين من الثوار خصوصًا فى مستشفى إجدابيا، ودعم صمود الفريق الطبى بها، وتقديم ما يمكن من مساعدات ودماء من المتبرعين قبل أن يمضين نهارًا كاملاً على الجبهة الشرقية للبريقة.

سألت مريم عبد الرحمن بشير، ألا تخافين، خصوصًا وطلقات الهاون تزلزل الأرض تحت الأقدام؟ قالت: لو أعرف استخدام السلاح لما تقاعست عن حمله والمشاركة فى القتال، ولكننى أقدم ما أستطيعه، سألتها، عن رأى زوجها؟ فقالت زوجى شجعنى، بل وشاركنى بنقل الوقود والأسلحة بسيارته للثوار، وشجع أبنائى أيضًا، فابنتى الكبرى طبيبة، أخذت معها شقيقتها الصغرى للعمل فى المستشفيات، وهو نفس ما حدث مع "أبلة سعاد" التى وافقت قبل بداية الثورة على انضمام ابنيها خليل ومحمد جعفر إلى المظاهرات.

أما الفتيات الصغيرات فقد شاركن عددًا من الشباب فى تنظيف شوارع بنغازى وتخليصها من القمامة.

ثلاثة أيام وليلتان قضيناها

قضينا مع الثوار يومين فى هذه الصحراء.. نمضى أنا ومحمود إلى الجبهة الأمامية ثم نعود إلى بوابة إجدابيا حيث صارت الساحة المجانية لها وللطريق كساحات الموالد تعج بحركة البشر من الثوار المسلحين والمدنيين وشباب من كل أطياف المهن والمستوى الاجتماعى. كل يحاول فعل شىء.. أى شىء. لم أكن أهتم بطعام أو شراب كالحال فى المدن. هناك تبحث عن مطعم أو فندق تأكل فيه وهنا ليس عليك عند الجوع إلا أن تشير إلى أى فرد أو مجموعة سائلاً عن طعام حتى يتبارى الجميع فى تقديمه إليك.. صحيح أنه طعام متواضع لا يخرج عن خبز وجبن أو ما شابه ولكنه أكثر إشباعًا ولذة، صحيح أيضًا أن الشاى الذى تشربه لا تعرف مصدر مياهه ولكنك تراه يُعب من دلو أو فنطاس يعلوه فضلاً عن الكوب الذى تشرب فيه لم يغسل جيدًا ـ أو لم يغسل أصلاً منذ أن جاء به

صاحبه إلى هذا المكان ولكن للشاى فى جبهات القتال وسط البرودة نكهة لا تتذوقها فى أفخم الفنادق ولا تتلذذ بها حتى فى مطبخ بيتك.

مجموعة من الشباب كانوا يقفون حول سيارة أحدهم الذى ثبت عليها مدفعه بزوجين من أحذية الجنود.. حتى تمتص صدمات إطلاق عياراته لضعف "صاج السيارة الملاكى". كانوا يبتكرون فى كل تفاصيل الحرب والحياة. أنهكنى التعب وأرغمنى البرد الشديد على موافقة محمود على العودة إلى إجدابيا؛ لأنه كان سيذهب إلى "البيضان" لزيارة عائلته، فضلت أن أبيت ليلتى مع عبد القادر ابن عمه فى منزله بإجدابيا المقفرة. لم نستطع النوم من الجوع ، ليس فى منزله شىء يؤكل أو شاى يشرب. اصطحبنى فى الشوارع المظلمة إلى منزل أحد أقربائه طلب لنا عشاء، تجمعنا خمسة حول طبق مكرونة... ليتناول كل منا عدة ملاعق تمسك البطون عن الجوع شيئًا قليلاً. فى الصباح أعادنى محمود إلى بنغازى.. لم أستطع التواصل أو الوصول إلى أى ممن تعرفت عليهم فى زياراتى السابقة بسبب قطع الإرسال عن شبكة "المدار" وكانوا كلهم يحملون هواتف بشرائحها.

التقيت فى المجلس الانتقالى بـ ماجد ابن ونيس القذافى آخر رئيس وزراء فى ليبيا الذى عرفنى على شقيقه الأصغر محسن، كان إدريس عضو ائتلاف الشباب قد أوكل بى أحد الحراس لمرافقتى خوفًا من الاختطاف الذى يتعرض له الصحفيون فى بنغازى..

فكرت أن وجود حارس معى سيثير الشبهات حولى ففضلت أن أتحرك برفقة محسن ونيس لاسيما وقد جمع بيننا الود. سألته أن يوفر لى مكانًا فى أى فندق آمن بعد أن وجدت أغلبها كامل العدد فحجز لى بفندق تبستى وهناك عرفنى على رفيقه المناضل مصدق بوكر والشاب المثقف ونيس عبد الله محمد الذى كان قادمًا لتوه من واحة الكفرة بأقصى الجنوب لمؤازرة الثورة.

• القذافى: أنا جئت بالسلاح ومن يريد إزاحتى عليه بسلاح للطلاب

كان طبيعيًا فى ظل قبضة القذافى الحديدية واندساس عناصر لجانه الثورية وأمنه الداخلى بين طلاب الجامعات أن تتأخر انتفاضتهم لتسع سنوات تقريبًا عن حركة الطلبة فى مصر عام١٩٦٨ . وإن بدأت إرهاصاتها عام ١٩٧٥، نور الدين الماقنى عضو جمعية السجناء السياسيين[1] فى ليبيا ورئيس رابطة الأدباء والكتاب فى المنطقة الشرقية. ورئيس اتحاد طلاب ليبيا عام ١٩٧٥.

(١) تأسست هذه الجمعية يوم ٢٨ فبراير بعد ١١ يومًا من اشتعال الثورة وضمت عددًا كبيرًا من السجناء السياسيين على مدى ٤ عقود فى ليبيا، أهم أهدافها هو تنشيط دور المجتمع المدنى والتأكيد على مساهمته فى الدفاع عن ثورة ١٧ فبراير وأهدافها وهويتها.. والعمل على صياغة دستور للبلاد بعد أن ألغى القذافى الدستور والقوانين. وإقامة دولة مدنية تضمن مؤسساتها التداول السلمى للسلطة وهى أول جمعية تتأسس بعد ١٧ فبراير.وقوامها مجموعة من السجناء السياسيين بمختلف أطيافهم. ومنهم خالد الترجمان ونور الدين الماقنى وأحمد الزبير الذى قضى فى سجون القذافى ٣١ عامًا ونور الدين الشريف ومصدق بوكر ومحسن ونيس ومعهم عسكريون من أصحاب محاولات الانقلاب واغتيال القذافى، ويغلب عليهم جميعًا التوجه الليبرالى الديمقراطى. يمثلون التيارات اليسارية والدينية غير المتطرفة.

يحكى أن حركة الطلاب بدأت فى ليبيا عام ٧٣ بعد تواصلها مع حركة الطلاب فى مصر عام ١٩٧٢ ومثَّل المعتقلون من الطلاب الليبيين نواة أول قضية مدنية فى ليبيا، تعرضوا أثناء التحقيقات فيها وبعدها لأبشع وأقسى طرق التعذيب. سألته: كيف بدأت الحركة؟ فقال كنت أدرس فى كلية الهندسة بطرابلس عام ١٩٧٢ فى السنة الأولى. ولم يكن فى ليبيا اتحاد طلاب بالمعنى المعروف فى العالم أو كما كان فى عهد الملك. فقط كان يوجد ثلاثة اتحادات غير مكتملة البناء - حسب رغبة النظام - إحداها لطلاب الثانوية والثانى للجامعة والثالث من المفترض أنه يضم الطلاب الليبيين فى الخارج.

بدأنا محاولة إعادة تكوينه، وبعد معركة مع النظام استخدم فيها التعسف والفصل والاعتقالات لعدد من الطلاب نجحنا أواخر عام ١٩٧٥ فى توحيد الاتحادات الطلابية الثلاثة فى اتحاد واحد، وأصدرت الوحدات الطلابية نشرات وصحف جامعية مثل "الصيرورة" و "أفكارنا" و"١٤ يناير" و"المحطة".. كانت توزع داخل الجامعة فقط. ورغم ذلك سببت قلقًا بالغًا للقذافى ونظامه بسبب ما كنا نكتب فيها من انتقاد لهيمنة المخابرات والتعسف والقمع. وكنت أداوم على مثل هذه الكتابات فدعتنى أجهزة الدولة للقاء القذافى، وفوجئت به يقول "أنا أتيت بالسلاح ومن يريد إزاحتى فليزيحنى بالسلاح. وطلب منى الاعتذار، عما كتبت، فرفضت وزادنى ذلك إصرارًا على الكتابة بعدها بصورة أعنف وأشد. وتجاوب معى طلاب اتحاد الخارج مما زاد من حماسنا، فقام

باعتقال عدد من العناصر النشطة من أعضاء الاتحاد مثل عمر دبوب ورجب حنيد وغيرهما، فاعتصمنا فى جامعتى بنغازى وطرابلس وسيّرنا المظاهرات فصعَّد المواجهة معنا، وألقت أجهزته القبض علىّ مع ٧٦ طالبًا ومنهم خالد الترجمان وماهر بو شديدة وسنوسى حبيب ورضا بن موسى وتم إعدام عدد منهم عمر دبوب ومحمد بن سعود فى ميدان الكنيسة فى بنغازى يوم ١٧ أبريل عام ١٩٧٦.

أما نحن فاستمر اعتقالنا فى سجون كتيبة "الفضيل بو عمر" لمدة شهر تعرضنا فيه لأشد أنواع التعذيب. ثم نقلونا إلى سجون أخرى لنقبع فى غياهبها ٦ سنوات حرمنا فيها حتى من الزيارات وهى أبسط حقوق السجناء السياسيين.

وفى هذه السجون "القويفيا" و"الحصان الأسود" و "بو سليم" قضى أيضًا خالد الترجمان أحد زعماء الطلاب نفس فترات السجن. وكان خالد عام ١٩٧٦ رئيسًا لاتحاد طلاب كلية الحقوق بجامعة بنغازى وأحد المشاركين فى النشاطات السياسية والمسببين لهذا الزخم الطلابى برغم بساطة وبدائية وصعوبة سبل الاتصالات ولكن رغبة هؤلاء الطلاب وغيرهم من المفكرين والرافضين لحكم القذافى والراغبين فى إقامة مجتمع مدنى، وهذه الحركة الطلابية كانت الأقوى. وظلت خارج سيطرة السلطة وقيودها فى نفس الوقت الذى بدأ فيه القذافى ينفرد بالسلطة بشكل مطلق تقريبًا بعد القضاء على أغلب معارضيه داخل مجلس قيادة الثورة الذين كانوا

يدعون إلى دستور وحياة نيابية مثل عمر المحيشى وعبد المنعم الهونى وبشير هوادى وعوض حمزة.

وبدا القطاع الطلابى كأنشط قطاع فى ليبيا بعد أن ضرب القذافى الحركة الوطنية، وشتت أو اعتقل أو قتل زعماءها من المثقفين والحزبيين بعد عام ١٩٧٣ فيما أسماه بالثورة الشعبية التى اعلنها فى خطاب زوارة، ليقضى على كافة القوى والتنظيمات السياسية والحزبية والمعارضين، وأهم بنودها تطهير البلاد ممن يحمل أفكارًا مختلفة عن أفكاره، وأصبح منذ هذه اللحظة الفاصلة يحكم ليبيا بمزاجه الشخصى لتمضى البلاد بلا قانون أو دستور حتى اليوم، وبدون جيش بعد أن حله فور انتهاء حربه مع تشاد واستبدله بكتائب أمنية وضع على رأسها أبناءه ورجاله المخلصين له.

و ـ يضيف خالد الترجمان ـ كطلاب كنا القوة الوطنية الوحيدة التى لم تضرب بعد. وتمثل قطاعًا حيويًا ونشيطًا يهتم بمسألة الهم العام، ورأينا أن أفضل سبل التعامل مع السلطة يكون من خلال إطار منظم كاتحاد طلاب. فقمنا بإصدار صحف وتسيير مظاهرات واعتصامات للمطالبة بعودة الدستور وإقامة دولة مدنية دستورية، كانت هذه شعاراتنا الأساسية تعامل القذافى معنا بعنف الرصاص وقمع القوة وتحديدًا فى مظاهرة يناير ١٩٧٦ التى خرجنا فيها احتجاجًا على دخول مسلحين من الأمن الداخلى (السياسى) لدعم تجمع لهم يدعى "العصب الأخضر" كانت نواة للطلائع الثورية التى تحولت فيما بعد إلى اللجان الثورية واستخدمها وقتها لمواجهة

الطلاب وقمع اتحادهم الذى تم الإعلان عنه بعد انتخابات جرت على غير هواه أو موافقته. وقامت عناصر الأمن الداخلى والعصب الأخضر بضرب عدد من الطلاب بالسلاح الأبيض والجنازير والسلاسل الحديدية. فأصيب منهم عدد كبير كانت أبلغها إصابة جلال بو زنوقا من كلية الآداب. توفى على أثرها فخرجنا فى مظاهرة عفوية فى نفس اليوم (٢ يناير ١٩٧٦) واستمرت المظاهرات لعدة أيام. وانضم إلينا تقريبًا كل الطلاب خصوصًا وقد تذكرنا من ضاع فى مظاهرات فبراير ١٩٧٥ التى أشعلناها اعتراضًا على مسألة "التدريب العسكرى" والذى كان يرغب القذافى به عسكرة الشعب الليبى لاسيما الطلاب، ووضع لهم برنامجًا للتدريب العسكرى لا يتناسب مع الدروس والمحاضرات. بأن يتم إلحاقهم بمعسكرات التدريب العسكرى لمدة ٤ أشهر من كل عام وأسبوع من كل شهر فى الأشهر الثمانية الباقية.

وقتها رأينا أن التدريب يجب أن يكون وفقًا لنظام مختلف كما يحدث فى كل مكان فى العالم، فنحن لا نرفض خدمة العلم، ولكن على أن يكون بعد التخرج، واجتمعنا أنا ونور الماقنى ومصطفى نصر والمرحوم مصطفى النويرى. وذهبنا للاجتماع مع مصطفى الخروبى بصفته رئيس الأركان وعضو مجلس قيادة الثورة وزميله عوض حمزة فى كتيبة الحرس الجمهورى "الفضيل بو عمر" الآن، ورغم أنهما أبديا اقتناعهما باقتراحنا إلا أنهما فاجأونا بأن الأمر صدرُ من القائد الأعلى معمر القّذافى، وليس من السهل التراجع عنه، حاولنا بشتى الطرق الاتصال به عن طريق البعض ومنهم اللواء

سليمان محمود سليمان قائد الحرس الجمهورى وقتها (قائد منطقة طبرق العسكرية الآن) ولكن دون جدوى.

فسيرنا مظاهرة سلمية تحمل شعارات أبرزها "الرأى قبل شجاعة الشجعان" وطرحنا رأينا فى منشورات وكتيبات ونشرات طبعناها ووزعناها فتم اعتقالنا لأكثر من شهرين وحوكمنا أمام القاضى العسكرى وقتها الرائد عبد الفتاح يونس (اللواء الآن ورئيس أركان الجيش الوطنى للثوار) الذى حكم علينا بالبراءة رغم علمه برغبة القذافى فى الحكم علينا بالإعدام لأنه رأى فيما فعلناه تمردًا عسكريًا.

وكان ينظر إلينا كجنود متمردين. ولكن ضغوط الهونى وعوض حمزة والمحيشى وتأكيدهم له بأن ذلك سيثير حنق الشارع فى ليبيا وغضب الناس جعله يتراجع ويقبل بأن تصدر الأحكام بالبراءة، وانطلقنا (٢٠٠ طالب) بمظاهرتنا من جامعة بنغازى (قاريونس الآن) إلى شارع جمال عبد الناصر ثم إلى ضريح عمر المختار باعتبار ما يمثله من قيم الصمود وروح الجهاد ثم اتجهنا إلى محكمة بنغازى ورفعنا الشعارات المطالبة بالحرية والدستور والديمقراطية فتصدى لنا الحرس الجمهورى بقنابل مسيلة للدموع أولاً ثم تبعها بإطلاق الرصاص الحى. بعد أن كانت المظاهرة قد تضخمت بالآلاف من شعب بنغازى وهى طبيعة هذه المدينة حضن الثوار ومنطلقهم، وفى هذه المظاهرة قتل وجرح وأعدم بعدها ما لا يقل عن ٥٠ طالبًا وبدأ القذافى فى اعتقال عدد كبير منا لنقضى

أزهى سنوات العمر فى سجونه الوحشية. ومنها سجن بو سليم الذى استشهد فيه فيما بعد ١٢٠٠ مناضل.

شهداء سجن بو سليم

لفت انتباهى خلال سنوات طويلة ضعف ثقافة بل وسطحية الليبيين الذين كنت التقيتهم فى مؤتمرات[١] علمية أو فنية أو صحافية أو غيرها فى مصر وبلاد عدة ولكنى لم أستسلم لفكرة أن الشعب الليبى على مثل هذه السطحية حتى ولو كان رئيسهم هو ذلك "العقيد" الذى عُرف شعبيًا فى مصر بـ "الواد المجنون بتاع ليبيا" وهى الجملة التى أطلقها عليه السادات فى إحدى خطبه. ولم يكن مقدرًا لها الانتشار الذيوع لو لم تكن حقيقة، ولا شك أن هناك فى ليبيا الكثير من المثقفين والمفكرين الجادين الحقيقيين ولكنهم لا بد وأن يصطدموا بنظام مثل هذا فلا يفسح لهم مجالاً للتواجد فتم تغييبهم عمداً.

وعند سفرى إلى ليبيا ولقاءاتى مع عدد من المثقفين والكتاب والصحافيين، سألت عن ذلك مصدق بوكر ففسر لى هذا اللغز بأن العقيد أغلق الأبواب على الجميع خصوصًا المثقفين والكتاب

---

(١) وإن كنت أستثنى من هؤلاء قلة قليلة عرفتها رفيعة الثقافة، شديدة التدين والاتزان ومنهم الدكتورعمر بلقاسم.

والعسكريين الأحرار، سواء داخل بيوتهم فى إطار الحدود الليبية ومنع الجميع من السفر إلا بتأشيرة خروج أو فى السجون، وقام زبانيته بتصفية الكثير مثلما تم فى سجن بو سليم والذى يضم مبنيين كبيرين صُمما كسجنين. كل منهما على مساحة تعادل هكتار تقريبًا[1] كل سجن به ٨ عنابر وهما مفصولان عن بعضهما وداخل سور واحد، افتتح هذا السجن عام ١٩٨٤. وشهد إيواء عدد كبير من المعتقلين والمحكومين سياسيًا خصوصًا بعد تنامى المعارضة فى ليبيا والقبض على عدد كبير من الشباب واتهامهم بالزندقة[2].

وفى عام ١٩٩٠ تم تصنيف المعتقلين فيه إلى ثلاث فئات (أ ـ ب ـ ج) وأعلن القذافى أنه لا يوجد سجين أو معتقل سياسى واحد فى ليبيا فى حين أن سجونه كان بها عشرات الآلاف. فى "بوسليم" وحده أكثر من أربعة آلاف، مورست عليهم أبشع أنواع التعذيب، بعضهم دون محاكمة. فكر سجناء الغرفة رقم ٧ فى القسم الأول فى الهرب. وانضم إليهم عدد آخر بعد أن اتفقوا على ذلك أثناء تسلمهم طعام العشاء.

جاء قرار الهرب خوفًا من استمرار سجنهم وتعذيبهم أو إعدامهم بعد منع الزيارة عنهم بل وتجريدهم من كل متعلقاتهم بما فيها الملابس، لم يتركوا لكل واحد منهم سوى بدلة السجن.

---

(١) الهكتار فى فى مصر يساوى ٢,٥ فدان (١٠ آلاف متر).

(٢) القذافى نفسه لم يصل على النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فى أى ذكر له وكان يذكر الاسم مجردًا فى حين كان يقول "عيسى عليه السلام" كما أنه أراد إلغاء لفظ "قل" من القرآن بحجة أنه كان أمرًا للنبى وحده.

وتعرضوا للضرب المبرح عند استلامهم لوجبات الطعام. مع سوء نوعيته وقلته وعدم إخراج القمامة من العنابر وسد مواسير الصرف الصحى مما أحال الزنازين إلى برك للصرف، فساءت حالة السجناء الصحية، حاولوا مقابلة مأمور السجن ومطالبته بتحسين الأوضاع فلم يستجب لهم أحد. يوم الجمعة ٢٩ يونيو ١٩٩٦ بعد صلاة العصر عند دخول الحراس إلى الزنازين لتوزيع وجبات العشاء. وهو ما حاولوه عندما فتح الحارس عمر فتح الله الباب لإدخال الطعام. جذبوه ودفعوه أرضًا ليسقط مغشيًا عليه، فاندفعوا مسرعين باتجاه الباب الرئيسى بعد كسر أقفال أبواب الأقسام الأخرى ومطاردة بعض أفراد الحراسة. ومنهم خليفة المقطوف. فقام مأمور السجن باستدعاء أفراد الشرطة العسكرية للسيطرة على الوضع داخل السجن. واستطاعوا ذلك بعد قتل ٦ سجناء وإصابة ١١ آخرين.. بعدها توافد عدد من زبانية القذافى وضباطه الكبار أمثال خيرى خالد وعبد الله السنوسى وخليفة حنيش وموسى كوسا. وطلب السنوسى (قائد كتيبة الفضيل بو عمر وقت قيام ثورة ١٧ فبراير) التفاوض مع المساجين المعتصمين داخل السجن بعد أن هددهم بإمكانية قصف السجن وتدميره على رؤوسهم مع وعده لهم إن استجابوا أن ينقل طلباتهم إلى المسئولين، بشرط دخول حجراتهم وإغلاق أبوابها بعد أن يخرجوا مرضاهم ومصابيهم ممن يحتاجون إلى علاج فى المستشفى، فوافقوا وأخرجوا ١٢٠ مصابًا تم إطلاق رصاص المجندين عليهم ليقتلوهم، ومن رفض إطلاق الرصاص عليهم من الجنود قُتل معهم. وفى

المساء تم إطلاق رصاصات بنادق الكلاشينكوف والقنابل اليدوية عليهم واستمر القتل فيهم لثلاثة أيام مع ترك الجثث على الأرض لساعات طويلة تعفنت بعضها من شدة الحرارة فنقلوها عبر حاويات كبيرة على شاحنات تابعة لشركتى نقل اللحوم والصيد البحرى إلى خارج السجن. وممن اشترك فى هذه الإبادة، عبد القادر التاورغى والكرن، وإبراهيم التبرورى وميلاد الزوى وصالح سلطان وخليفة المقطوف وعلى الغناى وعبد الله الأمين. ومسعود الشاى ومحمد الجربوع ومنصور التومى ومنصور ضو الذى قام بالتبول على أجساد الشهداء وغيرهم ممن ورطهم القذافى بتلويث أياديهم بدماء الشهداء حتى يبقى على كرسى الحكم مطرزًا بجماجم الشباب، وقد كانت فضيحة "سجن أبو سليم" هى المسمار الأهم فى نعش القذافى وعرضه، وعندما تصدى المحامى الشاب فتحى تربل لإقامة دعاوى أمام القضاء الليبى ضد الدولة لتعويض أهالى هؤلاء الشهداء بعد أن سمح النظام بذلك فى خطة لإظهار "سيف الإسلام" نجل القذافى كمصلح توطئة لرفعه إلى سدة الحكم خلفًا لأبيه، فتم حصر أسماء ١٢٣٤ شهيدًا يستحق ذووهم التعويض فقضت المحاكم بـ ٨٠ ألف جنيه ليبى لكل شهيد رفضت بعض العائلات الرقم فتم رفعه فى الاستئناف إلى ١٢٠ ألفًا وتزايد إلى ٢٠٠ ألف لرغبة الدولة فى إغلاق هذا الملف حتى لا يكون مثلاً يحتذى فى قضايا ومذابح أخرى. ولإسكات الناس حتى ينصرفوا عن المظاهرات التى شارك فيها فتحى تربل وزميلته سلوى بو قعقيس وآخرون من المحامين والقضاة وبعض الشباب من النشطاء

الجدد، وأهالى الشهداء. وعندما ازداد غضب الدولة تم القبض على فتحى وتوقيفه ليتظاهر زملاؤه وموكلوه من أهالى الشهداء للإفراج عنه الذى تم بعد ساعات طويلة ولكن وجود أحد الشباب المسيس والناقم شكل فتيلاً لإشعال الثورة وهو عبد السلام الصعيطى.

عبدالسلام الصعيطى..

مفجر ثورة ١٧ فبراير: المتهم بزعامة تنظيم الزنادقة

لم يكن المتظاهرون فى بنغازى من عائلات شهداء سجن (بو سليم).. ومعهم محاموهم فتحى تربل والناشطة سلوى بوقعيقيس والقاضي كمال حذيفة.. ينادون يوم ١٥ فبراير.. بأكثر من إصلاح النظام عندما انضم إليهم عبدالسلام الصعيطى زعيم تنظيم الزنادقة.. الذى طاردته عام ١٩٩٧ فصيلة الاقتحام.. أقوى وأعنف فصائل كتيبة الفضيل بثلاث سيارات مصفحة B.M.W ومروحية عسكرية على رأسها أشرس ضباط الكتيبة عبد الجليل الهيبلو القذافى وعبد السلام الزاقمة وإسماعيل الكرامى لسبع ساعات زنقة زنقة.. بيت بيت.. دار دار.. حتى قتلوا زميله الذى كان يحمى ظهره وحاصروه فى منزله بشارع الينبوع، وقبضوا عليه وصدر حكم الإعدام الذى استبدل بالتعذيب فى السجن عشر سنوات.

هذا الشاب البالغ من العمر ثلاثين عامًا.. لم يستقر فى مهنة واحدة بسبب التضييق عليه لدفعه إلى توقيع مصالحة مع الدولة وقبول التعويض.. فرفض.

عندما انضم إلى المتظاهرين استطاع تحويل مجرى الحدث فى ليبيا بعد أن رفع سقف المطالب من إصلاح.. النظام.. كما كانوا يهتفون إلى إسقاطه دون خوف من سيارات الشرطة التى كانت تحصرهم إلى جدران محكمة شمال بنغازى، بل وتجرأ فى القفز علي إحداها ورفع يد الضابط أحمد الجويلي بيده مرددًا.. الشعب والشرطة إخوة.. لينفعل الضابط ويخلع بزته العسكرية مرددًا مع الصعيطى هتافه.. الشعب يريد إسقاط النظام.. متخليًا عن النظام وقوات الشرطة التى واجهت المتظاهرين بالرصاص الحى أمام كوبرى "جوليانا" لتسقط ٢٠ شهيدًا تشعل جنازاتهم قلوب الجماهير لتنطلق شرارة ثورة ١٧ فبراير.. التى حدد يومها شباب" الفيس بوك" كاحتجاج مواكب لسقوط ١٧ شهيدًا برصاص الشرطة أمام سفارة إيطاليا عام ٢٠٠٦ من بين المتظاهرين احتجاجًا على إساءة أحد أعضاء البرلمان الإيطالى للرسول (صلى الله عليه وسلم). البحث عن الصعيطى فى بنغازى كان.. كالبحث عن إبرة فى كومة قش، ولكن الوصول إليه من خلال مصدق بوكر ومحسن ونيس القذافى كان سهلاً.

لم يوح مظهره ولا مفردات ثقافته العمالية عن فكر راديكالى.. فسألته ما تنظيم الزنادقة؟.. فقال: هو الاسم الذى أطلقه علىَّ

مجموعة جماعة الأمن الداخلى (مباحث أمن الدولة).. ليحاكمونى على زعامة تنظيم متطرف، رغم أننى لم أحمل أى أفكار سياسية أو عقائدية أو أنتمى إلى جماعة أو حزب إلا إيمانى بظلم معمر القذافى وكذبه ورفضي سياساته التى دمرت ليبيا تحت دعوى كاذبة.. وهى أننا شعب يحكم نفسه بنفسه.

• سألته: هل تعرضت للتعذيب إبان السجن؟

فقال بخفة دم ورثها عن أمه الإسكندرانية: لو أنك مسجون سياسي هايشيلوك للمنتزه ولاً للسينما؟.. طبعًا ستتذوق ما لم تسمع عنه من طرق التعذيب، والتهمة. مخرب.. ومفسد.. وزنديق!! ولولا تعاطف الرائد عبدالسلام الزاقمة ـ من أولاد سليمان ـ معى لتم بالفعل إعدامى كما حكم على.

• وأى عمل مارست بعد الخروج من السجن؟

عملت فى شركة الأسمنت وعملت سائقًا.. وفي محل بقالة، ولكنهم كانوا يضيقون على حتى أضطر للرضوخ وتوقيع مصالحة فى مكتب سيف القذافى، وأتقاضى تعويضًا رأيت أنه يهيننى ويهين أفكارى ولا يغنينى، وهو نفس ما تعرض له محسن ونيس القذافى ومصدق بوكر وغيرهما من الشباب الأحرار الوطنيين ورفضوا مثلى، رغم أن ظروفى لا يعلم بها إلا الله.. خصوصًا بعد أن ساعدوا أحد الأشخاص من عملائهم فى الاستيلاء على قطعة أرض تركها أبى الذى توفى هو ووالدتى أثناء سجنى حزنًا وكمدًا.

• كيف انضممت للثورة؟

علمت من بعض الشباب النية علي التظاهر للإفراج عن فتحي تربل.. محامي أسر شهداء بو سليم.. فأخبرت رفاقي واتفقنا علي الدخول وسط العائلات والمشاركة معهم، وكانوا لا يتعدون ٢٥٠ فردًا.. وهتفت مع زملائي ـ كنا ١٥ شابًا ـ ثورى ثورى يا بنغازى، ولم يكن لدينا يقين أن الناس ستتفعل معنا، ولكنهم انفعلوا.. فبدأنا توجيه المظاهرة للسير إلى مستشفى ٧ أكتوبر. كانت الناس تنضم إلينا فى المسيرة وتنزل إلينا من البيوت.. واتجهنا إلي مكان ضريح عمر المختار.. الذى أزاله القذافى.. ثم إلى المحكمة واستمرت المظاهرة حتى الثالثة فجرًا.

• ألم يخف الناس؟

كان عنصر المفاجأة بالخروج قبل يوم ١٧ فبراير المتفق عليه فى "الفيس بوك" هو سلاحنا، وإن كانوا قد أعدوا لنا المرتزقة العبيد ذوى القبعات الصفراء الذين أخفاهم مدير مستشفى الهوارى محمد جبريل فيها، فواجهونا بالرصاص ظهر اليوم التالى وصدورنا عارية.

• وماذا كانت هتافات هذا اليوم ١٦ فبراير؟

إصلاح النظام.. وزيادة التعويضات، ووقفت بين فتحى تربل وكمال حذيفة وهما يهتفان بذلك ملثمين لإخفاء وجهيهما، وأنا كاشف وجهى فأحرجهما أحد المواطنين بقوله.. اكشفوا وجوهكم مثل صاحبكما.. وهو يشير إلى ويضيف.. أنتم مش عصابة.. فقلت

لهم: يجب أن يكون الهتاف باسقاط النظام فزغدونى فى جنبى وهما يقولان لى.. اسكت إحنا سقفنا محدود بالإصلاح.. وخلى بالك الجيش والشرطة موجودون، وأشارا إلى السيارات العسكرية وعليها ضباط وجنود.. فأخرجت (اسبراى الألوان).. وكتبت علي جدار المحكمة الصعيطى يريد إسقاط العقيد.. وقفزت فوق سيارة الشرطة ورميت نفسي عليهم.. فقال لى واحد منهم وهو الملازم أحمد الجويلى: إنت ولد بلادى لن نؤذيك!.. فرفعت يده بيدى وقلت: الشعب والشرطة.. إخوة.. ونزل يهتف معى (الشعب يريد إسقاط العقيد).. وقال لجنوده: إذا لم تنزلوا معنا فسنرميكم بالحجارة مع الناس، وبدأت المواجهات عند كوبرى "جوليانا" ليقتلوا ٢٠ شابًا، والذى أعطى الأمر كتابيًا بقتلهم هو العميد على الهويدى الهارب الآن فى مصر.

● لماذا لم تهتف مثلهم باصلاح النظام؟

كل واحد يهتف بما يريد.. وأنا هتفت بإسقاط النظام ورحيل العقيد.

● لماذا لم تظهر فى أى مؤتمر من مؤتمرات المجلس أو ائتلاف شباب الثورة؟

كل هذا لا يعنينى.. لأننى قمت بما أعتقد بأنه الصواب، وهذه ثورة ربى... ليست ملكى ولا ملك أحد غيرى.. هى ملك لكل الشعب الليبى وإن كنت أنا سببًا فيها.

محسن ونيس القذافى:
أغلبية "القذاذفة" ضد "معمر"

معمر حاكم والدى آخر رئيس وزراء فى العهد الملكى..
وسجننى وعمرى ١٣ عاما

ألف محاولة لاغتيال القذافى شارك فى بعضها ١٥ ضابطًا من قبيلته.. و١٧٩ محاولة انقلاب

لم تخرج ليبيا عن إرادة القذافى طوال اثنين وأربعين عامًا رغم تعرضه لأكثر من ألف محاولة اغتيال وأكثر من ١٧٩ محاولة لقلب نظام حكمه حسب ملفات الشئون الإدارية للأمن الداخلى، لكنه استطاع السيطرة ـ بالحديد والنار والمال ـ على البلاد، والتحكم فى أرزاق ورقاب العباد، وإعماله التقتيل والإفناء والسجن فيهم. لم

يرحم منهم أحدًا ومنهم العميد ـ فى العهد الملكى ـ عبد العزيز عمر شنيب الذى حاكمه عام ١٩٧٠ بتهمة فساد حاشية الملك، والرجل لم يكن واحدًا منها، وسجنه لست سنوات، ثم أخرجه ليرسله سفيرًا فى الأردن للاستفادة من علاقته منذ زمالته للملك حسين فى دراستهما العسكرية فى "هيرست" بانجلترا ويطلب منه بعدها اغتياله بتفجير طائرته. ولم يرحم أيضًا ونيس القذافى زوج شقيقة عبد العزيز وآخر وزراء العهد الملكى وأحد أبرز الوجوه الليبية وقتها، والذى تقلد مناصب عدة، سفيرًا ووزيرًا للخارجية للمعارف، وهو من أبناء عمومته، وبعد الإفراج عنه ضيق عليه سبل الرزق ليعيش حياة متواضعة ممنوعًا من السفر إلى الخارج أو رؤية ابنه الطفل محسن الذى لم يبلغ عامه الثالث عشر عند القبض عليه عام ١٩٨١ ومحاكمته بتهمة محاولة اغتيال القذافى وقلب نظام الحكم فى ليبيا، يحكم عليه بالسجن لسبع سنوات منعت عنه الزيارة تمامًا حتى مات والده دون أن يعلم.

ومحسن ونيس أحد نشطاء ثورة ١٧ فبراير فى ليبيا. سألته: هل موقفك من القذافى الآن بسبب ما فعله فيك وفى والدك؟ فرد نافيًا، وأكد أن موقفه مثل أى ليبى ثار لتحرير بلاده من قبضة طاغية. وأضاف: إذا كان موقفى رد فعل على ما فعله فينا فهو يتفق مع مواقف الليبيين أجمع، فكلنا هذا المظلوم ليس منا من لم يُسجن له أحد أو يقتل فى سجون القذافى أو على أيدى زبانيته من مطاردى الشرفاء سواء داخل ليبيا أو خارجها.

لِمَ سُجنت؟

بتهمة إقامة تنظيم مسلح ومحاولة اغتيال معمر القذافى، كان عمرى وقتها ١٣ عامًا، وكنت ضمن مجموعة كبيرة من الشباب منهم مصدق بوكر والملازم فتحى الشاعرى (ابن عم الفنان حميد الشاعرى). وكان هدفنا توضيح وإظهار استبداد معمر بالبلاد وتحكمه المطلق فى أحوال الليبيين من خلال لجانه الثورية وتغيير هذا الوضع المزرى.

وهل اشتركت فعليًا فى محاولة الاغتيال؟

كنت أقوم بتوزيع المنشورات وشاركت فى تنفيذ محاولة الاغتيال عندما حضر القذافى إلى بنغازى لافتتاح "سوق الرويسات". وكان فتحى الشاعرى هو المكلف بقتله بحكم كونه ضابطًا فى الجيش ومعه مسدس، وكان هو الوحيد المسلح بيننا، فكمن له عند الباب الرئيسى ولكن القذافى دخل من باب آخر وكأن الجن قد أخبروه.

وهل قبض عليكم يومها؟

لا .. كان دخول القذافى من "باب السيارات" أمرًا غريبًا ـ وكأنه "جنيًا" ـ لأن تنظيمنا لم يكن قد اكتشف وقتها والقبض علينا تم بعد تسعة أشهر من هذه المحاولة بعد تتبع للمنشورات التى كنا نوزعها صباحًا فى المدارس ونلصقها على "سبورات" الفصول فى الفجر ونلقيها للضباط والموظفين الكبار تحت أبوابهم.

هل تعرضت لتعذيب؟

لم ينج أى معارض يقبض عليه من التعذيب أو التنقل بين أكثر من ١٢ سجنًا. وكنت مع مجموعتى أول نزلاء سجن "بوسليم" الذى

استشهد فيه ١٢٠٠ سجين سياسى نتيجة التعذيب، ناهيك عن التعذيب بالتجويع. فكنا لا نحصل من الأكل إلا ما يجعل الإنسان على "شفا" الحياة، ملعقة مربى وحيدة لكل سجين، ولتر حليب لكل ١١ سجين والخبز كسرات صغيرة، أما الخروج من الزنزانة لشم الهواء ورؤية الشمس فكل ٦ أشهر، والمسموح به الوحيد للسجين فى الاتصال بأهله، خطاب واحد كل ٤ أشهر بكلمات محددة "أنا حى وبصحة جيدة وسلامى للجميع"!

لماذا لم يتدخل أحد من قبيلتك "القذاذفة"؟

لأن معمر لم يكن يرضخ لأحد، فضلاً عن كونه من أصغر بيوت القبيلة "القحوص"، هذا إن كان "نسبه" المعلن صحيحًا! وهو كان يكره والدى الذى كان يشك فى هذا النسب، وربما كان يعلم حقيقته!

حتى إنه عندما طُرد من الجيش لأسباب أخلاقية عام ١٩٦٨ وجاء لوالدى بصحبة سيد قذاف الدم والد "أحمد" لطلب إعادته إلى الجيش، رفض والدى التدخل ووعدهم بالضغط على قائد الجيش لاستقبالهم لعرض طلبه، وبالفعل استقبلهم، لكنه رفض هو الآخر إعادته إلى الخدمة، وهو ما جعله يكيد له ويضع اسمه على رأس أول مجموعة يتم القبض عليها ومحاكمتها وسجنها بعد ثورة عام ١٩٦٩.

وكيف عاد إلى الجيش؟

عاد بواسطة الأمريكان من خلال "مصطفى المهدوى"، وهو رجل عليه علامات استفهام كثيرة، وقيل فيه الكثير، والجميع يعرف

تاريخه لدرجة أن المعزين فى وفاته لم يتجاوز عددهم ٥ أفراد، ورغم أن له كتابًا عن القذافى تعرض فيه لأمور أقل ما يقال أنها تسىء إليه، إلا أن التعرض له كان فى أضيق الحدود وهو من الألغاز الكبرى فى حياة القذافى، وليبيا كلها تحتاج إلى البحث عنها.

وما يؤكد الدور الأمريكى فى ثورة القذافى ١٩٦٩ وأد أول محاولة للانقلاب على القذافى وإبعاده بعد عشرين يومًا من قيامه بثورته عندما اتفق عدد من الضباط الأرفع رتبة مثل آدم الحواز وعبد الكريم عبديه وموسى أحمد على الانقلاب، وذهب أحدهم إلى السفارة الأمريكية للاستعانة بها، فطلب المسئول فيها منهم تعريفه بأهم الأسماء المشتركة حتى يتسنى لهم القبول. وفى نفس ليلة تقديم الأسماء للسفارة تم القبض عليهم ليحاكموا ويقادوا إلى السجن.

كيف ترى حالة الثورة الآن؟

سيئة بعض الشىء بسبب تباطؤ الناتو واختراق بعض عناصر اللجان الثورية أو الأمن الداخلى أو عملاء للقذافى بين الثوار، ولأن هذه العناصر "سرية" فاكتشافها صعب، وكذلك هناك ملاحظات على تشكيلة المجلس الانتقالى، وأيضًا المجلس العسكرى.

وهل الهجوم على عبد الفتاح يونس من قبل أحد شباب الثوار فى المؤتمر الصحفى قبل أيام وسبه يعبر عن هذا الاختراق؟

عند تشكيل المجلس الانتقالى كان شباب الثورة يريدون وجوهًا لم تظهر مع القذافى أو تعمل تحت رايته، هذا الرأى يمثل أغلب

المواطنين، أما الرأى الآخر فكان يضم وجوهًا معروفة لها قبول إلى حد ما، وهو ما تمثل فى "مصطفى عبد الجليل وعبد الفتاح يونس" الذى انضم إلى المجلس للمشاركة فى قيادة المرحلة للاستفادة بما لديهم من مفاتيح مثل الثقل القبلى، وإمكانية السيطرة على جنودهم الذين كانوا تحت إمرتهم وبسبب عدم وجود قيادات عسكرية لها قدر من المعرفة مع عدم تلوثهم بملوثات النظام الدموى للقذافى. ورأيى الشخصى أن اختيار القيادات الحالية عائد إلى السرعة الرهيبة التى تم بها سقوط المنطقة الشرقية والاجتياح لتشكيل مجلس عسكرى، ورأى البعض أنهم سيقودون الفترة الانتقالية، وبعدها سيقدمون استقالاتهم بعد استقرار الأمور، ولكن البعض يرى أن وجود مثل هؤلاء لن يجعل هذا الاستقرار مؤكدًا.

مثل عبد الفتاح يونس مثلاً؟

ربما، لأن انضمامه للثورة كان تحت ضغط انهيار كتيبة "الفضيل بوعمر" واستيلاء شباب الثورة عليها والخوف من تكرار نفس الأمر مع كتيبة الصاعقة وبها مكتب يونس، والمفاوضات التى جرت بينه وبين أحد شباب الثورة وعقيد من الوطنيين المخلصين لها، والذى حاول يونس فيه تطويع الثورة له وقبول الثوار للانضمام تحت قيادته وهو ما لم يُقبل ومُنح ساعتين لاتخاذ القرار، وأذاع الثوار على لسان "أحمد المقصبى" بيانًا فى إذاعة بنغازى أن الثوار فى حالة عدم انضمام عبد الفتاح يونس وكتيبة الصاعقة إلى الثورة سيعتبرونها خارج الثورة، ممّا يسمح لهم باتخاذ ما يرونه لازمًا لحمايتها.

تقصد القيام بهجوم مماثل لما حدث فى كتيبة الفضيل على كتيبة الصاعقة؟

ربما كان المؤكد أن كتيبة الفضيل كانت أكثر تحصينًا ومنعة، وقد بدأ الثوار عند الثامنة مساء يوم الانضمام يطوقون الكتيبة، فأعلن "عبد الفتاح" موافقته على أى بيان يلقونه، وهو ما حدث وأعد البيان وأذيع بصوته على الهواء.

وماذا عن قبيلتك "القذاذفة"؟

أغلبها مع الثورة وضد معمر القذافى نفسه، وهو ما يفسر استماتته فى منع جيش الثوار من الاقتراب إلى "سرت" أو دخولها، لأنها مفتاح طرابلس، وهو يدرك جيداً أن سقوطها فى يدهم سيكون أيسر من سقوط بنغازى بسبب قبيلته؛ لأن أغلبهم ضده، فبيت عمر أهم بيوت القذاذفة والذين يمثلون ٦٠٪ من قذاذفة سرت موتورون منه بسبب الحكم على ثلاثة ضباط كبار منهم بالإعدام، والذى تم بأبشع الطرق رغم إعدام من اشترك معهم من قبيلة الورفلة بالرصاص، وأيضًا ذهب إلى الورفلة بعد الإعدام بصحبة اللواء الخويلدى الحميدى وطيب خاطرهم وبرر لهم الحكم ولم يفعلها مع "بيت عمر"، أما بيت الخطرة، فقد أعدم منهم أيضًا بعض الضباط من آل الغناى بسبب محاولتهم اغتياله وقلب نظام الحكم أيضًا، وأبعدهم لبعض الوقت إلى سدرة خارج سرت.

أما الفرجان والذين يمثلون ثقلاً فى سرت لكون عدد من الضباط الكبار فى الجيش منهم وعلاقاتهم الوطيدة ببيت عمر،

فقد قتلت كتائبه فى الأحداث الأخيرة ١٥ ضابطًا منهم فى كتيبة خميس لرفضهم إطلاق النار على الثوار، وعندما طلب أحمد قذاف الدم من عمر الفرجانى زوج شقيقته العودة من مصر إلى ليبيا من مصر لحل المشكلة واختلف مع القحوص لغطرستهم عليه أثناء النقاش ورفضه لهذه الغطرسة قتلوه.

هل يمكن أن يقبل الثوار باستمرار حكم القذافى أو أحد أبنائه بعد هذه الوساطات التى بدأت تظهر فى الصورة؟

هذا صعب وربما يكون من المستحيل، فليبيا كلها أصبحت لا تريده، ولن تغفر له هذه الإبادة التى مارسها ضد شعبه حتى فى مناطق الجبل الغربى ومصراتة والزنتان والزاوية، وما فعله فيها من قتل للشباب واغتصاب للفتيات وخصوصًا فى إجدابيا التى خطفوا منها ٦٠ فتاة توفيت منهن ٢٥ بعد أن اغتصبوهن وتركوهن فى الصحراء، والباقى منهن من عادت إلى منزلها، ومنهن من هربت بالعار الذى ألحقوه بها. قد كان المرتزقة يغتصبوهن فى الدبابات التى وجدنا فيها فتاتين مقتولتين بعد اغتصابهما، ووجدوا مع الأسرى المرتزقة والليبيين حبوب الفياجرا.

• أين الإمام الصدر؟

فى ٣١ مارس عام ١٩٧٨ قال الإمام موسى الصدر فى خطبة الجمعة إن الذى فجر الجبهة فى الجنوب هم العرب.. أرضنا احتلت[1] ليس بسببنا وليس بإرادتنا بل نتيجة تآمر دولى وإهمال عربى.. هناك مطامع استيطانية إسرائيلية معروفة.. وهناك مطامع استيطانية عربية ناتجة عن الكسل والفرار من الموقف والفرار من المسئولية، وقال "إن تحرير أرضنا مسئوليتنا وحدنا". لا نريد من أحد من الأشقاء ولا نريد من المقاومة الفلسطينية أيضًا أن تساهم فى معالجة هذا الأمر.

ومع استقرار الاحتلال الإسرائيلى فى الشريط الحدودى بجنوب لبنان طار الإمام للقاء عدد من القادة العرب فى بلادهم ليرجوهم

(١) احتلت إسرائيل فى مارس ١٩٧٨ الشريط الحدودى الجنوبى فى لبنان فيما عرف بالاجتياح الإسرائيلى الأول.

استبعاد لبنان عن ساحة الخلاف العربى الذى تسارع فى لبنان نيابة عن دول أخرى أو بالأصالة عن نفسها فكانت هذه الدول وأهمها سوريا الأسد وعراق صدام حسين وليبيا القذافى تُغرق هذا البلد الحزين بالسلاح والمال نيابة عن الغرب وإسرائيل وبترحاب لبنانى طائفى لا يغسل يديه بعد استلام حصة المال والأسلحة إلا بالدماء الفلسطينية واللبنانية من مختلف أطيافها، وخلال زيارة الإمام طرابلس الغربى (ليبيا) فى شهر أغسطس ١٩٧٨ قال فى حديث صحفى[1].. "إننا فى لبنان لم نعد نملك شيئًا نخسره فليفكر الأشقاء فيما عندهم من ثروات وأرض، وأقول لهم إن كل شىء لديكم مهدد قبل ذلك، قبلها وفى لبنان عمل الإمام على منع استمرار الخلاف السورى الفلسطينى حتى لا تفشل مبادرة التهدئة بينهما فتستمر المعارك التى تهدد الأزمة بالتعاظم والحل بالاستعصاء ولبنان بالتقسيم.

وبدا أنه اندفع تجاه سوريا مما أشعل غضب القذافى الذى كان خلافه معها على أشده، كان الإمام الصدر فضلاً عن ذلك يطالب بإلغاء الطائفية السياسية، هذا وكان أمين عام أحد التنظيمات على الأرض اللبنانية قد خطب فى مهرجان احتفالى بصيدا[2] قائلاً إن المخابرات الأمريكية قذفت بالإمام موسى الصدر فى لبنان لينفذ المؤامرة الطائفية ويشق الصف الإسلامى.

---

(١) مجلة النهضة الكويتية عدد ٣٠/ ٨/ ١٩٧٨.

(٢) مهرجان تكريم الشهداء الذين سقطوا برصاص سورى عند تصديهم للغزو السورى لصيدا بتاريخ ٨/ ٨/ ١٩٧٦.

بعدها سافر الصدر إلى دمشق ومنها إلى الأردن ثم السعودية والكويت ومنها إلى الجزائر وحط رحاله فى طرابلس ـ ليبيا فى ٢٥ أغسطس ١٩٧٨ ولم يظهر حتى الآن فى ظل صمت عربى مبهم وغريب فالرجل كان حالة فى التاريخ اللبنانى وكان فاصلة فى معادلة القوى الطائفية فى لبنان ومن ثم القوى العربية والإقليمية فى المنطقة.

سمعت حكايات متعددة فى لبنان وسوريا وليبيا عن خلافات حدثت بينه وبين معمر القذافى وتشابهت بعضها فى أن الإمام بصق فى وجهه بعد أن لطمه القذافى على خده. وأياما كانت الاختلافات فى السبب فإنها لا ترتقى لمستوى النتيجة هو الإخفاء القسرى أو التغييب العمدى قتلاً كما سمعت حكايات متواترة ومعنعنة ودفنه فى سرت. وأخرى عن سجنه تحت الأرض فى سبها أو الكفرة أو فى أوزو ومما قيل أيضًا أنه سجن فى قاعدة عسكرية ليبية على بعد ٥٠ كيلو مترًا من "زرازاتين" الحدودية الجزائرية(١) وأن المخابرات الليبية نقلته مع رفيقه محمد يعقوب إليها بعد أن توفى الصحفى عباس بدر الدين من التعذيب، وأن عملية الاحتجاز التى خططتها المخابرات الليبية ونفذها جان جاك دى لابورت المرتزق الفرنسى والضابط السابق فى الجيش الفرنسى الذى التحق للعمل بالجناح العسكرى لمنظمة الصاعقة الفلسطينية التى كان يتزعمها زهير محسن(٢) ويحمل اسمًا حركيًا (كابتن كريمة) وأنه نفذ عملية

---

(١) جريدة البابيس الأسبانية ـ عدد ٧/ ٩/ ١٩٨٠ ـ المحرر روفائيل فراكواش.

(٢) أغتيل فى شهر يونيو عام ١٩٧٩ بمدينة كان ـ فرنسا بعد أن حاول التقرب من عرفات اثر مذابح تل الزعتر فى لبنان والتى راح ضحيتها ٩ آلاف قتيل وأشيع أنه كان سيفضح عملية الخطف.

احتجازه ورفيقه فى فندق الشاطئ بطرابلس واشترك معه عسكريان من مخابرات ليبيا (سعيد وعزيز) مع شخص سورى وأشرف على العملية الرائد مصطفى الخروبى رئيس جهاز المخابرات الليبية آنذاك.

وسافر دى لابورت إلى مدينة نيس فى فرنسا حيث التقى مع زهير محسن الذى طلب منه السفر إلى الجزائر لمهمة أخرى ومر مطار الجزائر وضع تحت المراقبة. وعندما لاحظ بعد أيام ذهب إلى السفارة الفرنسية. ولدى خروجه منها تم القبض عليه بتهمة الجاسوسية. واقتيد إلى سجن "بوفريق" على بعد ٢٠ كم من الجزائر العاصمة. وفى السجن كشف أمام سجناء سياسيين جزائريين هذه المعلومات.

وقبل ثلاثة سنوات عام ٢٠٠٨ وبرعاية سورية اجتمع فى دمشق ستة أشخاص يمثلون أسرة الإمام موسى الصدر وحزب الله وحركة أمل مع سيف "الإسلام" القذافى لبحث سبل إنهاء أزمته، والتى لم تهدأ عمليات البحث عن حقيقة إخفاء هذا "الرجل الصالح".. عرض فيها القذافى الصغير مبلغًا كبيرًا لإغلاق هذا الملف. بعد أن ظل القذافى ينفى علاقته وأجهزته بإخفائه وتعذيبه مدعيا أنه غادر طرابلس إلى روما. بعد إدارة تمثيلية انتحال اثنين من مخابراته صفة الإمام ورفيقيه الشيخ محمد يعقوب والصحفى عباس بدر الدين ودخولهما إلى فندق هوليداى إن وفى لقاء القذافى مع أربعة من علماء الدين هم عبد الأمير قبلان وعبد

الحكيم الزين مفتى النبطية الجعفرى وخليل شقير مفتى زحلة وأحمد الزين قاضى شرع المحكمة الشرعية الإسلامية السنية بصيدا.

فى ٢١ سبتمبر ١٩٧٨ أكد لهم أنه سيأمر بتوسيع دائرة التحقيق فى اختفاء الإمام كاشفًا أنه حدد موعدًا للقاء الإمام فى الواحدة والنصف بعد ظهر يوم ٣١ أغسطس.. وأضاف "إلا أن الإمام لم يحضر".

وقيل للعقيد أنه سافر.. وفى ظل نظام قمعى حديدى مثل نظام القذافى آنذاك هل يمكن أن يغادر ضيف كان قد حُدد له موعد مع "القائد" دون موافقته أو دون إبلاغه فضلاً عن أن ضيوف الرؤساء لا يتحركون إلا بمرافقين أو "مراقبين" من المراسم.. مع ملاحظة أن البلاغ الرسمى الليبى الذى أعلن على العالم جاء فيه أن الإمام سافر فى الثامنة والربع مساءً أى بعد موعده الذى حدده بسبع ساعات !! على طائرة "اليطاليا" فى رحلتها رقم ٨٨١ التى غادرت طرابلس إلى روما(١).

أما تحقيقات الجهات الأمنية الإيطالية فقد أثبتت أن أشخاصًا آخرين استعملوا بطاقات سفر على هذه الطائرة صادرة بأسماء الصدر ومرافقيه، وأن موظفى مطار روما نفوا وصول أشخاص بمواصفات الإمام الصدر والشيخ يعقوب بدر الدين المميزة ولم يعثر

---

(١) مع الاعتذار للإمام الصدر ـ عادل رضا ـ منشورات مكتبة مدبولى ـ ١٩٨١ ـ القاهرة.

على بطاقة سفر باسم أى منهما. وأن شخصين مزيفين انتحلا اسميهما ودخلا فندق هوليداى إن فى روما الساعة العاشرة صباح يوم ١ سبتمبر أى بعد أكثر من عشر ساعات على مغادرة ركاب الطائرة المذكورة المطار. وأنهما تركا حقائب الإمام والشيخ يعقوب وجوازى سفرهما فى الغرفتين اللتين حجزاهما وغادرا الفندق بعد ١٠ دقائق. وقد ثبت أن هذين الشخصين مزيفان وليس هما الشيخ يعقوب أو الإمام الصدر حسب نفى طاقم الطائرة وبعض ركاب الرحلة وموظفى الفندق ـ وقد رفضت الحكومة الليبية السماح لضابطى مخابرات لبنانيين بالدخول إلى الأراضى اللبنانية مع الدكتور عمر مسيكة أمين عام مجلس الوزراء اللبنانى.

وللإمام الصدر دوره الهام فى إشعال الثورة الإيرانية. وكانت له صيحة شهيرة عندما أسقط عنه الشاه محمد رضا بهلوى شاه جنسيته الإيرانية فقال "نزع عنى جنسيتى وسأنزعه عن عرشه" وكان خير معين للإمام الخومينى الذى كان يعتبره ابنه وينتشر فى الأوساط الشيعية أنه كان الأقوى تأثيرًا فى إشعال الثورة الإيَرانية.

وهناك من يطرح تساؤلاً غاية فى البساطة وهو هل هناك ربط ما بين تغييب الإمام موسى الصدر لإفساح المجال أمام الخومينى من ناحية. وتهدئة الأحوال مع إسرائيل على الحدود الجنوبية للبنان ومع الموارنة فى الجبل أو لإشعالها بالصورة التى ظلت عليها دون قادر على إطفائها منذ تغيبه وحتى بداية تسعينيات القرن الماضى بعد توقيع اتفاقية الطائف.. هلّ..!!

القذافى و"السخف الثورى" مادة للسخرية

ولم يكن غريبًا عليه أن يطلق عقيرته بما أذهل البعض حينما قال فى خطابه الثانى بعد تفجر الثورة الشريفة فى ١٧ فبراير "من لا يحب معمر القذافى لا يستحق الحياة"، وهو تصور جديد فى أذهان الحكام ورؤية جديدة للعبودية التى فرضها القذافى على شعب من الكرام، وفى خطاب نهاية مارس ردد نفس الكلمات.. أن الشعب الليبى يحبه وأنه لو كان عنده سلطة لما أحبه شعبه يقصد خرافته عن أنه ليس رئيسًا.

مؤكدًا أنه "بالنسبة للشعب الليبى أكثر قدسية من إمبراطور اليابان الذى انتحر اليابانيون من أجله"، أنا مقدس للشعب الليبى. أنا رمز. أنا لهم أب ومرجعية. أنا مرتبط لهم بالجلاء.. أنا مرتبط بتأميم النفط. بالإنجازات المادية والمعنوية، والشعب الليبى لا يستطيع أن ينكر ذلك. وإذا أنكره فلا يستحق الحياة"... تانى!!

ردد أيضًا ما يدعو ليس للسخرية وإنما للحسرة على الشعوب العربية: بالنسبة لنا نحن الليبيين لا نقاتل بعضنا نحن عائلة واحدة!.. هكذا بعد أكثر من عشرين ألفًا من الشهداء والقتلى من الليبيين، ولم تكن طرفة الزميل محمود النجار الناشط الحقوقى المصرى قبل أن نفترق فى طبرق بتحميلى عتبه وعتب المصريين إلى ثوار بنغازى لتأخرهم فى إشعال ثورتهم بحجة أننا كنا بحاجة إلى خطب القذافى الفكاهية لنخرج بالضحك عليه من حالة الحزن و"القرف" التى عمت الوطن العربى من أمثاله وأمثال حسنى مبارك وعبد الله صالح والأسدين وغيرهم من الحكام المأجورين المرتزقة... فى بنغازى لم يكن الشباب الليبى أقل ظرفًا من المصريين عندما سجلوا سخريتهم واستهزاءهم بالقذافى فى هتافاتهم ولافتاتهم التى كانوا يرفعونها فى المسيرات والمظاهرات أو يكتبونها على جدران البنايات فى كل المدن المحررة ومنها كما قال الكاتب المصرى براء الخطيب[1] أن الكذب والتنطع اجتمعت فيه لتحيله إلى كائن قادم من عمق الخرافة متشحًا برداء فضفاض من الضلال والهوس. ووقف صارخًا فى شعبه من أنتم.. لا شىء، أنتم جراثيم، أنتم جرذان.. وأن إصراره على الكذب والتنطع يؤكد عليه لقب سفيه الميعاد.

ومما انتشر على ألسنة الناس وجدران منازلهم ... يا معمر يا وش الديك حتى شعبك ما يبيك (يريدك)، يا معمر يا بو شفشوفة (الشعر المنكوش) الشعب الليبى توا تشوفه.

---

(١) جريدة ليبيا ١٧ فبراير العدد ٩ تاريخ ٤ مارس ٢٠١١ وكان براء قد انضم للعمل فى الجريدة نصرة للثوار.

وعلى الجدران وأعمدة الإضاءة استعار الشباب الليبى اسم فيلم الزميل الساخر عمر طاهر "طير انت" وكأنه أمر منهم ليغرب عن سمائهم. وتلك اللافتة على خيمة فى ساحة التحرير "قاعد ما عندى ماندير صابر صابر سنين أطير"، ويسقط ديكتاتور الشعوب، وقرد قرود أفريقيا، وبنك بنوك أفريقيا (إشارة إلى مسماه الذى أطلقه على نفسه ملك ملوك أفريقيا.

ومن نوادره التى سجلها له الزملاء فى مقر المركز الإعلامى لثورة ١٧ فبراير لوحة تحت عنوان كيف تصبح قذافيًّا والخطوات كالآتى:

(١) احذر من استخدام فرشاة شعر أو حتى التفكير فى وصول الماء إلى شعرك.

(٢) استخدم طاقية كعكة.

(٣) البس النظارة السوداء فى كل مكان وفى أى زمان.

(٤) ألفِ كتابًا بعنوان ملون (أبيض، أصفر أو أخضر).

(٥) ابنِ خيمتك الخاصة فى أى مكان تريد حتى ولو كانت مقابل مقر مجلس الأمن الدولى.

(٦) كن شخصًا ظريفًا ممتعًا تضحك الناس عليه.. زنقة زنقة ـ دار دار.

(٧) قل كلامًا يصير شائعًا مثل: للمرأة الحق فى الترشح للانتخابات سواء كانت ذكرًا أو أنثى.

(٨) وأخيرًا ذكّر شعبك بنعم العصر الحديث... أيها الشعب لولا الكهرباء لجلسنا نشاهد التليفزيون الآن فى الظلام.

(٩) أن يكون لك تعريف "قذافى" للديمقراطية التى قال عنها.. الديمقراطية مصطلح مشتق من الكلمة الإنجليزية ديموكراس وتعنى الشعب جلس على الكراسى.

أما أسود نكاته وأكثرها مرارة تسليمه للمرة "الألف" للغرب، بخلع سرواله الداخلى مرة أخرى معريًا ظهره عندما وجه فى خطابه إلى الغرب فرنسا وانجلترا وأمريكا فى نهاية مارس ٢٠١١ "تريدون النفط تعالوا نعقد اتفاقيات ومعاهدات مع شركاتكم ولكن بدون حرب. ثم لقاء برئيس الاتحاد الدولى للشطرنج والجلوس أمام شاشة تلفزيونه الرسمى يلعب معه الشطرنج وجيشه يقتل شعبه.

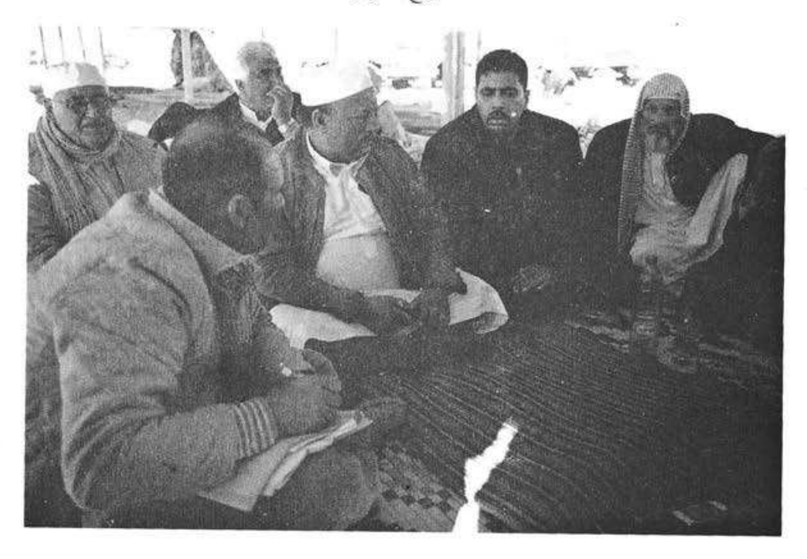
ويذكر له التاريخ أنه كاد أن يجعل من لحن "سلامتها أم حسن" التى غناها فى مصر المطرب الشعبى أحمد عدوية موسيقى للنشيد القومى الليبى بكلمات تمجده هو شخصيًا باقتراح أحد أعضاء لجانه الثورية "جماهيرية.. سلطة شعبية.. ومعمر هو أمين القومية....! وبالفعل تم تسجيل النشيد وأُعجب به وبثته شاشة التليفزيون الليبى فى ختام برامجها ليومين بديلاً عن نشيد "الله أكبر" ولكن قطعت فرقة "أصدقاء المسرح" بإجدابيا الطريق على استمرار هذا "السخف الثورى" بوضع هذا اللحن فى مسرحية بعنوان "مقعد بلا خسارة" فى إطار كوميدى مما أطاح بحلمه فى استخدام لحن سلامتها أم حسن كَنشيد قومى.

ملحق صور

- مع كمال القاضى حذيفة منسق المجلس وأحد زعماء الثورة.

- مع مستقبلى قوافل الأغذية التى أرسلها المصريون فى طبرق.

- شيوخ الثوار.

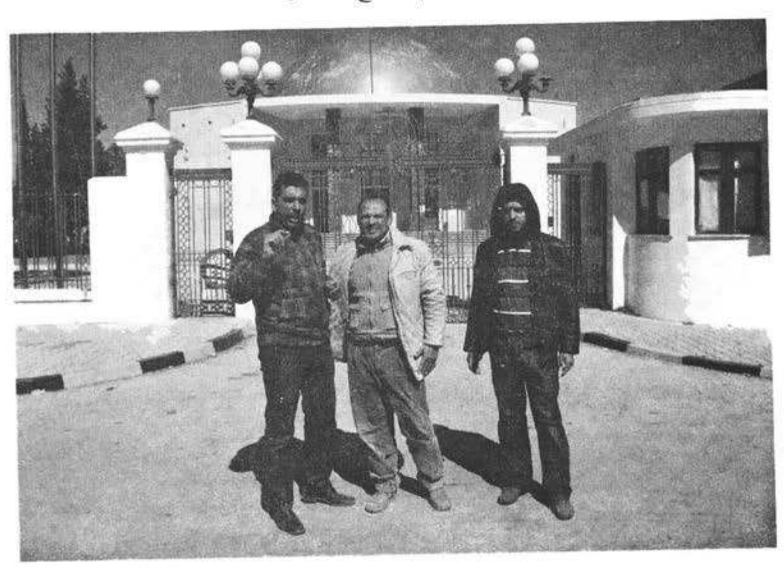


- الضابط الذى فتح مخازن الأسلحة للثوار فى «البيضاء».

- مع المقاتلين.

- من جيل المستقبل فى مصر صبيان أصرا على مشاركة والدهما السفر إلى ليبيا لمساندة الثوار بالمعونات.

- سالم مفتاح المختار.

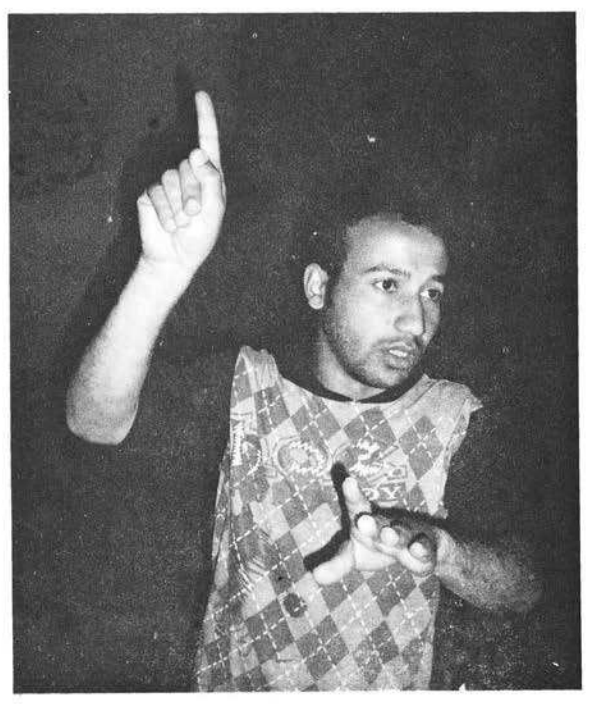


- أمام مبنى البرلمان الليبى. الذى عطله القذافى وأغلق أبوابه.

- مع شيوخ الثوار فى طريقهم إلى إجدابيا.



- إيمان العبيدى فى منزلها بطبرق.



- الشاب الفيتورى الذى تعرض لهزة نفسية جراء كلام القذافى وحربه ضد شعبه.

- داخل خيمة للمقاتلين.

- صالح وعبد السلام ابنا عمدة القطعان فى المنطقة الشرقية.



- مع صلاح هيبة وبعض الشباب المصرى.

- هكذا بدت إجدابيا مدينة أشباح عند زيارة المؤلف.



- مع جندى باسل أمام بوابة إجدابيا.

- صالح محمود حرينة من إجدابيا.

- إحدى جبهات القتال.

- راجمة وثوار.



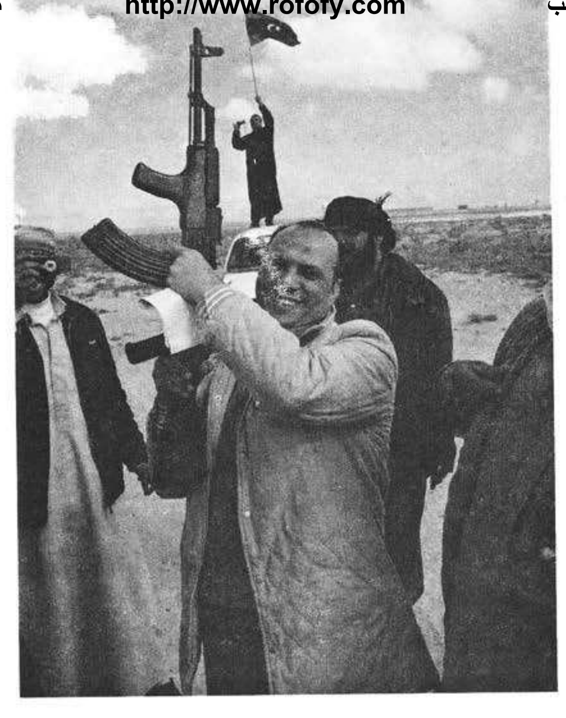
- راعى الغنم الذى ترك قطيعه ليشارك فى جهاد الثوار.

- بين الثوار فى جبهة البريقة.

- مع الثوار على بوابة إجدابيا.

- مع سيدات جمعية شد العزائم.

- المؤلف مع (سى محمد) نجل عمر المختار.



- المؤلف مع المقاتلين فى رأس لانوف وأمام بوابة إجدابيا.

- مع مجموعة الشباب المصرى الذين سافروا إلى ليبيا لنصرة الثوار بالقتال

- محسن ونيس القذافى.

- المؤلف يساعد الشباب المصرى على مشارف البريقة.

- ورود الجيل الجديد فى بنغازى أثناء حصار مصراته.

مصدق بوكر أصغر السجناء فى قضية اغتيال القذافى عام ١٩٨٢.

- جدران محكمة شمال بنغازى زينتها صور الشهداء.

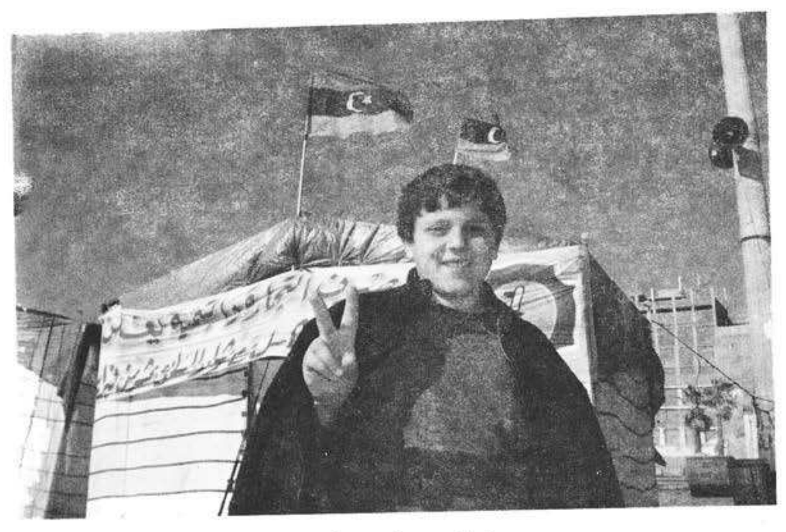
- صالح الجحاوى المخرج الذى حمل الكاميرا لتسجيل أحداث الانتصار.

- جندى عجوز يستعرض غنائم الثوار.

- داخل المركز الصحفى

- د. محمد سالم المنيفى رئيس المركز الصحفى.

- مع عبد الحفيظ غوقه



- سريع جيل المستقبل فى ثورة ١٧ فبراير

- هذا الشيخ المسنُّ الذى جاء من الكفرة فى أقصى الجنوب ليناصر الشباب فى ثورتهم الشريفة.

- أمام محكمة شمال بنغازى (ساحة التحرير)

- فى ليبيا مليون حافظ للقرآن بعضهم يتلونه فى ساحة التحرير داعين الله تخليصهم من «أبو شفشوفة».

- الناشط المصرى محمود النجار أثناء استقباله فى طبرق بكميات من الأدوية جمعها تبرعًا من ثوار التحرير.

- مع اللواء سليمان محمود قائد الجيش الوطنى الليبى.

- عبد السلام الصعيطى مفجر ثورة ليبيا مع محسن ونيس القذافى ومصدق بوكر

عضوى جمعية السجناء السياسيين.

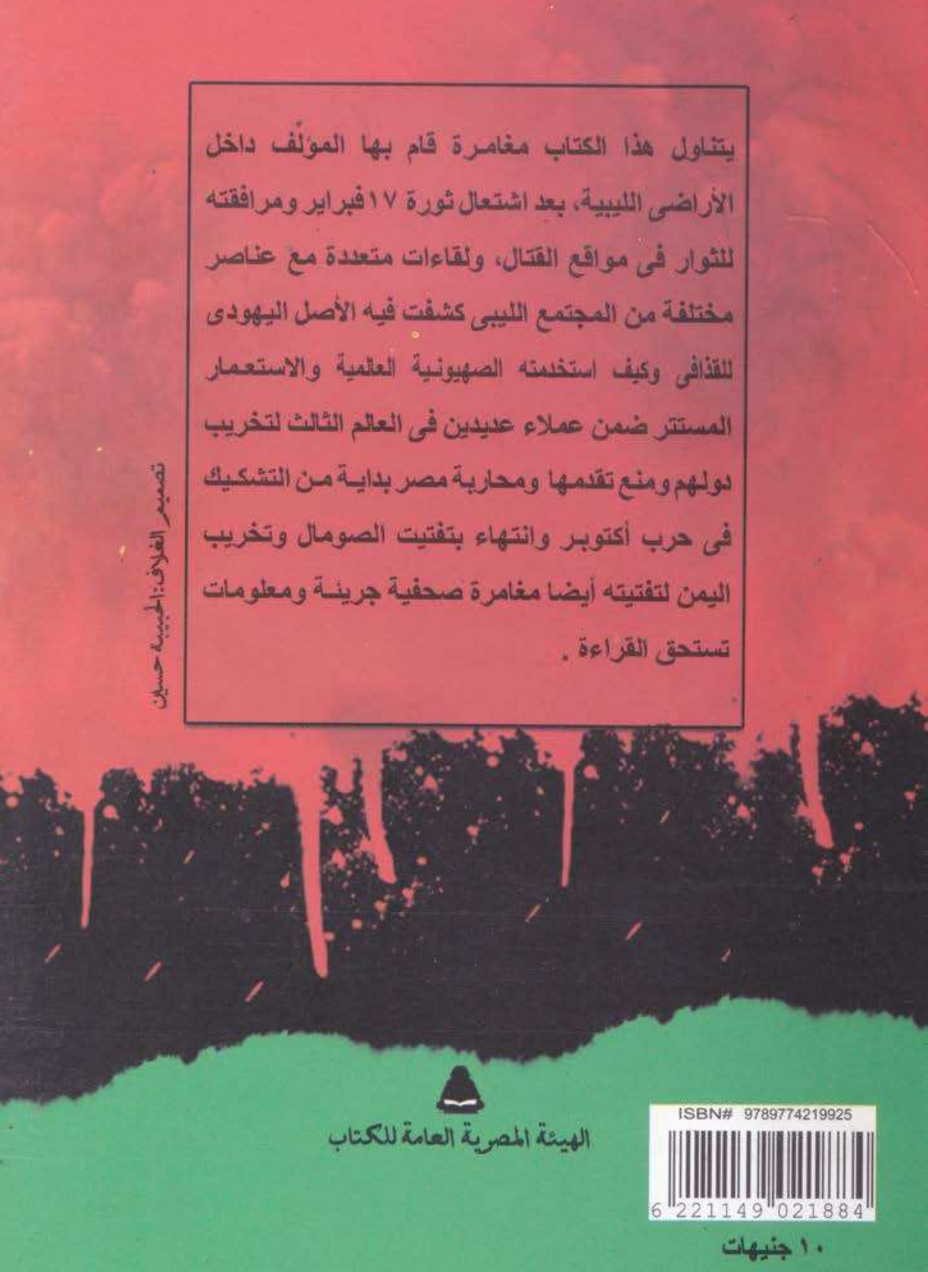
الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.gov.eg

email:info@gebo.gov.eg



يتناول هذا الكتاب مغامرة قام بها المؤلِّف داخل الأراضى الليبية، بعد اشتعال ثورة ١٧ فبراير ومرافقته للثوار فى مواقع القتال، ولقاءات متعددة مع عناصر مختلفة من المجتمع الليبى كشفت فيه الأصل اليهودى للقذافى وكيف استخدمته الصهيونية العالمية والاستعمار المستتر ضمن عملاء عديدين فى العالم الثالث لتخريب دولهم ومنع تقدمها ومحاربة مصر بداية من التشكيك فى حرب أكتوبر وانتهاء بتفتيت الصومال وتخريب اليمن لتفتيته أيضا مغامرة صحفية جريئة ومعلومات تستحق القراءة .

تصميم الغلاف: الحبيبة حسين

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ISBN# 9789774219925

6 221149 021884

١٠ جنيهات

